

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

# المسيلة وجهتها في العصر الوسيط - دراسة منو غرافية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. علاوة عمارة

إعداد الطالبة:

● رحلي صليحة

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مزهودي المسعود	أ.التعليم العالي	ج الحاج لخضر باتنة	رئيسا
علاوة عمارة	أ. التعليم العالي C	ج. الأمير ع القادر قسنطينة	مشرفا و مقرا
باقة رشيد	أ.التعليم العالي	ج الحاج لخضر باتنة	مناقشا
شباحي المسعود	أ.التعليم العالي	ج الحاج لخضر باتنة	مناقشا

السنة الجامعية:

1435-1434هـ/2013-2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

# المسيلة وجهتها في العصر الوسيط - دراسة منوغرافية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. علاوة عمارة

إعداد الطالبة:

• رحلي صليحة

السنة الجامعية:

1435-1434هـ / 2013-2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن ...  
إلى التي تربيت بين أحضانها و سقتني من أنهار حنانها ...  
إلى أحلى كلمة نطق بها اللسان . إلى التي تستقر الجنة تحت قدميها...  
إلى من بحقها تتلى آيات الرحمن على مدى الدهر و الزمان...إلى من تسافر في  
دمي...و أذوق منها ما أذوق...معناك عندي كيفما كنت عميق...  
إليك أمي الغالية خرفية أطال الله في عمرك.  
إلى الذي علمني و دفعني قدما نحو النجاح....  
إلى الذي كافح و تعب من أجل راحتي...إلى الذي دفع بي قدما نحو النجاح...  
إلى من زرع بذور الإرادة في نفسي...إلى من عمل و اجتاح الصعاب مبحرا  
لأجل أن أرى النور ساطعا...إلى من تمنى أن أكون في أعلى الدرجات...  
إليك أبي الغالي البقادي أطال الله في عمرك.  
إلى قرة عيني و مصدر قوتي و عزيمتي....إلى رفيق دربي الغالي....إلى الذي  
رعاني بعطفه و حبه و حنانه لباسي الطاهر عبد الباسط و أمه الريح و أهله.  
إلى تلك الشموع التي تحترق لتتير الطريق لي...إلى أغلى و أقرب الناس لي  
إخواني و أخواتي كل باسمه ( محمد، رشيدة، زكية، حياة، سعيد، حنان،  
الجازية، وفاء) و أولادهم ( إسحاق، آية، أشرف، عبد الوهاب، لؤي، إسرائ  
( و أزواجهم ( لخضر، حمزة، احمد، الشاوي ) .إلى ربيحة و يوسف و بلال إلى جدي  
وخالي وزوجته وأبنائه ،وإلى كل طلبة العلم خاصة أغلى رفيقة رقية وأهلها. إلى  
أشواق و أميرة و كل الأساتذة الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد  
إلى كل من ساهم في بناء وطننا الغالي الجزائر



# شكر و عرفان

الحمد لله الذي تتم به خير الأعمال ، و الذي بحمده يكون خير الإكمال، الذي كان لي خير معين، و في صبري كان نعم اليقين.

لله نجزي الشاء و أقدم عملا أرجو منه الرضا بحمده أكملت دراستي الموسومة :

## المسيلة وجهتها في العصر الوسيط – دراسة منو غرافية -

و إن كان لابد أن ارجع الفضل لأهله و التقدير إلى صاحبه، فإنني نبادر بتقديم الشكر و التقدير لأستاذي الدكتور علاوة عمارة على قبوله الإشراف على موضوعي و صبره الدائم عليا و تشجيعه لي.

و هذا عرفانا مني بأمانته و جهوده المتواصلة و مساعدته طيلة انجاز هذه الدراسة نصحا و توجيهها و إرشادا.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى الأساتذة : كمال بلمارس، مزهودي المسعود، باقة

رشيد، خالدي، حروز عبد الغني ، بيرم كمال، احمد مسعود، عزوز البشير، خير عامر.

والشكر إلى كل من أخذت على يده حرفا لفك طلاسم الجهل من معلمين و أساتذة من المدرسة إلى الجامعة.

كما لا يفوتني أن اشكر جميع عمال المكتبات الذين قدموا لي يد العون في اقتناء بعض

المصادر و المراجع النادرة :المكتبة الجامعية بالمسيلة، مديرية الثقافة بالمسيلة، و مكتبة المركز

الثقافي بالمعازيد- القلعة والمتحف -

و في الختام أشكر جميع أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة الموضوع

# مقدمة

## مقدمة:

عرفت الدراسات الخاصة بالمدينة في العالم الإسلامي الوسيط تطورات ملحوظة خلال القرن العشرين، غير أنها تركزت بالخصوص على دراسة المدن-العواصم على حساب المدن المتوسطة والصغيرة، والتي نجد من بينها المسيلة وطبنة وباغاية. فالمسيلة على سبيل المثال هي ثمرة جهود الجماعة الإسماعيلية المتمثلة بالخلافة الفاطمية في إحداث حركة تمدن في المغرب الإسلامي، رغم المدة القصيرة التي تقدر بأقل من خمسة وستين سنة (296-362هـ/907-973م) التي قضتها ببلاد المغرب، لقد لعبت مدينة المسيلة دورا بارزا في ميادين متعددة، إلا أنها لم تلق الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين.

فقد وردت بعض أخبار مدينة المسيلة متفرقة في بعض المصادر التاريخية خاصة منها التي تناولت المغرب ككل، والكتب التي أرخت للدولة المعاصرة للمدينة لا سيما الدول التي تأسست بالمغرب وكذلك كتب الحوليات، وكتب الجغرافية الوصفية. وشكلت هذه المادة قاعدة لكتابات بعض الدارسين على غرار المقال الذي نشره الأب بول ماسيرا (Paul Massiera) تحت عنوان "المسيلة من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي" في مجلة الجمعية التاريخية لمنطقة سطيف، والذي عرّج فيه على بعض الفترات الهامة من تاريخ المدينة، كما تطرق إلى تاريخ مدينة المسيلة الضابط الفرنسي المستعرب لوران شارل فيرو (Laurent-Charles Féraud)، ضمن إطار منوغرافياته التي خصصها لبعض مدن الشرق الجزائري، حيث تحدث فيه عن منطقة المسيلة.

لم يكن الاهتمام بتاريخ مدينة المسيلة حكرا على الكتابات الفرنسية، فقد كتب محمد الصالح مرمول مقالا قصيرا تحت عنوان "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، نشره في مجلة سيرتا، وخصص لها محمد لجلط مذكرة نهاية السنة أولى ماجستير الموسومة ب "المسيلة في العهد الفاطمي" والذي تناول فيها الدور الذي قام به الفاطميين في تأسيس المدينة وتطورها.

فكل ما يمكن ملاحظته حول هذه الدراسات أنها لم تقدم لنا تاريخ شامل للمنطقة ومجالها الحيوي، ما عدا تلك الدراسات التي تناولت قلعة بني حماد مثل ما كتبه رشيد بورويبة "الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها"، وإسماعيل العربي "دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية"، وعبد الحليم عويس "دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري بالإضافة إلى الكثير من الدراسات حول القلعة كذلك بعض الدراسات

التي تخص الوجود الهلالي في المنطقة كالمقالين الذين نشرهما علاوة عمارة "الهجرة الهلالية وأثرها في البنية الاجتماعية لبلاد الزاب" و"الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط" تناول فيهما أثر القبائل الهلالية على المنطقة من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

وفي الحقيقة إن هذا العجز لا تزال تعرفه الأبحاث التاريخية حول المدينة خاصة من الجانب الحضري (العمراني) لغياب الشواهد الأثرية، وما وصفه الرحالة الجغرافيين خاصة الذين زاروا المنطقة (ابن حوقل، البكري، الإدريسي) والشعراء أمثال ابن هاني الأندلسي، لا يعتبر دليلا ملموسا على تطور وازدهار المدينة من هذا الجانب، وبذلك تكون هذه الدراسة تناولت العلاقة الموجودة بين المدينة ومجالها الريفي، والتي تفرض نفسها في العديد من الدراسات حول تاريخ المدن، سواء الصغرى أو الكبرى، ولكل مدينة علاقة تأثر وتأثير بالمجال بها غالبا.

كل الدراسات التي أنجزت حول المسئلة لم تعط الصورة الشاملة والمعمقة عن تاريخ المدينة، ولم تركز تلك الدراسات عن الدور الذي لعبته على مدار العصر الوسيط. وتحاول دراستي الانطلاق من إشكالية هامة تتمثل في محاولة تتبع التطور التاريخي للمنطقة في الفترة الوسيطة وعلاقتها بمجالاتها المحيطة بها.

وبالنظر إلى أهمية دراسة المدن الداخلية الصغيرة ودورها في العصر الوسيط اخترت هذا البحث أملا في محاولة تفسير دور المدن الصغيرة في عالم العصر الوسيط من جميع النواحي، علاقتها بمجالها الطبيعي والاقتصادي والسياسي، ومحاولة فهم عودة مركز ثقل بلاد الزاب إلى المسئلة بعدما غادرها في بداية الفتوحات الإسلامية لصالح مدينة طنبنة. كما ستحاول الدراسة الإجابة على أسباب اختيار الفاطميين للمدينة ودورها في ضبط تحرك الجماعات المتنقلة التي كانت في أغلبها إباضية، وأخيرا محاولة فهم أسباب تراجعها خصوصا بعد القرن السادس الهجري بعد تشكيل مجالات بشرية جديدة بالمنطقة، خصوصا منها الهلالية.

إن تناولي للموضوع كان انطلاقا من النصوص المتوفرة على تنوعها المذهبي والأدبي فمن النصوص الإباضية والإسماعيلية إلى النصوص التي يمكن أن نصنفها في الخانة السنية كان اعتمادا بالأساس، رغم تنوع أصولها الجغرافية من مغربية وأندلسية ومشرقية إلى تنوع نسيجها الأدبي بين الإخبارية والوصفية والفقهية. كان هذا العمل معقدا خصوصا بمقارنته بمعطيات التوطن البشري بمنطقة الحصنة في الفترة

السابقة للإسلام والفترة التي تلت سيطرة الجماعات الهلالية على تلك المجالات. فقد حاولت تتبع تطور المدينة ووضع تحقيب زمني لذلك كان أساسا لبناء الموضوع ووضع الفصول.

أما الصعوبات التي إعتزنتني طيلة فترة البحث، تمثلت أساسا في شح المادة الخيرية، التي تتكلم عن المنطقة في العصر الوسيط، فكل ما جمعته عبارة عن شذرات استقيتها من مصادر متنوعة من كتب الرحلات والجغرافيا، والحوليات التاريخية، وكتب التراجم، فضلا عن صعوبة التعامل مع المادة العلمية التي تمكنت من جمعها لقلتها.

تنوعت مصادر البحث ما بين كتب الأخبار والتراجم وكتب الرحلات والجغرافية الوصفية:

**كتب الأخبار:** تعتبر من المصادر المهمة في البحث لما تتضمنه من إشارات تاريخية مفيدة ومتنوعة ساهمت في إثراء موضوع الدراسة خاصة في الفصل الثاني والثالث منها:

- كتاب "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لابن خلدون (ت808هـ/1405م)، لا سيما الجزء السادس منه، الذي ساعدني في تحديد توزيع القبائل البربرية والعربية.
- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (توفي بعد 712هـ/1312م) خاصة الجزء الأول الذي تناول تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة المرابطية.
- كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت630هـ/1230م) وكان الجزء السابع أكثر استعمالا وأفادني خاصة في تحديد تاريخ بعض الأحداث المهمة في البحث.
- كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري (ت733هـ/1338م) استفدت أكثر من الجزء الرابع والعشرون لأنه يتحدث عن الدولة المرينية.
- كتاب "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" لابن حماد الصنهاجي (ت626هـ/1230م) قدم لنا تفاصيل دقيقة وكثيرة وكأنه شاهد عيان عن أخبار ملوك الدولة الفاطمية خاصة في بلاد المغرب، وما تعلق بتأسيس مدينة المسيلة.

- كتاب "الحلة السيرا" ابن الأبار (ت 595هـ/1199م) بجزئيه الأول (ملوك الدولة الفاطمية) والجزء الثاني (حكام الدولة الزييرية).
- كتاب "عيون الأخبار وفنون الآثار" للداعي إدريس (ت 872هـ/1488م) يذكر تفاصيل دقيقة وكثيرة عن الدولة الفاطمية استفدت منه في ثورة أبي يزيد مخلد حتى وصوله إلى المسيلة.
- كتاب "إفتتاح الدعوة" للقاضي النعمان الطي ذكر فيه الدعوة الفاطمية و ما مرت به في بلاد المغرب خاصة في منطقة طبنة خاصة و الأوراس عامة.
- كتب الرحلات والجغرافية الوصفية: لقد وفرت لنا معارف متنوعة، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ودينية، ومذهبية، وثقافية، لأنها قامت على المعاينات الشخصية والملاحظات المباشرة، خاصة بعد الربط بين جغرافية المكان ومؤهلاته الاقتصادية و حياة الشعوب، إلا أن المعلومات فيها تكاد تكون متكررة استفدت منها أكثر في الفصل الثاني (تأسيس المدينة).

كما أنها تحتزن في بطونها مادة تاريخية مهمة، استفدنا منها في الحديث عن الجغرافية البشرية و الاقتصاد و العمران في مقدمتها:

- كتاب "المسالك و الممالك" لأبي عبد الله البكري (ت 487 هـ/1094 م):

الذي أمدنا بمعلومات قيمة حول الوصف الجغرافي لمدينة المسيلة من موقع و تأسيس و أبرز من تولى الحكم فيها

- كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبد الله الشريف محمد بن محمد الإدريسي (ت 560هـ/1164م)<sup>1</sup>

حيث استفدنا منه في بيان جغرافية مدينة المسيلة و في تصوير حالتها الاقتصادية المنتعشة ( الزراعة ) و ذكر أهم مدنها ، و كذلك رسم الخطوط التي تربط مدينة المسيلة بمواضير المغرب الإسلامي . رغم أن صاحبه ألفه بعيدا

<sup>1</sup> - أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الإدريسي ولد سنة 493هـ/1100م و هو من سلالة الأشراف الأدارسة، نشأ نشأة علمية، و طاف كثير من النواحي و الأصقاع في العالم الإسلامي و الأوروبي، فاطلع على حياة و أحوال و عادات أهلها، و بعدها ألف كتابه فكان عبارة عن موسوعة جغرافية تاريخية ؛ أشرف يعقوب أحمد اشتبوي، الأندلس في عصر الولاة 138/91هـ-711-756م، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2004، ص 25.

عن المغرب الإسلامي في صقلية، إلا أن ملاحظات الإدريسي كانت قيمة و دقيقة، خصوصا في رسم ملامح الاقتصاد المسيلي و أثره في تواصل المسيلة مع غيرها من أقطار العالم الإسلامي .  
كما استفدت منه أثناء التعريف بالمدن و المواقع و القلاع التي وردت فيها ، و يمتاز عن غيره بأنه يقدم معلومات تاريخية أثناء حديثه عن المواقع الجغرافية.

- كتاب " معجم البلدان " لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي(ت 626هـ/1228م )

يقع كتابه في سبعة أجزاء، و هو معجم جغرافي و كتاب تاريخ و أدب، شمل كل أنحاء العالم الإسلامي، و قد سار في ترتيبه على حروف المعجم و قد أفادنا كثيرا أثناء التعريف ببعض المفاهيم و المواقع و الأمكنة.

- كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " لأبي عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري(ت866هـ/1461م )

الذي يعد موسوعة جغرافية جاء مرتبا حسب حروف المعجم ، و قد اعتمد في تصنيفه على من سبقه من الجغرافيين أمثال الإصطخري (ت 346هـ/957م ) و الإدريسي (ت 560هـ/1164م ) إضافة إلى المعلومات الجغرافية التي يقدمها، فقد أفادنا بمعلومات تاريخية و قد اعتمدنا عليه في الترجمة لبعض المواقع الجغرافية، غير أنه لم يصرح فيه عن مصادره التي استخدمها في جمع مادة هذا الكتاب، و لكن يغلب على معظم عباراته لفظة " قالوا " بمعنى انه كان يقتبس عن من سبقه أو يعتمد على الرواية الشفوية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف علاوة عمارة على قبوله الإشراف على هذا البحث المتواضع، وعلى اهتمامه و صبره طيلة الفترة التي استغرقتها في إنجاز هذه المذكرة والذي لم يبخل عليا بملاحظاته و توجيهاته القيمة في هيكل البحث وإخراجه في صورة لائقة، فله مني فائق الاحترام والتقدير.  
كما لا أنسى الأستاذة :كمال بلمارس ،ومزهودي المسعود ،باقة رشيد،خالدي،عبد الغني حروز ، كمال بيرم ، خير عامر ،واحمد مسعود من جامعة محمد بوضياف بالمسيلة على مساعدتهم و دعمهم لي، وقارة مبروك وكل من ساعدني في البحث من قريب أو بعيد.

# الفصل الأول:

## الأصول القديمة والوسيطلة لمنطقة الحضنة

- 1- الإطار الجغرافي لإقليم الحضنة.
- 2- تضاريس إقليم الحضنة
- 3- استيطان بشري قديم.
- 4- تعدد المواقع التاريخية القديمة بإقليم الحضنة.
- 5- إلحاق منطقة الحضنة بالفلك السياسي الإسلامي.
- 6- السكان في منطقة الحضنة.

## 1- الإطار الجغرافي لإقليم الحضنة

ينتمي إقليم الحضنة جغرافيا إلى منطقة السهول المرتفعة المحصورة بين السلاسل الجبلية المرتبطة في الشمال بالبحر، وفي الجنوب بالصحراء أو ما يعرف بإقليم النجود الذي يشمل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، وقد اختلف الباحثون في الفصل بين كون إقليم النجود الذي تنتمي إليه منطقة الحضنة سهولا أو هضابا، فالبحوث بشأنه تمت على أساس التكوينات الرسوبية الحديثة، التي جلبتها السيول المنحدرة من الجبال المجاورة لها، فغطت هذه السهول المرتفعة وحولتها إلى هضاب عليا.<sup>1</sup>

يتمركز إقليم الحضنة حول منخفض تقل نسبة ارتفاعه على مستوى سطح البحر بـ400م وما دون الصفر في نواته الأساسية المغمورة تحت مياه السبخة، ويتميز إقليم الحضنة بخصائص جغرافية، قلما يشاركه فيها إقليم آخر في بلاد المغرب، سواء من ناحية السطح أو المناخ أو النشاط الاجتماعي والاقتصادي.<sup>2</sup>

موقع الحضنة الذي تبدو فيه محاطة بحزام جبلي من الشرق والشمال يتراوح ارتفاعه بين 1400م و 2000م يربط بين سلسلة الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، وهذا التكوين الجيولوجي كان سببا في تسمية الرقعة الجغرافية المحصورة بينهما بالحضنة،<sup>3</sup> وقد شكلت سلسلة جبال ونوغة وبوطالب والمعاضيد وبلزمة قوسا يحد حوض الحضنة من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية<sup>4</sup> فيحجب عنه الأفق، ويزيد من عمق الحوض، حيث تكون مرتفعات متليلي من الناحية الشرقية حدا فاصلا بين حوض الحضنة وحوض الزيبان، أين تتناثر مرتفعات متقطعة إلى الجنوب من الحوض هي أشبه بشظايا منفصلة عن جبال الزيبان.

أما من الجهة الجنوبية فتطل مرتفعات أولاد نايل برؤوسها في شكل تضاريس مغايرة للجهة الشمالية، وبهذا الوضع المورفولوجي لا يجد حوض الحضنة متنفسا له سوى من الجهة الغربية حيث تمتد السهول العليا الغربية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - نفسه، ص 14.

3- Jean Despois, *Le Hodna*, Paris, Presses universitaires de France, 1953, p 02-07.

<sup>3</sup> - Salim Sebhi, *Mutations du monde rural algérien le hadan*, Office des publications universitaire, Alger, 1987, p.50.

<sup>4</sup>- Mohamed Meouak, «Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques, organisation des terroirs», *Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée*, 2010, p.05.

<sup>5</sup> - محمد البشير شنيقي، "حوض الحضنة في العهد الروماني"، أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995، ص 67.

وبذلك تسمح بمرور المؤثرات الغربية الرطبة بالإضافة إلى وجود سبل الاتصال البشري التي اتخذت من الوديان مسالك، كما هو شأن وادي بريكّة ووادي القصب ووادي اللحم التي تكون معابر رئيسية بين الحضنة والتل،<sup>1</sup> كما ساهم تقطع مرتفعات الزيبان في تشكيل معابر سهلة بين إقليم الحضنة والزيبان، مما جعل الإقليمين مرتبطين على مر العصور، أما مرتفعات أولاد نايل مع جبال الزاب تركت ممرات أساسية بين شمال الصحراء وحوض الحضنة وربطت الصلة بينهما.<sup>2</sup>

لذلك تشكل منطقة الحضنة بتعدد حدودها واتصالاتها الطبيعية وحدة سطحية كاملة بقدر ما تشكل تنوع بيئي مع خصوصياتها التي تأتي من بنيتها الجيولوجية الخاصة بها، ومن مناخها الخاضع لعوامل التعرية من جهة وعوامل الردم من جهة أخرى، بالإضافة إلى تأثير المناخ الجاف على النباتات، هذا ما جعل من الإنسان الحضني محل تنقل دائم نحو المياه والكلأ في ظروف طبيعية سهلة ودون حواجز طبيعية.<sup>3</sup>

## 2- تضاريس إقليم الحضنة:

### - الجبال:

تعتبر جبال الحضنة حلقة ربط بين سلسلة الأطلس التلي وسلسلة الأطلس الصحراوي، وذلك باتصالها بجبال الأوراس الجنوبية وجبال الحضنة التي تشكل الحدود الشمالية لمنطقة الحضنة، التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتراوح ارتفاعها بين (1400م - 2000م<sup>4</sup>) ممثلة في جبال ونوغة (1400م) غربا وجبال الأوراس شرقا، وجبال المعاسيد (1863م) و بوطالب (1800م) المحاذية للسهول القسنطينية شمالا، أما الجهتين الجنوبية والغربية، فلا يزيد علو المرتفعات الجبلية الممتدة من جبال الزاب عن (700م - 1000م) في الجهة الجنوبية الشرقية، كما تعتبر جبال بوسعادة، ورسالات وجبال أولاد نايل الحدود الجنوبية الغربية للحضنة بارتفاع يتراوح بين (1000م - 1300م)، وتعتبر هذه السلاسل الجبلية مصدر أودية الحضنة وشطها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p.07.

<sup>2</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج1، ص.160.

<sup>3</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p.56.

قدم الجغرافي الفرنسي ديويو Despois مساهمات عديدة ومؤلفات حول جغرافية وسكان الحضنة ومواضيع متنوعة من خلال عمل ميداني قام به بداية الحرب العالمية الثانية ثم واصله بعد نهايتها وجاب خلال بحثه سهول وجبال الحضنة.

<sup>4</sup> -Salim Sebhi, *op. cit.*, p.50.

<sup>5</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p.07.

في حين حدود الجهة الغربية غير واضحة المعالم، حيث يتم التدرج منها إلى السهول العليا عن طريق السهول الفيضية لوادي اللحم، ومن الملاحظ أن هذه السلسلة الجبلية غير منغلقة تماما نظرا لاتصالها بالسهول العليا القسنطينية عن طريق منفذ وادي بريكة وبالسهول الشلفية عن طريق منفذ وادي اللحم.<sup>1</sup> فالحوض إذن ليس إلا منطقة لأراضي مسطحة تعرف بالجر يتراوح ارتفاعها ما بين (400م-700م)، تمتد من الشرق إلى الغرب، ويتسع الحوض كلما اتجهنا شمالا، وتتكون من مسطحات كبيرة، تتخللها سلسلة من الأودية المنحدرة من الجهة الشمالية، أما الجهة الجنوبية فهي أقل امتداد تغطيها كتبان رملية كثيفة.<sup>2</sup>

### - السهول:

تغطي مساحتها ثلثي الحضنة<sup>3</sup> بمساحة قدرت ب 8600 كلم<sup>2</sup> تمتد حتى مشارف الحضنة، متنوعة من الناحية الشمالية والشرقية كسهول سيدي عيسى وسهول البحيرة، سهول الحضنة ونقاوس شرقا والتي تعتبر مدخل الحضنة الشرقية وهي منخفضة في الجهة الشرقية على السهول القسنطينية المرتفعة، ومن الغرب على السهول الوسطى التلية للجزائر، وهي محاطة بمدن الحضنة الرئيسية: مدوكال في الجنوب الشرقي، نقاوس في الشمال الشرقي، والمسيلة في الشمال وسيدي عيسى في الشمال الغربي، وبوسعادة في الجنوب.<sup>4</sup> أما باقي السهول فأكثرها انتشارا بالمنطقة وعادة ما تقطعها أودية، كالسهول التي تقع شرق وغرب وادي القصب وهي أقل ارتفاعا من السهول السابقة الذكر على عكس السهل الجنوبي<sup>5</sup> الذي يعرف بالرمل هو مساحة واسعة من الأراضي تحيط بشط الحضنة من الجهة الجنوبية ويمتاز بانخفاضه وترتبه الرملية ويمتد بين الحدود الجنوبية شط الحضنة والحدود الشمالية سهل بوسعادة<sup>6</sup>، ويبدأ من محور الوطاية إلى جبال بوزكرة والمحارقة في الشرق، إلى واحة بوسعادة في الغرب قريبة من صحراء أولاد سيدي إبراهيم وأولاد سيدي

<sup>1</sup> - Salim Sebhi, *op. cit.*, p.50- 51.

<sup>3</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص- ص160-161.

<sup>4</sup> - Mohamed Meauak, *op. cit.*, p.5.

<sup>5</sup> - Charles Féraud, «Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj –Bou-Arredidj –M'sila et Bousaada » *Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 1871-1872, p.334.

<sup>6</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p.110.

هجرس في الغرب<sup>1</sup>، وتعد السهول الشمالية من أهمها لكونها منطقة عالية الخصوبة وصالحة للزراعة نظرا لاعتماد سكان المنطقة على مجاري وسيول الفيضانات لري تلك الأراضي.<sup>2</sup>

### - الشط:

يعرف كذلك بالسبخة يعتبر أسفل حوض الحضنة من الناحية الطبوغرافية ومن أهم المنخفضات الواقعة بشمال بلاد المغرب من حيث اتساع مساحته وانخفاض سطحه ويتركز بالأخص في منطقة الالتقاء بين الإقليم الشمالي والجنوبي<sup>3</sup>، أطلق عليه الرومان قديما اسم (Salinae Tubenense) نظرا لقربه من المدينة الرومانية القديمة طبنة (Thubuna)<sup>4</sup>، وهو حوض يغطي مساحة 110.000 هكتار يلتقي فيها 23 مجرى مائي كواد القصب، ووادي الشلال، ووادي بوسعادة، ووادي سلمان ووادي بريككة ووادي اللحم، 60 منبعاً و 13 بئراً ارتوازيًا ويتلقى سنويا مياه تقدر بـ150 مليون م<sup>3</sup>، وهو ذات طبقة ملحية، وعديم النباتات<sup>5</sup> ولا تتعدى كمية التساقط شمال الشط عن 400 ملم وجنوبه 200 ملم كما لا يزيد معدل الحرارة القصوى عن 37<sup>0</sup> ولا تقل عن 0<sup>0</sup> شتاء.

وأما موقع الشط \* واتساع مساحته داخل إقليم الحضنة يعد المنفذ الأساسي لتدفق مياه الأودية العديدة ويساهم بذلك في توازن الدورة الهيدرولوجية لمنطقة الحضنة،<sup>6</sup> وقد كونت هذه الأقسام المتباينة من حيث الحيوية الاقتصادية والبشرية تكاملاً فيما بينها وبين الإنسان الحضني وبين الجوار الجغرافي من جهة ثانية، مما جعلها تحظى باهتمام الدويلات والحضارات المتعاقبة على البلاد والتي تركت بصماتها في ما بقي من منشآت عمرانية واقتصادية.<sup>7</sup>

1 - fiche de dénombrement hivernales des oiseaux d'eau :chot el hodna ,1999/2000 ,conservation des forets de la wilaya de M'sila.p 110.

2 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص- ص160-161.

3 - عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص14.

4 - Charles Féraud, *op. cit.*, p.334.

5 - بطاقة تقنية عن شط الحضنة، مديرية السياحة لولاية المسيلة.

\* ينظر الملحق 04: الموقع الجغرافي للشط في إقليم الحضنة، ص 133.

6 - fiche de dénombrement hivernales des oiseaux d'eau ,op.cit,p110.

7 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص160. ويذكر وجود بقايا عمرانية واقتصادية مختلفة في مدينة المسيلة، و تارمونت وفاقس وزاوي القديمة كالسدود وقنوات المياه والأحواض، ينظر : نفسه، ص118.

## - المناخ:

ينتمي إقليم الحضنة للمنطقة السهبية ذات المناخ شبه المداري الجاف، خاضعة بذلك لتأثيرات المنطقة البحرية في الشمال والمنطقة الصحراوية في الجنوب، فتتناوب عليها المؤثرات الصحراوية المتطرفة من جهة و المؤثرات البحرية المعتدلة من جهة أخرى، هذا ما جعلها شديدة البرودة شتاء وحارة وجافة صيفا، وقد ترتبت عن هذه الوضعية الجغرافية لإقليم الحضنة تعقيدات مناخية كنقص كمية التساقط التي تتراوح بين (200-400) ملم سنويا<sup>1</sup>، نظرا لتدخل عامل التضاريس الذي جعل من قوس المرتفعات المحيطة ببلاد الحضنة من الجهة الشمالية حاجزا طبيعيا لمرور التيارات البحرية<sup>2</sup> مما أثر في عملية توزيع الأمطار وعلى العكس من ذلك يتعرض حوض الحضنة إلى التأثيرات المناخية للسهب الغربية وبحكم القرب منها والصحراء لانفتاحها عليها<sup>3</sup>، لذلك يمكن اعتبار مناخ الحضنة بالصحراوي أكثر منه بالتالي وهذا ما جعل وصف سهول الحضنة بأنها تشكل في قلب الجزائر خليجا من الجفاف والحرارة<sup>4</sup>، بحيث تلتقي عدة أنواع من الرياح تهب على منطقة الحضنة من جهات مختلفة وتسمى بالإتجاه القادمة منه.<sup>5</sup>

- 1- الرياح الشمالية الغربية (الظهراوي) رياح باردة وممطرة.
- 2- الرياح الشمالية الشرقية (البحري) ممطرة ومثلجة على المرتفعات الشمالية تهب شتاء من جهة البحر.
- 3- الرياح الشرقية (الشرقي) جافة في فصل الصيف وباردة شتاء عندما يكون جبل الأوراس مغطى بالثلوج.

<sup>1</sup> - Jean Despois, *op.cit.*, p.26.

<sup>2</sup> - اصطيفان إكميل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة، محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، الرباط، 2007، ج1، ص 67.

<sup>3</sup> - سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 11.

<sup>4</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص 160.

<sup>5</sup> - Jean Despois, *op.cit.*, p.20-21.

4- لرياح الجنوبية هي رياح جافة تنتج عنها في بعض الأحيان زوايع رملية خاصة في فصل الصيف تسمى القبلي أو الشهيلي عندما تهب من الجهة الجنوبية الشرقية والغربي عندما تهب من الجهة الجنوبية الغربية تتميز بالجفاف ونادرا ما تأتي بالأمطار.<sup>1</sup>

غير أن هذه المميزات المناخية لم تحرم سهول الحضنة من مصادر المياه، فهي تتوفر على مخزون متجدد من المياه الجوفية التي تتغذى بمياه الأودية المنحدرة من الجبال التلية، وهذا ما زاد من حيوية المنطقة زراعيا، وجعلها متميزة بخصوصيات منذ فترة الرومان<sup>2</sup> إلى بناء مدينة المسيلة وتطورها فيما بعد.

### 1- لشبكة الهيدوغرافية للحضنة:

عن الدراسة الجيولوجية لمنطقة الحضنة يقول سافورن (Savorin) أن كلمة الحضنة تنطبق على حوض هيدوغرافي كبير تتكون حوافه من حواجز جبلية تحيط بالسهل الذي يمثل الحوض المستقبل للماء، كما شبه الحوض في شكله بورقة العنب له حدود واضحة في خط توزيع المياه<sup>3</sup>. فالشبكة المائية للحضنة تتمثل أساسا في الأودية خاصة المنحدرة من الجبال الشمالية والشرقية والتي تتميز بقصرها وانحدارها وعدم انتظام جريانها وذلك وفقا لكمية التساقط، حيث تجري فيها المياه في فصل الأمطار وتجف صيفا<sup>4</sup>، وبذلك يكون نظام جريان أودية الحضنة بتعاقب السنوات الجافة التي تتخللها بعض السنوات الرطبة التي تأتي بفيضانات، وأودية الحضنة شأنها شأن كل الأودية العابرة للكتل الجبلية والفاحة لممرات وصل بين الهضاب العليا السهبية والوسطى، غير أن هذه الأخيرة تصب مباشرة في اتجاه السبخة، لتتحول إلى مياه جوفية فتشكل موردا مائيا آخرا، هذا ماجعل معظم أودية الحضنة التي تنبع من السلاسل الجبلية المحيطة بالإقليم من الشمال والشرق تصب في الأحواض المغلقة والشطوط المألحة إلا أنها تتميز بمنسوب مائي قليل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> -Justin Savorin, *Etude géologique de la région du Hodna et du plateau sétifien*, Alger, Carboral, 1920, p. 26.

<sup>2</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص161.

<sup>3</sup> - Justin Savorin, *op. cit*, p.34-35.

<sup>4</sup> - عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص - ص 28-29. ويضيف اصطيغان إكميل أن كمية الأمطار بحوض الحضنة قليلة خاصة في الشمال الشرقي والشط التي كانت تعتبر من الصحراء في نهاية القرن الخامس الميلادي، ينظر: اصطيغان إكميل، المرجع السابق، ص101.

<sup>5</sup> - سعد سليمان: منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، ص13.

ومن أهم الأودية التي يتميز بها إقليم الحضنة، وادي اللحم من أهم الأودية في الجهة الغربية وادي القصب، وادي لقمان المنحدرة من جبال ونوغة الذي شهد أعمال هامة في العصور القديمة، لا زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا، أما الأودية المنحدرة من جبال الحضنة فتتمثل في وادي سلمان ووادي برهوم ووادي سوبلا وبوطالب، أما الأودية المنحدرة من جبال بلزمة هي وادي بيطام وبريكة.<sup>1</sup>

### 3- استيطان بشري قديم:

شهدت منطقة الحضنة عبر تاريخها أحداث مهمة تعود برموزها ونقوشها إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد دلت شواهد على تعاقب عدة موجات منها الرومانية والوندالية والبيزنطية والوجود الإسلامي<sup>2</sup>، كلها تركت وراءها آثار شاهدة على تلك الحقبة، إلا أن القرون الأولى لهذه المنطقة ما تزال غامضة إلى يومنا هذا لغياب عمليات البحث والتنقيب<sup>3</sup> التي كانت بإمكانها أن تعرفنا على مراحل تطورها تبعا للمراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة.<sup>4</sup>

لقد توفرت منطقة الحضنة على بيئة ملائمة لضمان معيشة الإنسان في تلك الحقبة<sup>5</sup>، وهذا ما توضحه النقوش الجدارية المتواجدة داخل المغارات وعلى جدران الكهوف، وأهمها ما اكتشف بمغارة كاف العسل بمنطقة حمام الضلعة، والقهرة<sup>6</sup>، والعرايس بمنطقة بن سرور، وكذا الصناعات الحجرية المتمثلة خاصة في الصوان المنحوت، المنتشرة بمنطقة عين غراب جنوب مدينة بوسعادة.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - Salim Sebhi, *op. cit.*, p.75-76.

<sup>2</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهد على نوميديا الشرقية"، مجلة الثقافة، ع 16، 2007، ص 108.

<sup>3</sup> - سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، ص 15.

<sup>4</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، ص 179.

<sup>5</sup> - نادية بجرة، "مواقع ما قبل التاريخ في منطقة الحضنة"، دفاثر الملتقى، المسيلة، 2009، ص 07. (مداخلة غير منشورة)

<sup>6</sup> - مركز عمري قديم يرجعه المؤرخ مولير Muler إلى الفترة الليبية يحتل مركز القهرة العسكري، حيزا جغرافيا هاما بالضفة اليسرى من وادي الشعير، وقد تم اكتشاف الهوية العسكرية للقهرة باكتشاف معالم التحصينات الرومانية بجرائبه من قبل الضباط الفرنسيين أثناء حملات إخضاع الصحراء عقب احتلال الجزائر، ينظر: محمد البشير شنيقي، "حوض الحضنة في العهد الروماني"، ص 70.

<sup>7</sup> - تتمثل في عشرات من الأشكال المنقوشة على كتلتين من حجر الحت بالقرب من سيدي عثمان الواقعة على بعد 10 كلم جنوب غرب بلدية بن سرور، نادية بجرة، المرجع السابق، ص 06.

بالإضافة إلى العديد من المنشآت الجنائزية<sup>1</sup> المتمثلة في الجثوات<sup>2</sup> (Tumulus) على ضفاف وادي الشعير، وتنفرد منطقة الحضنة بوجود مقبرة دولمات<sup>3</sup> (Dolmens) في جبل الجر بمنطقة المعاضيد وتعتبر من بين المقابر النادرة في منطقة الهضاب العليا.

إن الخريطة السياسية لبلاد المغرب\*، تبين تواجد الحضنة ضمن مملكة نوميديا الشرقية المعروفة قديماً بماصيليا (Massyles) والتي خضعت لحكم الملك غايا، وأصبحت بلاد الحضنة تحت لواء المملكة الموحدة بين سنتي (203-193 ق.م)<sup>4</sup> وذلك بعد الحملات العسكرية التي قام بها ماسينيسا، وبعد وفاته تدخلت روما لتزعزع العرش النوميدي، وتكون الحضنة ضمن مملكة نوميديا الشرقية بقيادة أذر بعل أحد أبناء ماسينيسا سنة 116 ق.م،<sup>5</sup> وفي عام 113 ق.م تم توحيد نوميديا مرة أخرى بعد حرب كبيرة بين أذر بعل وابن عمه يوغرطة، هذا الأخير الذي استنجد بقبائل<sup>6</sup> الجيتول بعد سقوط العاصمة سيرتا سنة 108 ق.م على يد القائد الروماني ميتيليوس (Mitelius)، وباتت الحضنة في حالة تمرد<sup>7</sup>، رافضة الوجود الروماني، مما دفعها بالاستنجد مرة أخرى بالقائد تكفاريناس سنة 17 ق.م.<sup>8</sup>

1 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 108.

2 - تسمى بقبور التلال، عبارة عن ركام من الحجارة يغطي قبراً بسيطاً أو على شكل غرفة جنائزية، وهو نمط من القبور منتشرة بالمغرب العربي والعالم القديم بصفة عامة، ينظر: نادية بجرة، المرجع السابق، ص 07.

3 - هو نوع من القبور مبني ببلاطات حجرية عمودية تحمل بلاطة كبيرة أفقية انتشر بالمناطق الساحلية الأطلسية والمتوسطية ابتداءً من العصر الحجري الحديث إلى غاية عصر المعدن، انتشرت هذه القبور بالشمال الشرقي للجزائر، ينظر: نفسه، ص 07.

\* ينظر الملحق رقم 01: بلاد المغرب قبل الحرب البونية الثانية (218 ق.م)، ص 130.

4 - محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، الجزائر، 1985، ص 18.

5 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص - ص 108-109.

6 - يرى غابريال كامبس أن الجيتول الشعب الثالث الذي يعمر إفريقيا الشمالية، سمي الجيتول من القدامى، ومناطق تركز هؤلاء الجيتول غير محدد بدقة، لكنه يضيف بقوله أن الجيتول ينتشرون في السهوب والصحراء معاً، ينظر: غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق، العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص - ص 180-181؛ في حين صطيفان إكميل حدد مناطق تواجد الجيتول وأن اسم جيتوليا فكان القدامى يطلقونه على منطقة داخلية تقع بين المناطق المجاورة للساحل والصحراء، ينظر: صطيفان إكميل، المرجع السابق، ج 1، ص 135.

7 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 48.

8 - سعاد سليمان، "منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة"، ص 16.

وصل الاحتلال الروماني إلى منطقة الحضنة في وقت مبكر نظرا للحيوية الاقتصادية والعسكرية التي تتمتع بها منطقة الحضنة وتجلت هذه الأهمية بوضوح خلال القرن الثالث ميلادي<sup>1</sup> ، إلا أن البعض يرجعون الوجود الروماني إلى فترة الإمبراطور تراجا نوس حسب ما دلت عليه مجموعة من النقود عثر عليها بزاي (بشيلقا) ضربت في عهد الإمبراطور تراجانوس ( 98 - 117م )<sup>2</sup>.

وكانت طبنة محل إقامة حاكم إفريقية بونيفاس عام 427م، قائد الإمبراطورية الرومانية الغربية، حيث استقبلت مجموعة من المستوطنين الرومان، وأثناء إنجاز القائد الروماني هادريانوس لطريق عبر جبال الأوراس سنة 145م قام باستغلال منطقة الحضنة، لكونها معبرا سهلا وبها أراضي خصبة وكثيرة المؤن، وأول محطات هذا الطريق سيلاص (Cillas) المعروفة بالحربة الزرقاء، وهذا ما دلت عليه الكتابة الأثرية التي عثر عليها غرب مدينة طبنة ثم محطة ماكريس (Macris) وبعدها زاي (Zabi)<sup>3</sup> حيث ذكر فيرو بأن معظم أطر أبواب المنازل بمدينة المسيلة وكذلك المساجد مزينة بحجارة منحوتة رومانية الأصل وذكر سكان المسيلة أن هذه الحجارة جلبت من خرائب من مدينة رومانية تقع شرق المسيلة تدعى بشيلقا بالإضافة إلى إنشاء قناة سقي الأراضي الزراعية جلبت مياهها من وادي القصب، ولا تزال آثار هذه القناة إلى اليوم، ثم أراس (Aras) تارمونت<sup>4</sup>.

وقد أكد جون دسبوا على الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها الحضنة والتي أدت إلى جذب العدو نحو الجنوب، وبذلك فهي لم تكن منطقة حدودية فحسب بل كانت أرض زراعية خصبة تحتل صدارة أراضي نوميديا وموريطانيا الشرقية<sup>5</sup>، كل هذه الإمكانيات الاقتصادية التي تتوفر عليها الحضنة جعلت منها مطمعا للاستغلال الروماني الذي امتد إلى ما رواء جبال الحضنة للاستفادة من الأراضي الموجودة بها<sup>6</sup>.

1 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 109.

2 - خالدية مضوي، تاريخ مدينة المسيلة إبان الاحتلال الروماني، دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، ص 09. (مداخلة غير منشورة)

3 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهد على نوميديا الشرقية"، ص 109.

4 - Charles Féraud, *op. cit.*, p.322-323.

5 - Jean Despois, *op. cit.*, p.103.

6 - محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ج 1، ص 84.

ولم يكتف الرومان من استغلال المنطقة اقتصاديا بل عسكريا كذلك خاصة في المرحلة الأخيرة من حكم الأسرة السفيرية التي تم فيها إنشاء حصون ومراكز مراقبة في عمق الصحراء عند معابر الطريق الرابط بين الصحراء والتل<sup>1</sup> وكان ذلك في نهاية القرن الثاني والثالث الذي بلغت فيه الحدود الرومانية أقصى امتدادها بالجنوب الموريطاني و النوميدي.<sup>2</sup>

وبهذا جعل الرومان من الحضنة طريقا رئيسيا يربط بين المقاطعات الإفريقية حيث تلتقي فيه الطرق الفرعية المؤدية إلى الشمال نحو الموانئ، والجنوب نحو الصحراء<sup>3</sup>، وعند الغزو الوندالي لشمال إفريقيا في القرن الخامس ووصوله إلى نوميديا وموريطانيا السطافية، قضاوا على كل التحصينات التي أقامها الرومان بمنطقة الحضنة كزابي (Zabi) وطبنة وفاقس (Vaccis) وخربة الرصاص التي كانت لهم شأن كبير في الإنتاج الزراعي والتبادل التجاري بين مدن الداخل والجهة الغربية للحضنة بحيث كانت تمثل محطات تجارية لانتقال السلع والمواد الزراعية<sup>4</sup> وقد اختلف الباحثين حول علاقة مملكة الحضنة بالوندال في تلك الفترة فيرجع بعضهم إلى أنه كانت تربط ملك الحضنة أوريتاس (Orthayas) علاقة طيبة مع الوندال إلى درجة أن رجال الدين الكاثوليك الذين حكم عليهم بالإبعاد وقد وجهوا إلى مملكة الحضنة لثقة الملوك الوندال بها.<sup>5</sup>

أما البيزنطيون فقد افتكوا بلاد المغرب من الوندال، وكان هدفهم ضم كل المناطق التي احتلها الرومان من قبل، وقد بدأ القائد البيزنطي هذا المشروع التوسعي، وكانت منطقة الحضنة من أهم المناطق التي توجب عليهم ضمها لأهميتها الدفاعية.<sup>6</sup>

1 - محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 239.

2 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 2، ص 118.

3 - سعاد سليمان، " منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة "، ص 17.

4 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 2، ص 339.

5 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 2، ص 452-461، سعاد سليمان، " بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهد على نوميديا الشرقية"، ص 109-110.

6 - لخضر فاضل، " المنشآت الرومانية والبيزنطية بمنطقة الحضنة"، دفاتر الملتقى، مجلة خاصة بالملتقى الوطني الأول حول تاريخ أعلام المسيلة، المسيلة، 2009، ص 16. (مداخلة غير منشورة)

فأرسل الإمبراطور جوستينيان (Justinian) قائده بليزار (Belisaire) الذي بدأ إعادة بناء المدينة القديمة زابي (Zabi) منذ 533م واستكمل بناءها فيما بعد جرمان (Germain)، ثم خلفه سالومون (Salomon) الذي واصل بعد إخضاع نوميديا توسعته غرب جبال الأوراس والزاب<sup>1</sup>، والحضنة وبلزمة حيث مملكة أوريتاس (Orthayas) وذلك بعد أن تخلّى هذا الأخير عن تحالفه مع البيزنطيين ودخل في مواجهة ضدهم بعد أن استقبل الموريين الذين طردهم سالومون (Salomon) من الأوراس وبعد ضمه لموريطانيا السطيفية سعي سالومون (Salomon)<sup>2</sup> لحماية مناطق الاحتلال البيزنطي وذلك بإقامة تحصينات قوية مثل طبة وزابي التي لقبوها بزابي جوستينيان (Zabi Justiniana)<sup>3</sup> تتصل هذه المدن بعدد كبير من الحصون والمخارص والأبراج الشديدة التحصين وحسنة التموين، مهمتها حراسة الحدود ومراقبة تحركات القبائل ومنع تسللها إلى ما وراء الليمس، كما كانت تمثل قواعد للحملات العسكرية الموجهة لإخضاع البلاد الخارجة عن سلطة الاحتلال البيزنطي.

وقد امتد نفوذ البيزنطيين في السهول الشمالية الغنية بالمياه الآتية من السلاسل الجبلية التلية، كما عملوا على مراقبتها عبر مدن في الحضنة كفافس (Vaccis)، وقد شهد النصف الثاني من القرن السابع الميلادي دخول الجيوش الإسلامية إلى بلاد الحضنة على غرار باقي مناطق إفريقية وبلاد البربر، وهذا ما سنراه لاحقاً<sup>4</sup>.

#### 4- تعدد المواقع القديمة بإقليم الحضنة:

قبل النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي لا نعرف شيئاً عن مدن إقليم الحضنة\*، ما عدا ما يتعلق بالإرث الروماني المتمثل في الليمس وهو خط وقائي عسكري، مهمته الدفاع ومراقبة المنافذ المؤدية إلى التل والأودية، وقد ساعد ذلك الرومان على استغلال أراضي المنطقة من الناحية الزراعية، وهذا ما تبينه سياستهم الاقتصادية من خلال تعزيز شبكة الري عبر جزء هام من المنشآت الفلاحية للمنطقة<sup>5</sup>.

1 - لخضر فاضل، المرجع السابق، ص 16.

2 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 110.

3 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، ص 179.

4 - لخضر فاضل، المرجع السابق، ص 16.

\* ينظر الملحق 03: منطقة الحضنة في الفترة القديمة، ص 132.

5 - Jean Despois, *op. cit.*, p. 99-100.

فلاحظ العديد من الإنجازات في العديد من المدن القديمة، ولا تزال آثارها باقية متمثلة في مختلف المنشآت المائية القديمة كالسدود والخزانات وقنوات نقل المياه والصحاريح،<sup>1</sup> لكن بعد سقوط روما عرفت الحصنة ظروف تاريخية مغايرة، حيث شهدت عدة حقبة تاريخية متتالية، كالغزو الوندالي في القرن الخامس ميلادي (5م) الذي قضى على أهم المواقع الرومانية بالمنطقة والوجود البيزنطي في القرن السادس ميلادي (6م) والفتح الإسلامي في القرن السابع ميلادي (7م).<sup>2</sup>

### - عين قريميدي (Grimidi):

تقع منطقة قريميدي بالقرب من منطقة سيدي عيسى الواقعة على بعد 50 كلم من أراس (تارمونت) على الطريق الرابط بين أوزيا (Auzia) و(سور الغزلان) ورابيدوم (Rapidum)، وهي حامية عسكرية مهمتها مراقبة الحوض الغربي للحصنة تمتد على مساحة قدرت بـ 4 هكتارات شمال جبل الناقة، ويرجع تاريخ بناءها إلى فترة حكم الإمبراطور سبتيوس سيفريوس (193-253م) وهذا ما تبينه الكتابة الأثرية التي اكتشفت بالمنطقة سنة 1886م، وقد حدد تاريخ البناء بسنتي 211 أو 212، وسميت قريميدي بهذا الاسم نظرا لانتشار البقايا الفخارية بالمنطقة، ثم أصبحت فيما بعد بعين قريميدي أو حصن قريميدي.<sup>3</sup>

### - تارمونت أو أراس (Aras):

مدينة رومانية يرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي (3م) تقع على الطريق الرابط بين ستيفيس وأوزيا<sup>4</sup>، وتقع شمال الحصنة الغربية وعلى حافة سهل واسع يمتد إلى غاية وادي اللحم وشط الحصنة جنوبا، محمية بمرتفعات جبال ونوغة تشغل مساحة واسعة تقدر بـ 30 هكتار على شكل ربوة ترتفع على مستوى البحر بـ 590م، تعرف حاليا بتارمونت وهي تسمية بربرية معناها أرض الرمان.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحصنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 111.

<sup>2</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p. 106.

<sup>3</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحصنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 411. وتضيف سعاد سليمان أن حصن قريميدي زود في الفترة القديمة بالمياه الصالحة للشرب، وأن عين قريميدي كانت منذ أكثر من 17 قرن تعطي سعة تدفق أهم وأكبر من التي تعطيها حاليا وهذا ما أدى إلى استغلالها بواسطة إنجاز منشآت مائية تمثلت في مد القنوات الناقلة وإقامة الخزانات لحفظ الماء وتوزيعه والتي نجد آثارها بالمنطقة إلى اليوم.

<sup>4</sup> - Paul Massiera, «M'sila du X<sup>e</sup> au XV<sup>e</sup> siècle » *Bulletin de la société historique et géographique de la région de Sétif*, 1941, p. 273.

وقدم ماسيرا تقريرا شامل عن منطقة تارمونت وهو خبير الآثار ومدير معهد الأبحاث الأثرية الفرنسية، وقد تمت عملية التنقيب والكشف سنتي (1934 - 1936م).

<sup>5</sup> - Jean Despois, *op. cit.*, p. 100-102.

ومن بين الكتابات اللاتينية التي وجدت بآراس، والتي تبين أن إتمام إنجاز حصن آراس تم في مطلع القرن الثالث خلال حكم الإمبراطور ستميوس سيفريوس<sup>1</sup>، كما ذكرت الوثائق الدينية الثلاث من أساقفة آراس في نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس.<sup>2</sup>

تتحكم آراس في منطقة جبال ونوغة ما يليها جنوبا نحو بلاد الحضنة كما أنها تحتل سفح جبل شبه منقطع عن كتلة جبال ونوغة عند مخرج وادي "سفار" الذي يشق الجبل المذكور مشكلا معبرا طبيعيا بين جنوب وشرق آراس وبين شمالي المرتفعات التي تحمي ظهر آراس وتوصلها بسهول خصبة واقعة في الجهة الغربية من تلك المرتفعات<sup>3</sup>، كما تطل على القسم الشمالي الغربي من سهل الحضنة الفسيح، مما جعل منها منطقة جغرافية ذات حيوية متميزة من حيث خصوبة التربة ووفرة المياه.<sup>4</sup>

### - زابي (Zabi):

تقع زابي المعروفة حاليا ببشيلقة (Bechilga) في الجهة الشمالية الغربية من شط الحضنة على بعد 3 كلم شرق مدينة المسيلة الحالية<sup>5</sup>، في وسط جغرافي لا يقل أهمية عن موقع طنة بحيث كانتا تتقاسمان السيطرة على القسم الجنوبي من بلاد الحضنة، وهي الواجهة الشمالية الفاصلة بين مرتفعات بلزمة والمعاضيد والسبخة (الشط)،<sup>6</sup> تعتبر زابي حصنا عسكريا رومانيا قديما، بني في إطار خط الليمس الدفاعي، الذي يربط السفوح الجنوبية لجبال الأطلس التلي ليمنع زحف البدو الرحل الذين يترددون على بحيرة شط الحضنة من الجزء الغربي<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 113.

<sup>2</sup> - Paul Massiera, *op. cit.*, p. 274-275.

وقد ذكر أسماء الأساقفة وهم Augendus سنة 339م، Dondus سنة 411م، Cabrasussa سنة 393م.

<sup>3</sup> - محمد البشير شنيقي، "حوض الحضنة في العهد الروماني"، ص 69.

<sup>4</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 113.

ما ميز منطقة تارمونت ووفرة المياه بدليل بقايا المزارع الرومانية القديمة التي توحى باستيطان زراعي واسع وهذا ما تؤيده آثار منشآت الري الرومانية وذلك للإستفادة من مياه الأودية المجاورة التي تتبع من جبل الطرف، ينظر: فاضل لخضر، المرجع السابق، ص 15.

<sup>5</sup> - Charles Féraud, *op. cit.*, p. 322-323.

الكثير من الكتاب والمؤرخين يربطون بين الاسم الروماني لبشيلقا ومدينة المسيلة وكأنها اسم لموقع واحد هو المدينة الرومانية، التي أعاد البيزنطيون بناءها بعد تعرضها للتخريب من قبل الوندال.

<sup>6</sup> - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، ص 175.

<sup>7</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الغربية"، ص 112.

وقد تم تحديد موقعها على الطريق الرابط بين أوزيا (Auzia) وسطيف،<sup>1</sup> قد ورد تحديد مساحة زابي في تقرير الضابط الفرنسي لويس شارل فيرو<sup>2</sup> سنة 1857 والذي نشره في المجلة الإفريقية فهي تحتل مساحة قدر طولها بـ1500م في اتجاه شرق غرب وعرضها 600م وأن هذه المدينة القديمة كانت تضم مباني ضخمة ولم يبق منها سوى قليل من الأحجار المنحوتة.<sup>3</sup>

لقد اهتم الرومان بهذه المدينة فقد جلبوا إليها المياه من وادي القصب بواسطة قناة لا تزال آثارها بادية إلى اليوم بشمال مدينة المسيلة،<sup>4</sup> وفي القرن الخامس تعرضت زابي لهجمات الوندال إلا أن ملوك المور استطاعوا استرجاعها وظلت تحت سلطتهم حتى مجيء البيزنطيين<sup>5</sup> حيث مجد القائد البيزنطي (Solomon) إمبراطورية جوستينان الأول (Justinana) في تسمية المدينة باسم (Zabi Justinana) وكان ذلك سنة 539م وجعلوها في شكل قلعة محصنة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - لخضر فاضل، المرجع السابق، ص14.

<sup>2</sup> - Charles Féraud, *op. cit.*, p. 322-323.

لقد أطلق اسم زابي من قبل الضابط الفرنسي والمترجمين الفرنسيين سنة 1958 وأعتبر اكتشاف أثري هام قدمه العديد من الضباط مثل: Léon Renier في دراسة نشرتها المجلة الإفريقية *Revue africaine* في شهر أبريل 1858م بالإضافة إلى دراسة أخرى قام بها محقق أملاك الدولة Poulle ونشرها سنة 1861 في المجلة الإفريقية.

<sup>3</sup> - ويبدو أن فيرو (Féraud) قد بالغ كثيرا في مساحة زابي على عكس بول (Poulle) الذي حدد المساحة التي تقع عليها زابي حوالي 1000م طولاً و 300م عرضاً. ينظر: كذلك

A. Poulle, «Ruines de Bechilga (ancienne Zabi)», *Revue Africaine*, 5 (1861), p. 204.

<sup>4</sup> - خالدية مضوي، المرجع السابق، ص08.

<sup>5</sup> - سعاد سليمان، "بلاد الحصنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص113.

<sup>6</sup> - محمد البشير شنتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص179.

حيث تم العثور على نقيشة حجرية وجدت على باب منزل القائد بن التومي سفار والتي حملت اسم Zabi Justinana وكان يقع منزله آنذاك ناحية البستان، المسمى حالياً بجنان بوديعة حسب الخريطة المصممة سنة 1870 الكتابة التي كانت على النقيشة بالرومانية هي:

Aedificataestafvndament ishvicci  
v...ovaiqvstinianazabisvbtem  
p... dominostrip...simietin victiss

وترجمت بكاملها بـ "هنا تم بناؤها منذ الأساس المدينة الجديدة زابي جوستينان تحت إمارة إمبراطورنا المنتصر. ينظر:

Charles Féraud, *op. cit.*, p. 326 و

وكمال بيرم، "كيف ارتبط اسم Zabi Justinana بالمسيلة القديمة"، مجلة صناعات النجاح، المسيلة، ع 02، 2009، ص09.

أما البكري فقد حدد موقع زابي ووصف أطلالها وبأنها تقع «على مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشيلقة فيها جدولان من ماء عذب...»<sup>1</sup>.

### - ماكريس (Macris):

هذا الموقع موجود على وادي مقرة من الناحية الجنوبية الغربية<sup>2</sup> يبعد عن سيلاص حوالي 36 كلم، مرتبطة بالطريق الروماني المتجه نحو أوزيا بالقرب من مقرة الحالية غرب المنطقة المعروفة بشبكة مقرة، حيث نجد آثار هذا المعلم الذي عثر فيه على نقيشة يعود تاريخها إلى عام 197 مهداة للإمبراطور كراكلا (Carakala).<sup>3</sup>

ومقرة مدينة بإقليم الزاب تقع بين مدينتي طبنة والمسيلة ويقول ابن حوقل «ومن طبنة إلى مقرة منزلة فيها أيضا مرصد مرحلة ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة»<sup>4</sup> فحسب ياقوت الحموي «مقرة مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ»<sup>5</sup> ويشير اليعقوبي إلى أن مقرة تشكل مركزا للعديد من الحصون المحيطة بها فيقول «مدينة يقال لها مقرة لها حصون كثيرة والمدينة العظمى أهلها من بني ضبة وبها قوم من العجم وحوها قوم من البربر يقال لهم كزبرة وقول يقال لهم سارسة»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - البكري، المسالك والممالك، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج2، ص239.

<sup>2</sup> - Jean Despoi, *op. cit.*, p.100.

<sup>3</sup> - محمد البشير شنيقي، "حوض الحصنة في العهد الروماني"، ص68.

كما ذكرت وثيقة سنة 484 الخاصة بمجمع قرطاجنة الديني، عدد هام من الأساقفة المكرستين حيث كانت ماقرى مقرا آمنا للأساقفة خلال القرنين الرابع والخامس ميلادي؛ ينظر: سعاد سليمان، "الحصنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص111.

<sup>4</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص85.

<sup>5</sup> - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، ص175؛ ويذكر البغدادي «مقرة مدينة بالمغرب في بر البربر، قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ» ينظر: البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي)، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992، ط1، مج1، ص1299.

<sup>6</sup> - اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص191. في حين الحميري يقول «ومقرة المدينة العظمى وفيها منبر وعليها سور، وأهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحوها قوم من البربر ولها حصون كثيرة»: ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ص556.

**- سيلاص (Cillas):**

المعروفة بالخربة الزرقاء دائما على الطريق الروماني الرابط بين أوزيا وستيفس من الجهة الشرقية<sup>1</sup> وتمتد آثارها جنوب جبال بوطالب ووادي بوجدير الذي يشكل معبرا طبيعيا بين حوض الحضنة وسهول سطيف فهو يتحكم في حركة مرور البدو بين التل والصحراء، وكلمة سيلاص تعني مخازن الحبوب<sup>2</sup>، وقد عثر بها على نقيشة يعود تاريخها إلى سنة 243م تبين أن سيلاص قرية محصنة بنيت أواخر القرن الثاني وهي ضمن أملاك الإمبراطورية الحاكمة، في عهد قورد يانوس الثالث 238م، وهي إحدى المراكز الأمامية التي أقامها البيزنطيون من أجل مراقبة الطرق المؤدية من الحضنة إلى ستيفس.<sup>3</sup>

**- طبنة (Thubonae):**

تقع حاليا قرب بركة وهي مدينة رومانية تقع غرب الاوراس، لها أهمية عسكرية كبيرة باعتبارها حارسة الممر الطبيعي بين السفوح الغربية للأوراس وسهول الحضنة الشرقية<sup>4</sup>، وتربع على مساحة كبيرة، فضلا عن الجوار العمراني المتمثل في الأحياء التي ظهرت خارج الأسوار<sup>5</sup>، وتحتل آثارها هضبة واقعة بين واد بيطام جنوبا ووادي بركة شمالا، مما أكسبها موارد مائية هامة<sup>6</sup>، تميزت المدينة بتحسيناتها الكبيرة فيقول البكري «هي مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور أبي الدوانيق - وسورها مبني بالطوب .....»<sup>7</sup>.

1 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شهادة على نوميديا الشرقية"، ص 111. وتضيف أن سيلاص ظلت تتمتع بالتطور إلى غاية القرن الخامس، وقد ذكر أساقفتها في قائمة قرطاجنة سنة 484.

2 - محمد البشير شنيقي، "حوض الحضنة في العهد الروماني"، ص 68.

3 - سعاد س

ليماني، "منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة"، ص 20.

4 - لخضر فاضل، المرجع السابق، ص 16.

5 - محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الوجود الروماني، ج 1، ص 162-163، ويشير أن كثير من المؤرخين يذهبون للاعتقاد بقدوم طبنة عن العهد الروماني، وأنها كانت إحدى قصبات قبائل الجيتول في الفترة الرومانية، غير أن الأدلة على ذلك غير متوفرة بالقدر الكافي نظرا لافتقار الموقع إلى تنقيبات منظمة من شأنها إجراء الغموض وكشف وثائق قد تفيد في تأكيد مثل هذا الرأي أو دحضه.

6 - Paul-Louis Cambuzat, *L'évolution des cités du Tell en Ifrikiyya du VII<sup>e</sup> au XI<sup>e</sup> siècle*, Alger, office de publication universitaire, 1986, p. 228.

7 - البكري، المصدر السابق، ص 59.

نجد العديد من المؤرخين ذكروا التحصينات التي تميزت بها طبنة "وعليها صور من طوب" الإدريسي، نزهة المشتاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 165؛ الحميري، المصدر السابق، ص 387.

**- نقاوس (Ngaous):**

مدينة رومانية قديمة كانت تسمى (Nicivibus)، تحيط بها أسوار متينة عتيقة كانت تابعة لمقاطعة نوميديا<sup>1</sup> يصفها يعقوبي بقوله «نقاوس مدينة كثيرة العمارة والثمر بها قوم من الجند وحواليها البربر..... قوم يقال لها أوربة»<sup>2</sup>.

تميزت هذه المدينة حسب ما يصفها الإدريسي «مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين وأكثر فواكهها الجوز، ومنها يتجهر به إلى ما جاورها من الأقطار»<sup>3</sup>، أما صاحب الاستبصار يقول «مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع، كثيرة شجر الجوز، مها يحمل الجوز إلى قلعة حماد وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد»<sup>4</sup>، أما حسن الوزان الفاسي يقول «وتوجد حول هذه البلاد سهول تصلح لزراعة القمح سكانها أغنياء أمناء وكرماء...». <sup>5</sup>بالإضافة إلى مواقع أخرى في منطقة خربة سد بلعباس<sup>6</sup> وإقليم وادي الشعير.<sup>7</sup>

1 - الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقية، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 1، ص 53.

2 - يعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

3 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 161.

4 - مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 172.

5 - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 53.

6 - المعلومات حول هذا الموقع شحيحة، إلى أن المعلومات المتوفرة أنها مدينة رومانية تقع على الضفة اليمنى لوادي القصب، كان يحيط بها صور فيما مضى، وحوها آثار خزانات وأعمدة أسطوانية إلى جانب بقايا جسر أنشأه الرومان على وادي القصب، ينظر: فاضل لخضر، المرجع السابق، ص 15.

7 - يتمركز هذا الإقليم جنوب شرق الحصنة ويمتد من واد مسيف إلى واد الملح الذي يصل إلى غاية بوسعادة وعرف حركة عسكرية دفاعية نشيطة في الفترات القديمة، حيث أقام عليه الرومان العديد من نقاط المراقبة للطرق والمعابر، وتميز بأراضي خصبة بالإضافة إلى توفره على مورد مائي هام، ينظر: سعد سليمان، "بلاد الحصنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية، ص 114.

## 5- إلحاق منطقة الحضنة بالفلك السياسي الإسلامي:

عرفت منطقة الحضنة وصول الجيوش الأموية في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي<sup>1</sup>، في الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري<sup>2</sup> على إفريقية والمغرب، حيث يقول ابن عذاري «ففي سنة 62 هـ ولا يزيد بن معاوية على بلاد المغرب وإفريقية كله عقبة بن نافع الفهري»<sup>3</sup>.

وعند وصول عقبة بن نافع الفهري إلى بلاد الزاب<sup>4</sup> وحسب الرقيق القيرواني «فرحل إلى بلاد الزاب، فسأل عن أعظم مدينة لهم، قدرا فقالوا: مدينة يقال لها "أذنة"<sup>5</sup> ومنها الملك وهي... الزاب وكان

1 - سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهدة على نوميديا الشرقية"، ص 110.

2 - أرسله معاوية بن أبي سفيان سنة ست وأربعين إلى إفريقية، فاختط مدينة القيروان، وكان من خيار الولاة والأمراء ثم صرف وأعيد ثانية في سنة اثنتين وستين فقتله البربر ومن معه بمقربة من لهودة في سنة ثلاث وستين، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ص 323.

3 - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ج.س. كولان وإيفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1983، ط 3، ج 1، ص-ص 21-23؛ ويذكر أنه في سنة 55 هـ استعمل معاوية بن أبي سفيان على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعزل معاوية بن حديج من مصر، وعزل عقبة بن نافع عن إفريقية - وولى عليها مولاه أبا المهاجر دينار - فلم يزل واليا عليها حتى هلك معاوية وفي سنة 60 توفي معاوية بن أبي سفيان تولى الخلافة بعده يزيد ابنه، الذي عين سنة 62 هـ عقبة بن نافع على بلاد إفريقية والمغرب.

4 - لقد اختلف المؤرخون في إعطاء تحديد دقيق لإقليم الزاب، لأن حدود هذا الإقليم تتوسع تارة وتقلص تارة أخرى، وتغيير عواصمه ومدنه حسب المستجدات الإقليمية، ونجد الوزاني يقول الإقليم يقع في وسط مفازات نوميديا، ويتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحدها شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة، ينظر: الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 138؛ أما ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 3، ص 124 يقول «الزاب بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطة بين تلمسان وسجلماسة، أما البغدادي، المصدر السابق، ص 625 يذكر مدن الزاب فيقول: وبلاد الزاب بالمغرب عليها عدة بلدان كثيرة، عليها بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة.

5 - ذكرت في المصادر التاريخية والجغرافية بأسماء مختلفة وعديدة ولعلها تشير كلها إلى المدينة نفسها.

فالبكري يقول «مدينة أذنة وهي خالية أضر بما على بن حمدون المعروف بابن الأندلسي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة في رجوع ميسور الفتى من المغرب... ادنة بلد كثير الأنهار والعيون العذبة..... بينها وبين المسيلة مرحلة وينشر فيها واد مقرة»

البكري، المصدر السابق، ص 59؛ أما ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ج 3، ص 451. «فسار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصدها مدينتها العظمى وأسمها

أربة» وتعرف عند الرقيق القيرواني والمالكي "بأذنة" «فرحل إلى بلاد الزاب فسأل عن أعظم مدينة لهم قدرا، فقالوا: مدينة يقال لها أذنة»، ينظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 42؛ المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم و أوصافهم، تحقيق، بشير البكوش، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994

حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة»<sup>1</sup>، وتعتبر المسيلة من مدن الزاب حسب المقديسي «و الزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة طينة بسكرة بادس تهودا طولقا جميلا بنطيوس أذنة أشير»، ويضيف المالكي «فنزال عقبة على واد منها على ثلاث أميال أو أكثر، فلقوه في عدة عظيمة في وقت الماء، وقت نزوله، فكره منازلهم وقتلهم في الليل، فتواقف القوم الليل كله، لا راحة ولا فترة ولا نوم، فسماه الناس، إلى اليوم<sup>2</sup> وادي سهر»<sup>3</sup>. واستطاع عقبة بن نافع التغلب على الأعداء ثم سار بعدها إلى تهرت<sup>4</sup> وفي سنة (85هـ/704م)، أوفد الوليد بن عبد المالك القائد الإسلامي موسى بن نصير، بعد أن تم استدعاء حسان بن النعمان وتم فتح عاصمة الزاب طينة وإخضاع قبائل هواة وزناتة،<sup>5</sup> وبعد إتمام عملية الفتح الإسلامي ألحقت بلاد الزاب كاملة بمدنها وقرائها بإفريقية<sup>6</sup>، حيث حدثت مجموعة من التغيرات بمنطقة الزاب كان من أهمها انتقال قاعدة هذا الإقليم من أذنة إلى طينة.<sup>7</sup>

ج1، ص36؛ بينما ابن حماد يذكر أن مدينة باتنة هي نفسها أذنة، ويقول: «وكانت بين أبي يزيد وإسماعيل وقعة بفحص باتنة (=أذنة) و باتنة هذه مدينة عظيمة خربت بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا: ينظر: ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق، جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت)، ص41.

1 - الرقيق القرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994، ص42.

2 - هو النهر الذي تقع عليه مدينة المسيلة منبعته من عيون داخل مدينة غدير حسب البكري، المصدر السابق، ص59.

ويضيف ابن حوقل، المصدر السابق، ص85. فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق، أما الإدريسي، المصدر السابق، ص156، لا وهو عذب، وفيه سمك صغير فيه طرف حمر حسنة، ولم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، يعرف حاليا بواد القصب

سوف يكون لهذا الواد دور كبير في تأسيس مدينة المسيلة.

3 - المالكي، المصدر السابق، ج1، ص- ص36-37؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص-ص42-43.

فالمعركة التي قامت بين عقبة بن نافع والبربر والبيزنطيين كانت على أراضي المسيلة على واد سهر، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص24.

4 - المالكي، المصدر السابق، ص37.

5 - الاستبصار، المصدر السابق، ص172.

6 - فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية "الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب"، دار الهدى، عنابة، 2011م، ص226.

7 - الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في العصر الوسط (من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري

الخامس، ط1، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية والإعلامية، الجزائر، 2011، ص123.

هذا التحول أعطى للمنطقة أهمية كبرى، خاصة في عهد الإمارة الأغلبية (184هـ/800م) التي شملت تونس وطرابلس وجزء من شرق الجزائر وكانت بلاد الزاب بما فيها منطقة الحضنة ضمن حدودها، ولا سيما وأن مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب كان قبل ذلك واليا على الزاب وعاصمتها حينذاك مدينة طنبنة.<sup>1</sup>

وقد زار الجغرافي اليعقوبي بلاد الزاب في عهد الأغالبة، فذكر طنبنة بأنها "مدينة الزاب العظمى، وهي التي ينزلها الولاية"<sup>2</sup>، ولما ساءت أحوال إفريقية من جراء ثورات الخوارج، أمر الخليفة المنصور محمد بن الأشعث<sup>3</sup> بإقرار وفرض سلطة الخلافة فيها، فخرج وبصحبه الأغلب بن سالم<sup>4</sup> من مصر على رأس جيش كبير، تمكن من ضرب الحركات المعارضة ثم ولاة ابن الأشعث بلاد الزاب واتخذ من طنبنة مقرا له،<sup>5</sup> والواقع أن ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع الثورات منذ سنة (121هـ/739م) والمتمثلة في الإباضية و الصفرية، وكان ذلك بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية إبان ولاية عبيد الله بن الحبحاب.<sup>6</sup>

ويبدو أن الإباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري، أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة (140هـ/757م).<sup>7</sup>

1 - فوزي مسمودي، المرجع السابق، ص 227.

خلال القرن الثامن الميلادي انقسمت بلاد المغرب إلى دويلات إسلامية ثلاث: الأدارسة في المغرب الأقصى بفاس والرستميين في المغرب الأوسط بتيهت و الأغالبة بإفريقية .

2 - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190؛ أما الإدريسي، رغم تراجع دور مدينة طنبنة بعد تأسيس المسيلة ونقل عاصمة الزاب لها إلا أنه يقر بأن «طنبنة مدينة الزاب، وهي مدينة حسنة»، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 164.

3 - هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي كان فقيها وأديبا وشارعا خطيبا وعالم بالحروب ومكايدها، ولاة الرشيد على إفريقية سنة 184هـ، فطاعت له قبائل البربر و تمهدت إفريقية في أيامه، ولما ملك إفريقية كانت له حروب مع البربر، وفي سنة 185 قام ببناء مدينة القصر القديم، وصارت بعد ذلك دار أمراء بني الأغلب وتبعد عن القيروان بثلاث أميال: ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 92.

4 - محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ط 2، ص 19.

2- الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 123.

6 - هو عبد الله بن الحبحاب مولى بني سلول كان رئيسا نبيلًا وأميرًا جليلا ولاة هشام بن عبد الملك عن المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن وقدم إلى القيروان في سنة 114هـ، ينظر: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 48.

7 - محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريطانيا)، ط 1، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976، ص 62.

ثم ولي المنصور على إفريقية عمر بن حفص أخا المهلب بن أبي صفرة سنة 151هـ<sup>1</sup>، ثم سار إلى الزاب و بنى مدينة "طنبة" أي أعاد بناءها وحصنها، وذلك بعد أن ورد عليه كتاب الخليفة المنصور يؤكد عليه بقتل الخوارج الذين بإفريقية.<sup>2</sup>

وقد تعرضت مدينة طنبة إلى محاصرة من قبل الخوارج الإباضية والصفورية سنة 153هـ/770م، إلا أن الحصار لم يدم طويلا فقد حدث نزاع بين الإباضية والصفورية أسفر عن فشل الحصار، فترك عمر بن حفص طنبة لفك الحصار على القيروان،<sup>3</sup> أدى موقع الحصنة الحدودي بين الإمارة الرستمية والإمارة الأغلبية إلى تحولها إلى محطة صراع بينهما خصوصا خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، لكن المنطقة شهدت تغيرات أخرى، تمثلت في انتشار الشيعة الاسماعلية وخروجها نحو بلاد الأوراس مرورا بطنبة حيث سيطرت عليها بعد أن حاصرت الأغلبة بها وكان عاملهم حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع الذي قرر التحصن داخل طنبة مع أخوانه وقائد الجيش بسبب بن أبي الشداد، فطلب الأمان فكان له ذلك وفتحت المدينة أمام الفاطميين وعينوا عليها يحيى بن سلمان.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص75، حيث يذكر «ثم ولي إفريقية عمرو بن حفص بن قبيصة سنة 151هـ وسبب ولايته أن أبا جعفر المنصور، لما بلغت قتل الأغلب بن سالم، وجهه في نحو خمسمائة فارس، فأقام بالقيروان ثلاث سنين وأشهر من ولايته والأمور له مستقيمة».

<sup>2</sup> - ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق، محمد زينهم و محمد عزب ، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1988، ص48. فيما يخص إعادة بناء طنبة وتحصينها يذكر البكري «ويقال أن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بجزار مرد» ينظر: البكري، المصدر السابق ، ص51 هذه التحصينات جعلت من المدينة سدا منيعا وحاجزا قويا في وجه الصفورية والإباضية ومكانا استراتيجيا لمراقبة تحركاتهم ، ينظر: الطاهر طويل، المرجع السابق، ص126.

<sup>3</sup> - محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، ص ص47-48. تفاصيل أكثر عن محاصرة الخوارج لمدينة طنبة راجع: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص75-79. حيث يقول: انه في سنة 154هـ استخلف عمر بن حفص على طنبة المهنا بن المخارق، وخرج عمرو إلى القيروان، ويضيف كذلك، أن في سنة 156هـ بعث يزيد بن حاتم بن سعيد المهلبي مدد للمخارق بمدينة طنبة بالزاب ؛ ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق ، ج5، ص- ص 195-196.

<sup>4</sup> - القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، منشورات موسى الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005، ص- ص 107-109.

## 6- السكان في منطقة الحضنة:

إن عدم استقرار الأوضاع السياسية في بلاد المغرب، تجعل من الصعب معرفة القبائل التي سكنت منطقة الحضنة وخاصة قبل الفتح الإسلامي، ومعلوماتنا تكاد تكون عامة، وذلك لعدم وجود وثائق ونصوص تدل على ذلك، واعتمادنا على الآثار المتبقية لا يساعدنا على معرفة أهم القبائل التي سكنت المنطقة خاصة الجاليات الرومانية والبيزنطية التي بقيت في المنطقة لمدة طويلة، وما كان مصيرهم بعد نهاية سلطاتهم.<sup>1</sup>

أما القبائل المحلية فلا نعرف شيئاً يذكر عن حياتها الداخلية وتعتبر فترة ما بعد الإسلام أكثر وضوحاً من الفترات الأخرى، لأن الفتح الإسلامي جلب معه جاليات عربية إسلامية استقرت في القرن الثامن مع سكان مدينة طبنة التي احتلت الصدارة في بادئ الأمر بين مدن الحضنة،<sup>2</sup> فيقول اليعقوبي: «مدينة الزاب العظمى، طبنة وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش، والعرب، والجنند، والعجم، والأفارقة والروم والبربر...»<sup>3</sup>، فقد سكن منطقة المسيلة قبل الفتح الإسلامي قبائل من البربر، ذكرت أسماءهم عند كثير من المؤرخين.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد لجلط، المسيلة في العهد الفاطمي، مذكرة نهاية السنة الأولى ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986، ص10.

<sup>2</sup> - Jean Despois, op. cit., p.117.

<sup>3</sup> - اليعقوبي، المصدر السابق، ص190.

<sup>4</sup> - لقد تطرقت الأعمال الجغرافية وبالأخص مؤلفات المشاركة مثل اليعقوبي وابن حوقل، وكتب الغرب الإسلامي، مثل البكري، الإدريسي، الحميري، هؤلاء الكتاب المذكورين وفرو ثروة من المعلومات عن مختلف القبائل التي كانت تعيش في المنطقة، وكذلك الخصائص الرئيسية لهذه الفئة من السكان وهي وجود القبائل البربرية والعربية، التي جمعت بينهما علاقات سلمية أحيانا وغير ذلك في أحيان أخرى، ويتحكم في ذلك في الكثير من الأحيان، التحالفات التي كانت تعقد ثم تحل بينهما نتيجة الظروف السياسية التي تعيشها تلك القبائل، ومحاوله كل منها السيطرة على الأراضي الخصبة للحضنة ينظر:

Mohamed Meauak, op. cit., p.03.

يقول البكري «وبقرب منها جبل عجيسة<sup>1</sup> وهوارة<sup>2</sup> وبني برزال<sup>3</sup>، ولهم كانت أرض المسيلة...»<sup>4</sup>، ويضيف ابن حوقل «وعليها من البربر بني برزال وبنو زنداج وهوارة ومزاتة...»<sup>5</sup>، أما الإدريسي فيقول: «... ويسكنها من البربر بنو برزال ورنديج وهوارة وصدراثة<sup>6</sup> ومزاتة...»<sup>7</sup>، كما سكنت المسيلة وما حولها قبائل أوغمرت، قبل أن تصل الهجرات الأولى للقبائل الهلالية في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري /أواخر القرن الحادي عشر ميلادي<sup>8</sup>.

- 1 - بطن من بطون البرانس من ولد عجية من برنس ومعناه البطن، فالبربر يسمون البطن عدس بالبدال المشددة، فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة، وكان لهم بين البربر كثرة و ظهور، يقطنون ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وجبل القلعة وكانوا من أصحاب أبي يزيد الخارجي وقد استغلهم حماد بن بلكين في تشييد القلعة ولكنها خضدت شوكتهم وراموا كيد القلعة صرارا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفريق العرب الهلالية حتى سمي الجبل بهم جبل عياض ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج 6، ص 192.
- 2 - بطن من بطون هوارة، ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 118؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة إنساب العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 1، ص 500.
- 3 - يتكلم كذلك Mossiera عن سكان المسيلة نتيجة الثورات التي قامت بها قبائل زناتة، جعلت الخليفة الفاطمي عبد الله مجبرا على إرسال ابنه أبو القاسم إلى جبل سالات حيث تتواجد قبيلة بني برزال وهم قبائل نكارية استقروا على سفح جبل سالات في المنطقة الممتدة من جبال سالات إلى واد اللحم باتجاه مدينة المسيلة ينظر: Paul Massiera, *op. cit.*, p. 6.
- 4 - البكري، المصدر السابق، ص 59.
- كما ذكرت تلك القبائل التي سكنت المسيلة عند الكثير من المؤرخين «كانت مدينة عظيمة على نظر كبير وحولها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة، وهوارة، وبني برزال» ينظر: الإستبصار، ص 172؛ الحميري، المصدر السابق، ص 558.
- وتحدث عن ذلك Féraud حيث يقول: وعلى مسافة قصيرة من مدينة المسيلة يوجد جبل تعيش فيه قبائل عجيسة وهوارة وبني برزال و بني كملان الذين يملكون إقليم المدينة ينظر: Charles Féraud, *op. cit.*, p. 327.
- 5 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.
- 6 - هي إحدى بطون لواتة الذي يرجع نسبهم إلى لواتة الأصغر بن لواتة الأكبر بن زحيك أو لو الأصغر لو نفازو، وقد سكنت هذه القبيلة منطقة المسيلة، ينظر: القلشقندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1982، ص 172.
- 7 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.
- 8 - كمال بيرم، المرجع السابق، ص 07.

سكن بنو ضبة مدينة مقرة مع مجموعة من السكان البرابرة<sup>1</sup>، فيقول الحميري<sup>2</sup> «ومقرة هي المدينة العظمى وفيها منبر وعليها سور، وأهلها قوم من بني ضبة، وبها قوم من العجم، وحولها قوم من البربر...».

1 - بوجمة هيشور، اتنولوجيا أعراش الجزائر، (بحث في الجوانب الخفية لجذورها التاريخية)، ص 228.

2 - الحميري، المصدر السابق، ص 556.

## الفصل الثاني:

# الفاطميون وتأسيس مدينة المسيلة

- 1- تأسيس مدينة المسيلة .
- 2- الأسرة الحمدونية بالمسيلة.
- 3- المسيلة وثورة أبي يزيد.
- 4- تطور المدينة في العصر الفاطمي .
- 5- رحيل الفاطميين و أثرهم في تراجع دور المسيلة.

## 1- تأسيس مدينة المسيلة

ارتبط تأسيس العديد من المدن في بلاد المغرب الوسيط بأساطير أو روايات شفوية من أجل رسم هالة أو قدسية معينة حول هذه المدينة أو تلك، لكن ذلك قد لا يؤيده الواقع، خاصة وأن هذه الأساطير تحاول أن ترسم نوعاً من الإعجازية اللاواقعية، إلا أن الأسطورة تبقى موروثاً شعبياً يحاول تفسير قضايا معينة ضمن سياق غير واقعي في أغلب الأحيان.<sup>1</sup>

وحول تأسيس المدينة عثرنا على العديد من الروايات الشفوية التي مازلت تتداول إلى يومنا هذا بين السكان في تفسيرهم سبب تأسيس وتسمية المدينة،<sup>2</sup> ومن ضمن تلك الروايات هناك رواية وردت في النشرة التاريخية الصادرة عن المؤسسة الجهوية للتاريخ والجغرافيا لناحية سطيف سنة 1941 وهي كذلك رواية شفوية بعيدة عن كل تمحيص ومراقبة، وتحدد تاريخ نشأة المدينة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - غنية عباسي، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، دراسة مونوغرافية، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، إشراف، علاوة عمارة، 2011-2012، ص 17.

<sup>2</sup> - محتوى الروايات والأساطير:

\* الرواية الأولى: تنص على وفود شخصية دينية مرموقة أو ما تعرف بالوالي الصالح من المغرب الأقصى، وهو صاحب إلهام روحي ورباني وكان ينوي بناء مسجد في الموقع الذي تقف عنده جماله، وهذا الموقع الذي حل به هذا الرجل الرباني أصح بعد تأسيس المسجد نواة المدينة الجديدة، وقد لقب بين أهالي المنطقة "بوجملين"، والمسجد ما زال إلى اليوم.

\* الرواية الثانية: حين قدم من خير بالحجاز شخص يدعى "تليس" حيث استقر على الضفة اليسرى من وادي القصب والذي يعرف بوادي سهر سابقاً وبني له ومرافقيه بعض المباني التي أحاطت بها فيما بعد مساكن تجمعات أخرى، وخلال الهجمات التي قام بها الخوارج، هدمت المباني وصارت خربة، اشتقت منها اسم "خربة التليس" وهو الحي الذي يقع على الضفة اليسرى لواد القصب حالياً جنوب القنطرة الرابطة بين الضفة الغربية والشرقية: ينظر: paul Maïssera, op.cit, p.03

وصالح يوسف بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 11؛ محمد لجلط، المرجع السابق، ص- ص 14-15.

لكن هذه الرواية لم تحدد تاريخ الثورة الخارجية التي تم فيها تهديم المدينة، هل هي قبل سنة 740م أو التي بها أبو يزيد صاحب الحمار والتي ضربت فيها الجهة الشرقية من بلاد المغرب.

<sup>3</sup> - وبخصوص هذه الرواية يراجع: paul Maïssera, op.cit, p.03.

أما باقي الروايات الأخرى فهي مختلفة فيما بينها، يتداولها سكان المدينة، إلا أن جل هذه الروايات ترجع تأسيس مدينة المسيلة إلى القرن السابع ميلادي، وهناك روايات ارتبطت باسم المدينة "المسيلة"، في صياغة بعض الأقوال المتوارثة لدى سكان المدينة<sup>1</sup>، ولا شك بأن التقارب اللغوي الذي فرضته هذه التسمية هو الذي دفع سكان المدينة إلى تداول مثل هذه الأساطير والروايات والتي لا نرى فيها تطابقا لفظيا كليا.<sup>2</sup>

وفي الحقيقة فإن الروايات التي ارتبطت بتأسيس مدينة المسيلة لا تعتمد إلى نصوص تاريخية محددة، فهي مجرد روايات يتداولها السكان حاولت في أغلبها أن تربط بين الدلالات اللفظية وتسمية المدينة، ويمكن القول أن بعد عام (296 هـ / 909م) ظهر عبيد الله المهدي الفاطمي بالمغرب الأوسط كشخصية على رأس سلطة سياسية و دينية، و كخصم قوي للإمامة الإباضية في بلاد المغرب التي تحكم تيهرت والمجالات الإباضية،<sup>3</sup> ومن هنا نستطيع القول أن العداوة بين الطرفين كانت هي بؤرة الصراع في سير تاريخ المنطقة عامة والحضنة والمسيلة خاصة.<sup>4</sup>

1 - هذه الرواية متداولة عند مشايخ ومثقفي المدينة، أن تأسيس المدينة قرب مصدر المياه (واد القصب) بموقع يقع في "مسيل

الماء" لهذا أطلق عليه اسم المسيلة، ينظر: Charles Féraud, op.cit, p.327.

2 - غنية عباسي، المرجع السابق، ص18.

3 - paul Maïssera, op.cit., p.04.

وقد تحدثت العديد من المصادر التاريخية التي أرخت لبلاد المغرب عن كيفية قدوم أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب ونشر المذهب الشيعي بين القبائل البربرية، ومحاولته تأسيس دولة فاطمية وذلك بالقضاء على الدويلات التي نشأت في المغرب كالأغالبة في المغرب الأدنى، والرستمية في المغرب الأوسط والأدراسة في المغرب الأقصى، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص- ص 124-126؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 191؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص- ص 451-461؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ط2، ج1، ص- ص 55-57؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص- ص 36-38.

4 - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص12.

ظهرت بوادر عداوة زناتة للدعوة الإسماعيلية منذ أن قام الداعي أبو عبيد الله في إيكجان، واشتد هذا العداوة بعد إسقاط الإمارة الأغلبية، وحدث أن أرسل أبو عبد الله الداعي وفدا إلى سجلماسة في مهمة إلى عبيد الله المهدي، لكن أعضاء الوفد لقوا مصرعهم في طنبنة، وعلى يد جماعة من رجال زناتة، وقد اشتدت حركة المقاومة الزناتية للوجود الفاطمي بعد استيلاء الداعي على رقادة ثم دخوله تيهرت، وذلك نظرا لوقوع المدينة في قلب مضارهم، ينظر: سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ) (910-1171م)، دار النفائس، بيروت، (دت)، ص- ص 88-89.

فالساسة التي اعتمدها الدولة الفاطمية لإنجاح مشاريعها في بلاد المغرب وفتوحاتها وتوسعاتها في المشرق، أحدثت نوع من القطيعة بينها وبين القبائل ففي حدود سنة (311هـ/924م) تصدت قبيلة مغراوة من زناتة للسلطة الفاطمية، وألحقت الهزيمة بجيش عبيد الله المهدي، وقد زعزعت هذه الأحداث المغرب كله حسب ابن خلدون،<sup>1</sup> وقد وجد الخليفة الفاطمي نفسه مجبرا على إرسال ابنه أبي القاسم إلى جبال سالات حيث تتواجد قبيلة بني برزال، فعاد الاستقرار بالمنطقة ثم رجع أبي القاسم بن عبيد الله المهدي أدراجه نحو الحضنة ليؤسس في طريق العودة مدينة المسيلة.<sup>2</sup>

### - الدوافع الفاطمية في بناء المسيلة:

يتفق المؤرخون<sup>3</sup> على الظروف التي تم فيها تأسيس مدينة المسيلة ذلك أنه حينما توجه أبو القاسم محمد القائم ولي عهد عبيد الله المهدي على رأس حملة عسكرية لإخماد الثورات بالمغرب الأقصى<sup>4</sup>، وأثناء

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50؛ paul.Maiessera ,op.cit, p.05

ويضيف Maiessera أن السياسة الفاطمية المتمثلة في فرض الضرائب على السكان لفائدة حروبهم ضد الإباضية، أضرت بالسكان اقتصاديا وهذا ما أدى إلى قيام الثورات ضدهم.

وتفاصيل أكثر عن سياسة الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي: ينظر: محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص- ص75-76.

<sup>2</sup> - paul Maiessera,op.cit, p.05؛ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص183.

وسوف نأتي عن ذكر الأسباب التي دفعت عبيد الله المهدي إلى إرسال ابنه إلى المغرب للقضاء على الثورات في عنصر دوافع بناء مدينة المسيلة.

<sup>3</sup> - فمثلا ابن الأثير ذكر الظروف التي دفعت أبو القاسم إلى تأسيس مدينة المسيلة بقوله«سير المهدي العلوي صاحب إفريقية ابنه أبا القاسم من المهديّة إلى المغرب في جيش كبير في صفر، بسبب محمد بن خرز الزناتي، وذكر أنه ظفر بعسكر كتامة فقتل منهم خلقا كثيرا فعظم ذلك على المهدي فسير ولده... وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت، فلما عاد من سفرته هذه خط برحمة في الأرض صفة مدينة، وسمها محمدية»، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص36؛ النويري، تحقيق، عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج28-29، ص.60؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص- ص50-51.

<sup>4</sup> - هذه الثورات كانت بقيادة محمد بن خرز الزناتي، وقد هددت إستقرار الدولة الفاطمية، إلا أن أبو القاسم استطاع القضاء عليها وفر ابن خرز في الصحاري، وفتح أبو القاسم مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الإباضية والصفيرية من نواحي تيهرت إلى ما وراءها ينظر: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية "تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12"، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص 42، و أن الجيوش الفاطمية، بعدما أحرزت عدة انتصارات على الأدارسة الذين تفهقروا في اتجاه المغرب الأوسط ومليلة، تصدت لقبيلة مغراوة، وقد كان المغراويون يتنقلون تحت قيادة محمد بن خرز في جميع أنحاء المغرب الأوسط، وقد أعلنوا الثورة وقتلوا مصالحة بن جبوس، فغادر أبو القاسم المهديّة لتهدئة المغرب الأوسط

عودته أمر بإنشائها إذ خط برمح في الأرض شكل بنائها وهو راكب على فرسه، وسماها الحمدية. وجعل لها بابين إحداهما باب القاسمية نسبة إليه لأن كنيته أبو القاسم وسمى الأخرى، باب الأمور<sup>1</sup> و حسب ابن عذاري<sup>2</sup> فإن أبا القاسم لما توجه إلى المغرب وجد مقاومة عنيفة عند جبل بني برزال ومنه توجه إلى الريف حيث تمكن من إعادة السيطرة الفاطمية على هذه المناطق، وبعد هذا الانتصار، عاد أبو القاسم إلى العاصمة سالكا الطريق الكبير الذي يمر على الهضاب العليا والحضنة، فأسس مدينة المسيلة، أما ابن حماد يقول: «هدن أبو القاسم المغرب، وقضى منه، المآرب وانصرف وفي الصرافة هذا مر بواد سهر فاخط مدينة المسيلة ورسمها برمح وهو راكب على فرسه».

وقد تولى بناءها علي بن حمدون بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلس، وهذا ما تذكره العديد من الكتب الجغرافية<sup>3</sup> التي تذكر مدينة المسيلة وتتفق على أنها محدثة فاطمية أسسها أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، في أوائل القرن الرابع الهجري و العاشر الميلادي وأوكل بنائها لعلي بن حمدون، ما عدا المقدسي<sup>4</sup>، فلم يتوسع في ذكر المدينة ولم يتطرق إلى مؤسسها أو سنة التأسيس اكتفى فقط بذكر أنها من مدن الزاب بقوله «والزاب مدينتها المسيلة».

=وانتصر على المغراويين. ينظر: محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية "قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص59.

1 - ابن حماد، المصدر السابق، ص24؛ صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص12.

2 - ابن حماد، المصدر السابق، ص24.

3 - أغلب الكتب الجغرافية التي كتبت عن بلاد المغرب الأوسط، تذكر مدينة المسيلة ومؤسسها مثل البكري، المصدر السابق

ص59. يقول «هي مدينة جليلة على نهر سهر، أسسها أبو القاسم بن عبيد الله... وكان المتولى ببنائها علي بن حمدون بن سمالك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسية». وهذا ما نجده عند ابن حوقل، المصدر السابق، ص85. «هي مدينة محدثة استحدثها علي بن حمدون الأندلسي أحد خدام آل عبيد الله وعبيدهم...»؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص130؛ الحميري، المصدر السابق، ص585.

وهذا الاتفاق كذلك نجده في المصادر التاريخية مثل ابن حماد، المصدر السابق، ص24؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص115؛ النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص70؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص- ص50-51.

4 - المقدسي، المصدر السابق، ص181.

لقد وقع اختلاف بين النصوص التاريخية<sup>1</sup> التي رجعنا إليها بشأن الشروع في إنشاء مدينة المسيلة والراجح أن ذلك كان سنة (315هـ/927م).

و يمكن توضيح الدوافع الحقيقية التي جعلت أبي القاسم يقوم بتأسيس المدينة بعد انتصاره في المغرب الأقصى، وهو في طريق العودة، فقد أدرك أن القبائل الزناتية، سوف تعود للثورة من جديد<sup>2</sup>، وهو يعلم أن الحدود الشمالية الغربية آمنة للحلف القوي بين الفاطميين والكتاميين<sup>3</sup>، ولا يخشى شيئا من منطقة قسنطينة، الشيء الذي جعله يتأكد من أن الخطر الزناتي سيأتي عن طريق الحضنة ومسالك الصحراء<sup>4</sup> وهي مواطن لتلك القبائل الرحل<sup>5</sup> وتعتبر سهول الحضنة من أهم المسالك المؤدية إلى إفريقية والمتغلب عليها يمكنه السيطرة على الطريق الرابط بين إفريقية وبقيّة المغرب.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - من بين المصادر التاريخية التي ذكرت تأسيس مدينة المسيلة في سنة (313هـ/925م). كل من ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 215؛ وكذلك البكري، المصدر السابق، ص 59؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 172؛ الحميري، المصدر السابق، ص 558.

أما باقي المصادر التاريخية فقد ذكرت تأسيس مدينة المسيلة في سنة (315هـ/927م) وهو نفسه تاريخ خروج أبو القاسم بن عبد الله المهدي إلى المغرب الأقصى للقضاء على الثورات الزناتية ومن بين تلك المصادر التي تناولت هذه القضية النويري، المصدر السابق، ج 28-29، ص 70؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 50-51؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 130؛ المقرئ، انعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، ص 72.

<sup>2</sup> - محمد الصالح مرمول "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سرتا معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، ع 04، 1980، ص 29.

<sup>3</sup> - ويذكر جرجي زيدان العلاقة بين الكتاميين والفاطميين والتي تذكرها أيضا العديد من المصادر التاريخية (دور كتامة في الدعوة الفاطمية) يقول «عند قيام الدولة الفاطمية في المغرب كان البربر من أنصارهم خاصة قبيلة كتامة، فأخذوا بيد الفاطميين، منذ قيامهم على أيام عبيد الله المهدي، فلما تأسست دولتهم اتخذ خلفاء الفاطميين بطانتهم منهم وجعلوهم من أهل الدولة»؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 4، ص 234.

<sup>4</sup> - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص 76.

<sup>5</sup> - لا يمكن تحديد مواقع زناتة بنفس الدقة التي يحدد بها الموقع الجغرافي لقبيلة صنهاجة مثلا، لأن زناتة غير مستقرة في مكان ما، بل رحالة ويحدث ذلك لأسباب عديدة إما بسبب الضعف، أو تجرئة السلطة السياسية والإدارة الناتجتين على افتقار بلاد المغرب إلى الوحدة الجغرافية وإلى توزيع معقول لمختلف المناطق، ينظر: محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 17-23.

<sup>6</sup> - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 76، يذكر بأن هذه السهول تضيق في الجهة الشمالية بين الجبال والشطوط. وقد ذكر العديد من المؤرخين المسالك المؤدية إلى المسيلة، كابن حوقل الذي يذكر الطريق بين المسيلة وإفريقية مرورا بمقرة وطبنة وطريق آخر من القيروان والمسيلة يمر على بلاد كتامة والأريس، يراجع ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86-87.

وبطبيعة الحال، فإن تأسيس مدينة المسيلة واختيار موقعها، كان محل تفكير عميق من طرف مؤسسها، فالظروف العسكرية السائدة في تلك الفترة تتطلب منه التمعن في الخطوات التي يخطوها لتحقيق هدفه في إخضاع القبائل البربرية المستقرة في منطقة الحضنة وضواحيها والمناطق الأخرى في المغرب الأوسط،<sup>1</sup> وقد عمد إلى بنائها في وسط بعض بطون وفروع تلك القبائل فيقول الإدريسي: <sup>2</sup> «ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة» والتي تسيطر على السهول الشمالية للمنطقة حتى واد القصب، بينما قبيلة عجيصة على جبال المعاضيد،<sup>3</sup> و بعد العاصمة المهديّة، صعب التحكم فيها وفرض سلطته عليها، هذا ما دفعه إلى وضع أسس قاعدة مجالية جديدة في إقليم الزاب، مهمتها مراقبة مضارب زناتة وفروع البتر، وحماية النفوذ الفاطمي في المنطقة.<sup>4</sup>

فكان لا بد له من نقل بعض القبائل من مكان بنائها إلى فحص القيروان لأنه كان يتوقع الخطر منها أكثر من غيرها<sup>5</sup>، وهي سياسة تهجير السكان التي اعتمد عليها الفاطميون في بعض الأحيان، إذا ما رأوا في ذلك مصلحة سياسية وعسكرية<sup>6</sup>، ما عدا قبيلة عجيصة، فقد عمرت المدينة الجديدة بعد اكتمال بنائها.<sup>1</sup>

= أما الإدريسي فذكر الطريق الرابط بين المسيلة وتلمسان وهو الطريق الذي يؤدي إلى المغرب الأقصى، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق المشتاق، ص 156.

وبذلك ضلت المسيلة تحظى بمكانة مميزة في شبكة الطرق المؤدية إلى المغرب.

1 - عبد القادر قرمان، "مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي"، دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، ص 33، (مداخلة غير منشورة)،

2 - وقد ذكرت بطون وفروع هذه القبائل عند العديد من المؤرخين الذين تطرقوا إلى تأسيس مدينة المسيلة، مثل الإدريسي، المصدر السابق، ص 156؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ص 59؛ الحميري، المصدر السابق، ص 556. وقد تم ذكر هذه القبائل بالتفصيل في الفصل الأول في عنصر "السكان في منطقة الحضنة".

3 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 76.

4 - عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص 33.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51؛ النويري، المصدر السابق، ج 28-29، ص 70؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، ص 72. يذكر «وكانت خطة لبني كملان، فأخرجهم منها إلى فحص القيروان، كالمعتاد منهم أمرا، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي»، ينظر كذلك:

paul Maiessera, op.cit, p.08

6 - محمد الصالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص 29. حيث يذكر أن عبد الله المهدي، قد منع عامة الناس من السكنى في المهديّة، وخصص لهم ضاحية من ضواحيها هي زويلة، ومن ثم أصبحوا وكأهم تحت الإقامة الجبرية، ففي النهار

## - موقع بناء مدينة المسيلة \*:

يعتبر الإطار الجغرافي وقطعة الأرض التي تحتلها أية مدينة عاملين مهمين، تستمد منها طابعها وملاحظتها، فالموقع يفرض طبيعته على شكل المدينة ويقرر مصيرها،<sup>2</sup> ويرى سعيد ناصف أن اختيار الموقع الذي ستقام عليه المدينة يمثل الخطوة الأولى والهامة في بناء هذا النوع من المدن، ولذلك كان لا بد للخليفة أن يختار مكانا متوافقا بقدر ما تسمح به الظروف مع طبيعة البلاد<sup>3</sup> فنجد (Maïssera) مثلا يذكر بان تسمية المدينة لها علاقة وطيدة بطبوغرافية موقعها، وذلك لقربها من مسيل الماء.<sup>4</sup>

لقد وفق أبو القاسم في اختيار هذا المكان، خاصة إذا علمنا أن البيزنطيين وأسلافهم الرومان، كانوا قد اختاروا بالقرب من المدينة في الناحية الجنوبية الشرقية وعلى بعد ثلاث كيلومترات مدينة حصينة تدعى زابي في مكان بشيلقا الحالية<sup>5</sup>، وهنا يمكن التساؤل لما لم يتخذ أبو القاسم من بقايا حصن زابي قلعه له وقام بتأسيس مدينة جديدة بالقرب منها، وبشأن هذا يجيب فيرو (Feraud) أنها كانت مندثرة ولو كانت موجودة لما كلف العاهل الفاطمي نفسه بتأسيس مدينة أخرى جديدة على بعد ثلاث كيلومترات من المدينة القديمة.<sup>6</sup>

يقصدون المهديّة التي توجد بها دكاكينهم ومحلاتهم التجارية ليمارسوا بها مختلف أعمالهم، وبالليل يعودون إلى أسرهم بزوية وقد قال له بعض المقرّبين إليه، أن رعيتك في عناء فقال له: لكنني أنا في راحة لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم، فأنا آمن غائلتهم بالليل والنهار، وبذلك يتجنب أي خطر يهدده ولو على حساب مصلحة الرعية.

1 - الهوارية بطيب، "المكانة الجيوسياسية التي شكلتها مدينة المسيلة المحمدية في الإستراتيجية الفاطمية"، دفاتر المنتقى، المسيلة، 2009، ص 29. "مداخلة غير منشورة)،

\* ينظر الملحق 02: موقع مدينة المسيلة بالنسبة لمدن المغرب الإسلامي، ص 131.

2 - غنية عباسي، المرجع السابق، ص 37.

3 - سعيد ناصف، المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 54.

4 - حول هذه النقطة ينظر: paul Maïssera ,op.cit, p.09

5 - وقد أشارت العديد من الدراسات عن أهمية زابي أو بشيلقا حاليا في العهد الروماني والبيزنطي وقد ذكرت سابقا في أهم المدن التاريخية في الحصنة ينظر: محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، ص - ص 175-179؛ لخضر فاضل، المرجع السابق، ص 14؛ خالدية مضوي، المرجع السابق، ص - ص 8-9.

6 - الإجابة عن التساؤل نجده عند: charles Feraud ,op.cit, p.324.

الكثير من الكتاب والمؤرخين، يربطون بين الاسم الروماني لبشيلقا (زابي) ومدينة المسيلة وكأنه اسم لموقع واحد وهو المدينة الرومانية، فمثلا مرمول كربخال يتكلم على مدينة المسيلة فيقول هي مدينة عتيقة في طرف نوميدا، يحيط بها أسوار جيدة عتيقة من بناء الرومان، كانت هذه المدينة في قديم عهدها وعمرها بعد ذلك سكان فقراء لا يتخلصون من ذل أعراب تلك الجهات وعنقهم،

ويضيف أن سكان المناطق الجبلية التي تحيط بالحضنة كانوا دائمي الثورة منذ العهد البيزنطي ومن الممكن أنهم تمكنوا من دخول زاوي وتخريبها،<sup>1</sup> ومن المؤكد أن مدينة زاوي تعرضت للتخريب في خضم الثورات المتتالية<sup>2</sup>، وأن أبا القاسم لما وصل إلى المنطقة وأراد تأسيس مدينة جديدة، لم تكن مدينة زاوي قائمة فلو كانت موجودة لما أسس المسيلة على بعد ثلاث كيلومترات منها.<sup>3</sup>

لكن الجغرافي الكبير البكري الذي زار المنطقة بعد مائة وخمسون سنة من تأسيس المدينة يكذب هذا القول بقوله « وبقلي مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب، فيه قباب من بنيان الأول، وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها: بشيلقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأول إليها...»<sup>4</sup>، معنى هذا أن بقايا المدينة القديمة زاوي كانت على حالة جيدة من الحفظ وأن أبا القاسم اختار موقعا بالقرب منها وأطلق عليه اسم المحمدية.<sup>5</sup>

ينظر: مرمول كرنخال، إفريقيا، ترجمة، محمد حجي و محمد زبير و محمد الأخضر و أحمد التوفيق و أحمد بنجلون، دار لنشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ج2، ص381.

ونجد هذا كذلك عند الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص52. «بأنها مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نويميدا داخل الأراضي، على بعد نحو مائة و أربعين ميلا من بجاية. الأسوار المحيطة بها جميلة، بخلاف الدور فإنها قبيحة و السكان كلهم صناع أو فلاحون.»

1 - قدم فيروا تفسيراً عن تخريب زاوي. ينظر: Charles Feraud, op.cit, p.324.

2 - وهناك تفسير آخر يرجع تهديم زاوي إلى القتال الذي دار بين الكاهنة وحسان بن النعمان حيث يقول ابن أبي دينار: «فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا ففر حسان منهزما وقتل من العرب خلق كثير وأسرت من أصحاب حسان ثمانين رجلا... إن جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وأمدته عبد الملك بالمال والرجال وفر راجعا إلى إفريقية، فلما سمعت به الكاهنة بعثت إلى عمال إفريقية كلها وقطعت أشجارها وخربت بساتينها، علما أن العرب لا يطلبون إلا المدن وإذا خلت المدن لم يكن لهم أرب في إفريقية.» ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1986، ص32.

3 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص77؛ محمد جليل، المرجع السابق، ص13.

4 - البكري، المصدر السابق، ص59. حيث يذكر "القباب" و "بشيلقا" على أنهم موضعين مختلفين لكن في الحقيقة أحما موضع واحد.

5 - ومن وصف زاوي من قبل المؤرخين بما فيها البكري يبين لنا أن آثار المدينة كانت ظاهرة في عصر تأسيس المسيلة بدليل آثار منشآت الري الباقية إلى اليوم والتي تعود حسب المؤرخين الفرنسيين أمثال Feraud et Maïessera الى الوجود الروماني بالمنطقة، وتفاصيل أكثر حول هذه النقطة ينظر: سعاد سليمان، "منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة"، ص- ص73-74. وتسميتها بالمحمدية يدل على أن أبا القاسم ولي عهد عبد الله المهدي، هو الآخر عمل على تخليد اسمه، إلا أن هذا الاسم لم يعمر طويلا بعد موت مؤسسها، ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص24؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص215؛

وقد جرت العادة عند الأمراء والقادة المسلمين، عندما يريدون تأسيس مدينة أن يؤسسوها على أرض بكر لتكون المدينة إسلامية كما هو الحال في الكوفة، البصرة، الفسطاط، القيروان، المهديّة،<sup>1</sup> هناك دراسة قام بها كمال بيرم تحت عنوان: «كيف ارتبط اسم Zabi Justiniana بالمسيلة القديمة»، يقول على الأرجح أن موقع المسيلة القديم كان غير الموقع الذي أقيمت عليه المدينة الحمديّة الفاطمية التي اختطها أبو القاسم الفاطمي وهو على فرسه بمنطقة (الأشياخ) حالياً، بديل البقايا الأثرية للأواني الفخارية والنقود الفاطمية التي عثر عليها بها، بينما بقيت المسيلة القديمة في الموضع الذي عمر بعد خراب، والذي بقي يحمل اسم "خربة تليس"<sup>2</sup>، وهذا ما ذكر سابقاً في الروايات حول تأسيس مدينة المسيلة، والحقيقة أن هذه الدراسات لا تستند إلى دليل تاريخي محدد فتبقى مجرد فرضيات تاريخية، وقد اختير للمدينة موضع في بسيط من الأرض، على الضفة اليسرى لوادي القصب<sup>3</sup>.

وقد كان يسمى في تلك الحقبة بوادي سهر، يقول البكري: «وهي مدينة جلييلة على نهر يسمى نهر سهر»<sup>4</sup> بينما صاحب الاستبصار يذكر: «مدينة المسيلة، وهي بسيط من الأرض على نهر كبير يسمى

ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص36؛ النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص70؛ المقرئ، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص72.

معظم الكتب الجغرافية لا تذكر تسمية المدينة بالمحمدية ما عدا ياقوت الحموي والحميري وبعض الكتب الأخرى.  
1 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص78. يذكر أن التأسيس على الأرض العذراء بدلا من تحصين الموقع والحياة داخل مدينة قديمة، فخلوا الموقع من المباني يسهل على المعماري من وضع مخطط للمدينة بدون قيد.  
3- هذه الدراسة تفتقر إلى الأدلة التاريخية المتمثلة في النصوص التاريخية التي تؤكد صحة هذه الفرضيات. ينظر: كمال بيرم المرجع السابق، ص09.

4 - موضع المدينة تعني تلك المساحة التي تقف عليها مشتملة على المعالم الدقيقة كالأرض التي يبدأ الاستقرار فوقها، وينتشر عليها ويؤثر عليها، حول هذا الموضوع يراجع: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص99. وقد ذكر موضع تأسيس مدينة المسيلة عند البكري، المصدر السابق، ص59؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص- ص85-86؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص171.

1- لا يمكن تجاهل دور واد سهر في تأسيس مدينة المسيلة وقد ذكر دوره عند العديد من المؤرخين أمثال البكري، المصدر السابق، ص59؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص86.

بسهر ومنبعه من مدينة الغدير»<sup>1</sup>، وكانوا يطلقون عليه اسم وادي الريس ، وفيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض، وليس بالعميق.<sup>2</sup>

وقد وصفه الإدريسي بقوله: « وهو عذب، وفيه سمك صغير، وأهل المسيلة، يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير، فاحتمل إلى قلعة بني حماد، وبينهما اثنا عشر ميلا»<sup>3</sup>، وبالتالي تقع المسيلة على مقربة من واد كبير، وسط منظومة مائية حضرية وريفية هامة على ما يبدو فهي مزودة بساقية، بمعنى منشآت مائية قادرة على توفير كميات هامة من المياه لسكان المدينة، وهذا ما توضحه تحصينات المدينة،<sup>4</sup> وكان المتولي بنائها " علي بن حمدون " ، هذا الأخير الذي أتقن بناء المدينة وحصنها، وهذا ما اتفق عليه الكثير من المؤلفين، لكنهم اختلفوا في وصف تحصيناتها.<sup>5</sup>

فالرأي الأول: نجده عند ابن حوقل وله أهميته لأنه زار بلاد المغرب ، وعاصر فترة الخلافة الفاطمية، فيصفها بقوله : «وعليها سور حصين من طوب»<sup>6</sup>.

أما الرأي الثاني: جاء به البكري، الذي يذكر أن للمدينة سوران « عليها سوران، بينهما جدول ماء، جار يستدير بالمدينة، وله منافذ يسقي منها عند الحاجة »<sup>1</sup>.

<sup>2</sup> - الاستبصار، المصدر السابق، ص- ص171-172.

<sup>3</sup> - أطلق على وادي سهر كذلك وادي سحر حيث يقول المغربي«وهي محدثة بناها العبيديون على نحر سحر»، المغربي، المصدر السابق، ص126، وعن وادي سهر ينظر كذلك. Charles Feraud, op.cit, p.327-328 Despois, op.cit, p.108

paul Maïssera, op.cit, p.09 يضيف ماسيرا أن وفرة المياه التي يتميز بها الواد سحرت أبا القاسم ودفعته لتأسيس

المسيلة .

<sup>4</sup> - الإدريسي، المصدر السابق، ص156. أما عن مميزات وادي سهر أو ما يعرف بوادي القصب ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

<sup>4</sup> - محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ VIIم - XVم (فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ص107.

<sup>5</sup> - وفيما يتعلق ببناء المدينة يذكر ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51. « ودفع علي بن حمدون الأندلسي من صناع دولتهم إلى بنائها».

أما عن اختلاف المؤرخين حول عدد الحصون المحاطة بالمدينة ينظر: محمد الصالح مرمول، " نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص30.

<sup>6</sup> - ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

ولعل هذا الاختلاف يعود إلى التفاوت الزمني في وصفها، إذ يبدو أن ابن حوقل قد زار المدينة في بداياتها، وما خالفه به البكري يعود إلى التطور الذي شهدته المدينة في الفترات اللاحقة وعليه يفترض المنطق أن المدينة أحيطت في البداية بسور واحد، أضيف إليه سور ثان في فترة لاحقة وأحيط بجداول ماء<sup>2</sup>، وقد ارتبطت الرغبة في تأمين المدن وحماتها بالظروف السياسية التي صاحبت نشأة المدن، وانعكست على اختيار مواقع المدن وتحصيناتها، ومن هنا كان اتخاذ السور حول المدينة أمراً هاماً، حيث تبلورت الدلالة العسكرية للسور، الذي يعني أمن وأمان المدينة.<sup>3</sup>

ويلاحظ المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط أن ظهور الدولة الفاطمية و بعدها الزيرية كان له أثر كبير في إنشاء العديد من المدن في بلاد المغرب في هذه الفترة كأشير والمسيلة، و قلعة بني حماد وبجاية، وهي تمثل المستوى التطبيقي للفكر الإسلامي في ميدان العمران،<sup>4</sup> كل هذه المعطيات جعلت المدن تختلف وتتنوع باختلاف وظائفها وظروف إنشائها ومواقعها وموضعها.<sup>5</sup>

لكن عند الاطلاع على مختلف المصادر الجغرافية والتاريخية من عصور مختلفة ومناطق إسلامية متباعدة، نتوصل إلى أن المدن لا بد أن يراعى في بنائها عدة شروط وقواعد، لكي تدوم وتبقى لمدة طويلة دون خراب أو هجرات، وذلك بأخذ الاحتياطات والإجراءات الضرورية عند التأسيس، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الأمني و الاقتصادي،<sup>6</sup> فالمدينة في نشأتها وتطورها انطلقت من محاور أساسية في التخطيط<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> - البكري، المصدر السابق، ص 59.

ومن الأرجح أن الرأي الثاني له قيمته، حسب محمد الصالح مرمول حتى يمكن تفجير ماء الجدول الذي يحيط بها في وجه العدو المهاجم وعرقلة تقدمه، وبذلك تكون مهمته كخندق زويلة من الجهة الغربية والذي أنشئ لهذا الغرض، محمد الصالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص 30.

فقد يلعب كذلك السور الخارجي دوراً مهماً في حماية المدينة من الأعداء بينما السور الخارجي يحمي القناة من التبذير، وكانت وظيفته تموين سكان المدينة بمياه الشرب، ويستخدم كاحتياطي لوقت الحاجة وقد زودت هذه القناة بقنوات لتوصيل المياه للمدينة، ينظر: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 79.

<sup>2</sup> - نحلة شهاب، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 126.

<sup>3</sup> - حول تحصينات المدينة وظروف نشأتها ينظر: محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 96.

<sup>4</sup> - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص - ص 79 - 80.

<sup>5</sup> - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 96.

<sup>6</sup> - عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص 33.

<sup>7</sup> - حول هذا الموضوع ينظر: محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 100.

بلورها ابن الربيع<sup>1</sup> في ستة شروط أوجب على الحاكم اتباعها عند اختيار موضع المدينة، وهذه الشروط هي:

- **سعة المياه المستعذبة:** وهذا ما نجده متوفر في مدينة المسيلة إذ يوجد فيها جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة، وهي على نهر فيه ماء كثير منبسط على وجه الأرض.<sup>2</sup>

- **إمكان الميرة:**<sup>3</sup> المستمدة، من هذه الناحية فإن المدينة تتوفر على محصول هائل من الثمار والحبوب الذي يكفي لسد حاجيات سكانها<sup>4</sup> وهذا ما يذكره العديد من المؤرخين، كما أمر أبو القاسم علي بن حمدون أن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به ففعل ذلك، فلم يزل مخزوننا إلى أن خرج أبو يزيد ولقيه المنصور، تحسبا لنشوب حروب أو وقوع حصار على المدينة.<sup>5</sup>

- **اعتدال المكان ووجود الهواء:** ومن الضرورات التي تتطلبها الحياة في المدينة والتي لا بد من توفرها بجوارها أو بقربها، منها الجانب الصحي للإنسان كطيب ونقاء واعتدال المكان المراد فيه البناء<sup>6</sup>، لأن المدينة مظهر من مظاهر التفاعل بين الإنسان والبيئة.<sup>1</sup>

وقد ذكر الشروط الثمانية التي وضعها ابن الربيع في تخطيط المدن وهي : أن يسوق إليها الماء العذب، وأن يقدر طرقها وشوارعها، وأن يبني فيها جامعا للصلاة، وأن يقدر أسواقها، وأن يميز بين قبائل ساكنيها، وأن يجعل خواصه محيطين به من سائر جهاتها، وأن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء، وأن ينتقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها ويلاحظ أن هذه الشروط تحدد الهيكل العام والأساسي للمدينة، وتركزت على توافر المرافق العامة التي لم تتوفر في تأسيس مدينة المسيلة.

<sup>1</sup> - عن شروط تأسيس المدن ينظر: ابن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996، ص106.

<sup>2</sup> - لقد ذكرنا سابقا مميزات وادي القصب وما يوفره من مياه لسد حاجيات السكان، وأن وفرة مياهه سحرت أبا القاسم فأسس مدينة المسيلة على ضفاف هذا الواد، فقربها من مصادر الماء جعل هذا العنصر الحيوي متوفر فيها، علما أنها تقع في منطقة حارة وجافة مما يزيد في أهمية هذا العنصر، ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص85؛ البكري، المصدر السابق، ص59؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص156؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص82؛ عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص33.

<sup>3</sup> - ذكرت ترجمة "الميرة" في هامش الكتاب بمعنى "الطعام"، ينظر: ابن الربيع، المصدر السابق، ص106.

<sup>4</sup> - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص80.

<sup>5</sup> - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص36؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص72؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51؛ في حين أن ابن حماد يضيف بقوله « وكان إذا ارتفعت الأسعار، وأغبت الأمطار يكتب = إلى أبي القاسم، وهو ولي عهد أبيه وبعد إفشاء الأمر إليه يستأذنه في البيع، ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع، فيأباه وينهاه، ويأمره بالاستكثار والادخار، ويعلمه أنه سيحتاج إليه، ويضطر نحوه، فلم تزل تلك الأطعمة مصنونة محتزنة إلى فتنة أبي يزيد»، ابن حماد، المصدر السابق، ص25.

<sup>6</sup> - بنيت المسيلة في بسيط من الأرض كما ذكر الإدريسي، المصدر السابق، ص155

-القرب من المراعي والاحتطاب: وقد استفادت من موقعها، حيث كانت جهاتها تتميز بالطابع الرعوي، فالمراعي قريبة منها والمزارع فحسب قول كل من البكري<sup>2</sup> والإدريسي<sup>3</sup> أن المدينة تتوفر على ذلك في قولهم «تحتوي مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه، ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وجنات وفواكه وبقول ولحوم»، فقرب المزارع ضروري لأن الزرع هو القوت، والشجر للحطب والخشب، فالحطب كوقود للنيران، والخشب للمباني.<sup>4</sup>

-تحصين المنازل من الأعداء والذعار<sup>5</sup>: يتبين أن الحماية والتحصين الطبيعي أو الاصطناعي المتمثل في الأسوار والخنادق والحواجز عناصر أساسية في بناء المدن وهذا الشرط يتوفر في بناء المسيلة<sup>6</sup> اعتمادا على ما ذكره كل من البكري<sup>7</sup> و ابن حوقل<sup>8</sup> وهو أسلوب دفاعي عرفته العديد من مدن العصر الوسيط.<sup>9</sup>

-أن يحيط بها سواد<sup>10</sup> يعين أهلها: يقول البكري«وللمدينة أسواق وحمامات، وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن»<sup>11</sup> في حين يضيف الإدريسي«ومزارع قطن وقمح وشعير»<sup>12</sup>، أما صاحب الاستبصار«ومدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين»<sup>13</sup>.

- 1 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 81.
- 2 - عن الأهمية الاقتصادية للمنطقة ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 59.
- 3 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 86.
- 4 - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 28.
- 5 - الذعار: أتى شرح هذه الكلمة في هامش كتاب ابن الربيع، المصدر السابق، ص 106. وتعني الكلمة أصحاب السوايق و الزعارات الذين يدعون الناس ويخيفونهم . وهذا ينطبق على القبائل الزناتية التي كانت تهدد استقرار بلاد المغرب.
- 6 - عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص 33.
- 7 - لقد ذكر سابقا وصف البكري لسور المدينة بقوله«وعليها سوران»؛ البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 239.
- 8 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85 ، بقوله«وعليها سور حصين من طوب».
- 9 - الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 251.
- 10 - السواد: تعني أراضي زراعي وقرى مأهولة. هامش كتاب ابن الربيع، المصدر السابق، ص 106.
- 11 - البكري، المصدر السابق، ص 59.
- 12 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.
- 13 - الاستبصار، المصدر السابق، ص 172.

كل هذا يشير بأن المدينة تتوفر على هذا الشروط من خلال ما وصفه الرحالة، ومما سبق يتضح لنا أنه حين نتكلم عن المدينة، فإننا نعني أشياء كثيرة، ومتباينة إلى حد كبير، مما يتطلب منا أن نضع من البداية بعض المعايير التي تساعدنا على تبيين الملامح الأساسية التي يجب أن تتوفر في تأسيس المدن.<sup>1</sup>

على كل حال أصبحت المدينة بعد إن استكملت تحصيناتها، ومرافقها العاصمة السياسية والإدارية في المنطقة، متجاوزة في ذلك مدينة طبنة عاصمة الزاب القديمة، التي فقدت مكانتها لصالح المسيلة التي أصبحت المركز التجاري والحضاري لإقليم الزاب وبذلك نقطة جذب لسكان المناطق المجاورة مما زاد في اتساعها وازدهار أوضاعها عامة<sup>2</sup>.

## 2- الأسرة الحمدونية بالمسيلة:

### 1- ولاية علي بن حمدون:

بعد انتهاء عملية بناء المدينة ولى عليها علي بن حمدون بن السماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي<sup>3</sup>.

1 - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 61.

2 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص 126.

3 - ولاية علي بن حمدون على المسيلة، أشارت إليها العديد من المصادر التاريخية والجغرافية التي كتب عن المسيلة أو عند التحدث عن حملة أبي القاسم إلى المغرب أمثال. البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 239. يذكر «وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي، المعروف بابن الأندلسي»؛ الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 155؛ بن حوقل «هي مدينة محدثة، استحدثها علي بن الأندلسي أحد خدام آل عبيد الله وعبيدهم» ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 58؛ الحميري، المصدر السابق، ص 558؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 215. يذكر «وكان الأمير أبو القاسم بن عبيد الله أمر ببناء مدينة المسيلة سنة 313هـ، وجعل المتولي لبنائها ابن الأندلسي، واستعمله بعد ذلك =عليها»؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 24؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51، يقول: «ودفع علي بن حمدون الأندلسي من صنائع دولتهم إلى بنائها».

أما Maissere يقول «وولى عليها علي بن حمدون الجذامي والملقب بابن الأندلسي لأن أسرته هاجرت من مدينة دمشق إلى الأندلس وأقامت مع الدولة الأموية هناك»؛ ينظر: paul Maissere, op.cit, p.09.

وعن نسب علي بن حمدون يذكر: محمد اليعلاوي، "بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني الأندلسي"، الأصاله، قسنطينة، ع 24، 1975، ص 49. أن علي بن حمدون كان مع أخيه محمد وأبيهما حمدون من قادة الدولة الفاطمية ودعاتها، خصوصا عبد الحميد بن سماك الجذامي الأندلسي، وقدمت هذه الأسرة من البيرة في الأندلس إلى منطقة بجاية والقبائل الصغرى، وعبد الحميد أصله يماني (جذام) عاش طويلا بالأندلس وانقلب اسمه مصغرا إلى "حمدون".

ويذكر ابن خلدون بأنه اتصل بالمهدي و أبي القاسم بالمشرق قبل نشأة الدعوة، وبعثوه من طرابلس إلى عبد الله الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف، ولزمهم أيام اعتقاله بسجلماسة، وبقي في خدمة الفاطميين إلى أن اختط أبي القاسم مدينة المسيلة<sup>1</sup>.

ويضيف محمد صالح مرمول بأن علي بن حمدون لما خرج مع أبي القاسم في حملته العسكرية إلى المغرب، خلالها جرب إمكاناته، وذكأؤه فوجده خادما مطيعا، وأهلا لتحمل المسؤولية<sup>2</sup>، فكلفه بنائها وجعله واليا عليها وعلى كامل إقليم الزاب<sup>3</sup> الذي كان يمتد جنوبا إلى الواحات وغربا إلى حدود صنهاجة بأشير وشرقا إلى قسم من الأوراس،<sup>4</sup> انتقلت قاعدة الزاب من طنبنة إلى المسيلة، وامتد عملها على الحضنة إلى حدود عمل باغاية شرقا، ويجاور وطن صنهاجة شمالا و غربا وبه من سكان زناتة كثير، ومنهم في جنوب المسيلة بنو برزال أهل جبل سالات، وأنجب علي بن حمدون ابنين: جعفر ويحيى نشأ ببلاط أبي القاسم بالمهدية، وريبا مع أولاده وكانت أم المعز لدين الله قد أرضعت جعفرا فصار أخوين بالرضاع.<sup>5</sup>

وهناك من يرى أن بنو حمدون شكلوا سدا أمام خطر تحركات بنو خزر الذين مثلوا أهم وأقوى حليف لبني أمية في المغرب، ففي سنة (317هـ/929م) زحف أميرهم عبد الله بن خزر لمحاصرة قاعدة الفاطميين المستحدثة (مدينة المسيلة) وقد تحاشى حاكمها علي بن حمدون المواجهة، نظرا لضخامة القوة المهاجمة، وعلى الرغم من فشل عبيد الله في اقتحام المدينة والإمساك بحاكمها، إلا انه افلح في نيل تأييد القبائل الضاربة حول المدينة<sup>6</sup>، وفي هذا الوقت (324هـ/936م) عانت بلاد الزاب من بعض القلاقل التي

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص107.

2 - محمد صالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص- ص28-29.

وقد ذكرنا سابقا ظروف الحملة العسكرية التي قام بها أبي القاسم نحو المغرب.

3 - بعد تأسيس المسيلة انتقلت العاصمة إليها بدلا من طنبنة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص107؛ الهادي روجي

إدريس، المرجع السابق، ج1، ص47.

4 - محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص49.

5- نفسه، ص50؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص47. يقول «وأرضعت أم جعفر الأمير معد الذي سيتولى الخلافة

فيما بعد باسم المعز لدين الله».

6- تحلة شهاب، المرجع السابق ص127.

دفعت علي بن حمدون، إلى تخريب مدينة المسيلة، والظاهر أن هذا التخريب كان شكليا فقد بقيت مدينة المسيلة مقرا لجعفر بن علي بن حمدون بعده<sup>1</sup>، لكن من المؤكد أنهم أخلطوا بين المسيلة ومدينة أدنة التي توجد بينها وبين المسيلة مرحلة وبينها وبين طبنة مرحلتان،<sup>2</sup> ولما كانت ثورة أبي يزيد وأضرمت إفريقية نارا وفتنة حسب قول ابن خلدون، فكتب أبو القاسم إلى علي بن حمدون أن يجند قبائل البربر ويوافيه، فسار الجيش لفك الحصار على المهديّة، والتحمت قواته بابي يزيد ملحقة الهزيمة بهوارة، ومسيطرة على مدينة تيجيس وباغاية، فالتقى الجيشان مرة أخرى ناحية باجة بأيوب بن أبي يزيد واشتد القتال بينهما، فانهزم علي بن حمدون<sup>3</sup>، وقتل سنة (334هـ/ 945م) ولى ابنه جعفر بعد ذلك أعمال المسيلة والزاب.<sup>4</sup>

وتمكن علي بن حمدون أثناء فترة حكمه من تحقيق رغبات الخلفاء الفاطميين، وإظهار المستوى الرفيع في خدمة الخلافة الناشئة، حيث جعل من مدينة المسيلة مخزنا كبيرا للمؤن خزنت فيها الحبوب والزيت والزيوت والأنواع المختلفة من الأغذية، وتكفل باحتياجات الجيوش المتوجهة لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط والأقصى.<sup>5</sup> كل هذا أهله لأن يكون أحد أركانها المعتمدين في تنفيذ سياساتها فكانت ولايته على

1 - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج3، ص168.

2 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص47.

3 - عن دور المسيلة في فك الحصار عن المهديّة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص107؛ رشيد بروية، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص11؛ نحلة شهاب، المرجع السابق، ص127.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص108؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص172؛ محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص50؛ نحلة شهاب، المرجع السابق، ص127.

5 - ابن حماد، المصدر السابق، ص- 24- 25؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص- 87- 88.

الزاب، والعهد إليه في بناء المدينة، بداية لمشواره السياسي<sup>1</sup>، وبلغت المدينة من الحضارة وال عمران ما جعلها قبلة للعلم والأدب، فقصدها أرباب الثقافة من كل الجهات، والفضل في ذلك إلى علي بن حمدون.<sup>2</sup>

## 2- ولاية جعفر بن علي بن حمدون:

بعد مقتل أبيه عين أبي علي جعفر بن أحمد بن حمدون الأندلسي على عمل المسيلة و ما يليها من بلاد الزاب<sup>3</sup> بمعاونة أخيه يحيى، تميزت فترته بالتعقيد وذلك لانتشار الواسع لثورة أبي يزيد في أماكن عديدة من بلاد المغرب.<sup>4</sup>

غير أن النصوص المتوفرة في هذا البحث لم تذكر الدور الذي قام به جعفر بن علي في ثورة أبي يزيد، باستثناء بعض المؤلفين كابن حماد<sup>5</sup> الذي يروي تفاصيل دقيقة عن الثورة، ويكتفي بذكر الكتاب الذي بعثه جعفر صاحب المسيلة إلى المنصور، يخبره فيه، بالقبض عن رجل أدي الإمامة وأثار فتنة سياسية ودينية في جبل الأوراس، ثم يضيف بقوله «ورجع من طنبنة، فأتاه جعفر بن علي بن حمدون بهدنة منها خمسة وعشرون فرسا ومثلها بخباء.... وأتاه بالثائر المذكور».<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص124.

<sup>2</sup> - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص110.

<sup>3</sup> - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص215. ويضيف بقوله «وصار أميراً على الزاب كله».

<sup>4</sup> - في هذه الفترة بين (334هـ-336هـ/945-947م) استفحل أمر صاحب الحمار وكثر أتباعه من البربر وشملت ثورته أجزاء كبيرة من المغرب وهذا ما يأتي ذكره فيما بعد في ثورة أبي يزيد ودور المسيلة في إخمادها، ينظر: إدريس عماد الدين القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، 393؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص- ص58-59؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص- ص35-36؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص- ص219-220؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص- ص55-56؛ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص- ص229-230.

<sup>5</sup> - يروي ابن حماد «وسار اسماعيل... إلى طنبنة، فأقام بها أيام كثيرة وورد عليه كتاب جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة والزاب يخبر بمحبوس عنده ثار بجبل أوراس، واجتمعت عليه قبائل كثيرة من زواوة وصنهاجة وعجيسة...». ابن حماد، المصدر السابق، ص36. أما الداعي إدريس، فقد ذكر مشاركة جعفر في جيش المنصور أثناء توجهه أبو يزيد إلى جبال الحضنة بقوله «وعبأ عساكره فجعل في الميمنة جيملة ولهيصة من قبائل كتامة وجعفر بن علي صاحب المسيلة...»، إدريس عماد الدين القرشي،

<sup>6</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص37؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص53.

ونظرا لما أبداه علي بن حمدون من ولاء مطلق للخلافة الفاطمية، فقد حفظ الخليفة المنصور الفاطمي مكانته ودور عائلته بأن أورث أولاده جعفر ويحيى حكم المسيلة والزاب،<sup>1</sup> ويذكر ابن خلدون<sup>2</sup> أن هذا قد تم بعد القضاء على ثورة أبي يزيد بقوله: «ولما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المنصور على المسيلة لجعفر بن علي بن حمدون وأنزله بها وأخاه يحيى، واستجدوا بها سلطان ودولة»، ومن الواضح أن المسيلة في عهد جعفر بن علي بن حمدون شهدت تقدما كبيرا في جميع الميادين<sup>3</sup> وهذا ما يذكره ابن خلدون<sup>4</sup> بقوله: «أنه بنى القصور والمنتزهات».

ويضيف ابن خلكان<sup>5</sup> «كان سخيا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم» فقد غرس فيه أبوه حب الثقافة والاعتناء بأهلها، فقصده العلماء والشعراء<sup>6</sup>، أمثال ابن هاني الأندلسي<sup>1</sup>، الذي استعذب الحياة في ذلك الإقليم وظل وفيما بشعره للأسرة الحمدونية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص 127.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108. وقد حددتها المصادر التاريخية سنة (336هـ/947م)

<sup>3</sup> - محمد لجلط، المرجع السابق، ص 19.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108.

نجد الجانب العمراني للمدينة يغيب في كل المصادر التاريخية ما عدا بعض الإشارات نجدها عند ابن خلدون، والبكري، المصدر السابق، ص 59.

يذكر أن للمدينة أسواق وحمامات، بالإضافة إلى ما ورد في شعر ابن هاني الأندلسي، عندما يصف قصورها، خاصة القصر الذي بناه جعفر لابنه إبراهيم والذي لا نعرف موقعه بالضبط يقول ابن هاني

ألكني إلى القصر المشيد تحية  
فقد حدث الركب ان عنه فأكثروا.

ينظر: محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص 56.

وهناك وصف آخر لمجلس بناه إبراهيم بن جعفر بن حمدون وصفه ابن هاني بأبيات رائعة في قصيدة استهلها بتصوير غير الشمس من حسن ذلك المجلس وذكر تضاءل لمعاتها بجانب لمعانه إذا كان مكسوا بالذهب والفضة يقول:

الشمس عنه كليله أجفانها  
عبرت يضيق بسرهما كتماها  
لو تستطيع ضياءه لدنت له  
يعشو إلى لمعانه لمعاتها

ومنها قوله:

إيوان ملك لو رآته فارس  
ذعرت وخر لسمكه إيوانها  
تغدو القصور البيض في جنباته  
صورا إليه يكل عنه عيانتها

شرح كلمة يعشو: يقصد أن لمعان الشمس يستضيء بلمعان ذلك القصر ينظر: أحمد خالد، المرجع السابق، ص 41.

<sup>5</sup> - ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، مج 1، ص 360.

<sup>6</sup> - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 110.

وبطبيعة الحال النجاح الذي وصل إليه جعفر في إدارة الزاب جعله محل اتهامات كثير من منافسيه<sup>3</sup>، بالإضافة إلى ما ذكره الهادي روجي إدريس<sup>4</sup> بعدم رضی المعز عن تصرفات جعفر الذي رفض دفع مبلغ معين لبيت المال، بالرغم من نصيحة جوذر<sup>5</sup> بقبول الاقتراحات المتعلقة باقتطاع ضرائب المسيلة والزاب لفائدة الخلافة، وهذا يعني حرمان جعفر من صلاحيته الجبائية وتمكينه من مرتب سنوي ثابت<sup>6</sup>. وقد برر جعفر في رسالته<sup>7</sup> للمعز النفقات التي ستنتفق في أغراض أخرى، مضيفاً أنه لا يستطيع أن يضيف إلى الفائض الذي كان يدفعه لبيت مال سوى مبلغ طفيف.

<sup>1</sup> - فهاجر إلى بلاد المغرب، وقد سمع بجعفر بن علي وجوده، فقصده، فمدحه بقوله:

خلقت شهابا يضيء الخطوب      ولست شهابا يضيء الظلم

تشيع فيكم لساني ومن      تشيع في قوله لم يسلم

حمدت لقاءك حمد الربيع      وشممت نوالك شيم الديم

وقد خلد ابن هاني الأندلسي جعفر بقصائد كثيرة مثل:

خليلي أين الزاب مني وجعفر      وجنات عدن بنت عنها وكوثر

خليلي ما الأيام إلا بجعفر      وما الناس إلا جعفر، دام جعفر

وله أيضا قوله:

والمشرفات النيرات ثلاث      الشمس والقمر المنير وجعفر

ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج 1، ص 360؛ محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص - ص 110-112.

<sup>2</sup> - وقد طاب له المقام بالزاب فيقول:

إنما الزاب جنة الخلد فيها      من نداء غضارة التفريق

ينظر: محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 111.

<sup>3</sup> - محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص 50.

<sup>4</sup> - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 66. ويضيف كذلك أن جوذر وجه رسالة إلى جعفر بن علي يطلب منه بذل المزيد من المال لإرضاء الخليفة الذي كان ناقما عليه، ووعد جعفر بأنه سيحاول تلبية هذا الطلب، وذكر له أنه ضحية بعض الوشاة ربما يقصد به بلكين.

<sup>5</sup> - عن القائد جوذر ينظر: الجوزري، سيرة الأستاذ جوذر، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة مصر، دار الفكر العربي، ص - ص 6-10.

<sup>6</sup> - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 66.

<sup>7</sup> - نص رسالة جعفر إلى المعز «يا مولاي صلي الله عليك، هذا بلد كثير القول فيه تطاول المتقلبون (يقصد بما حسب ما جاء في الكتاب المتقلبون الذي يضمنون الضرائب) إليه فالواجب عقده علي من طلبه، ولا يذهب مال مولانا خسارة، وفي على حسن نظره لجعفر ما يعيش به ويستتر بقية عمره».

من الواضح أن زيري<sup>1</sup> وابنه بلكين<sup>2</sup> استغل الوضع المتوتر بين المعز وجعفر بن علي وحاولا تأليب الخليفة عليه لاثامه، بميله إلى زناتة وتشيعه للأمويين،<sup>3</sup> ومع ذلك حاول الخليفة الفاطمي المعز أن يصلح بينهما، فاستدعى الطرفين فكانت المقابلة شديدة وانتهت بدون نتيجة كما يذكر رشيد بورويبة،<sup>4</sup> لما عزم المعز الرحيل إلى مصر، فكر فيمن سيخلفه في بلاد المغرب، ممن يتوفر صدق التشيع كما ذكر ابن خلدون.<sup>5</sup>

فيقول المقرئزي: «فوقع اختياره على جعفر بن علي الأمير فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب فقال: تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر و أنا أدبر، ولا تسألني عن شيء من

رد المعز على رسالة جعفر «ياجوذر: وقفنا على كتاب جعفر، والله ما أدري ما أقول في ذلك، لكن محلك من أنفسنا وموضعك من رضانا يمنعنا أن نطوي عنك ما عندنا سرا وجهرا، وجعفر فقد علم الله رغبتنا في إصلاح أموره وإجرائها على السداد والبقاء النعمة عليه وعنده، واحدة: من أجلك وأنه منسوب إليك، وثانية: لأبيه وموضعه من رضاء مواليه، وثالثة: لنفسه فقد أشدنا بذكره ورفعنا من رتبته ... والبلد الذي هو به فو الله الذي لا إله إلا هو لقد بذل لنا فيه جماعة من الأولياء، والعبيد سبعين ألف دينار في السنة وأقل وأكثر، فرفضنا أقوالهم ولم تغير نعمتنا عنده ضنا منا به وبأنه يفى بدون ذلك ...». ينظر: الجوذري، المصدر السابق، ص - ص 129-130.

<sup>1</sup> - زيري بن مناد الحميري الصنهاجي: أول أمير صنهاجي بني مدينة أشير، وحصنها أيام خروج أبي يزيد مخلد، أعطاه المنصور ولاية تيهرت وأعمالها، وكان حسن السيرة وكانت بينه وبين زناتة حروب كثيرة، قتل سنة ستين وثلاثمائة في أيام المعز لدين الله، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج 24، ص - ص 87-91؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج 2، ص 343؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص - ص 203-205.

<sup>2</sup> - عن تعريف بلكين ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص - ص 205-206؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 228؛ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 92؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص - ص 333-334؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74.

<sup>3</sup> - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 64، الذي يرجع الخلاف بين بلكين وجعفر إلى الانتصار الذي أحرزه بلكين في عهد أبيه زيري بن مناد على الزناتيين ومطاردتهم حتى ضواحي المسيلة، ويذكر أن هذا لم يرض أمير الزاب والمسيلة جعفر بن علي بن حمدون، ؛ في حين رشيد بورويبة يرجع ذلك بأن جعفر كان يكره زيري بن مناد وابنه بلكين ولم يعنهما في محاربتهما لزناتة بل لم يأخذ أي تدبير لإزالة دسائس أتباع الأمويين بالمسيلة، ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 511. في حين الهادي روجي إدريس يرجع ذلك إلى أن الأمويين كان لهم جواسيس في المسيلة، مثل ذلك الجاسوس المدعو عثمان بن أمين الذي لم يتخذ جعفر بن علي أي إجراء ضده . الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 65.

<sup>4</sup> - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 11؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 66. لكن جوذر يختلف في الرأي معهم ويذكر أن الإمام المعز لدين الله قد أصلح بينهما. ينظر: الجوذري، المصدر السابق، ص - ص 100-101.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 393؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 228.

الأموال لأن ما أجنبيه يكون إزاء ما أنفقه من الأموال، وإذا أردت أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك لبعده ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره إلى»<sup>1</sup>، كان رد جعفر ينطوي على تطلع ونزوع نحو الانفراد بالحكم، تاركا للخليفة هامشا بسيطا من النفوذ المعنوي هذا ما استشعره الإمام المعز لدين الله الفاطمي<sup>2</sup> حين قال له: «يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري واستبددت بالأعمال والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشداك»<sup>3</sup>.

ولاندري أي مبرر جعل جعفر يتعجل بالإفصاح عن تطلعاته، ولم يكتمها أو على الأقل يؤجلها إلى أن يجين الأوان، ربما كان مدفوعا بشعور أحقيته دون غيره بهذا الامتياز لما له من فضل وأسرته في قيام نظام الخلافة الفاطمية بالمغرب، وبذلك أظهرت هذه المقابلة قصور المنظور السياسي لجعفر بن علي بن حمدون في كيفية التعامل مع مستجدات الأحداث وصولا إلى تحقيق أهدافه، فجاء رد الإمام المعز لدين الله محبطا

<sup>1</sup> - المقريري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق، محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، 1998، ج2، ص 32.

وقد ذكرت العديد من الدراسات الشروط التي وضعها جعفر بن علي بن حمدون للمعز عندما أراد استخلافه على بلاد المغرب، ينظر: حسن خضيري، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/ 973-1171م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص - ص 29-30؛ مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص55؛ محمد أبو رزاق، الأدب في عصر دولة بني حماد، (405-547هـ/1014-1152م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص59، ويذكر عبد العزيز الفيلاي أن هذه الشروط توحى من البداية على رغبة جعفر بن علي في الاستقلال ببلاد المغرب. عبد العزيز الفيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص189، أما رشيد بور وبة، المرجع السابق، ص13. يذكر رواية المقريري وكذا السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص641؛ أما النويري يقول «فانفذ المعز لدين الله إليه يستدعيه، فلم يأت ولم يمتنع فأرسل إليه ثانية فرجا الصقلي فلما بقي بين فرج وجعفر مقدار مرحلة، وكان في المسيلة فخرج منها وأظهر المسير إلى المعز، ثم مال بعسكره ومعه السلاح والأموال و مضى إلى زناتة»، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص91؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص67.

<sup>2</sup> - نخلة شهاب، المرجع السابق، ص129.

<sup>3</sup> - المقريري، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص99.

ومخيبا لآمال، وربما داعبت مخيلة بني حمدون في أن يتصدروا الأمور في هكذا مواقف جزاء ولائهم وخدماتهم بما احدث قطيعة لا لقاء بعدها بالخلافة الفاطمية، بما اوجب عليها التفكير في خيارات بديلة<sup>1</sup>.

لم يجد الإمام المعز لدين الله مخرجا سوى التوجه إلى قائد صنهاجة بلكين بن زيري<sup>2</sup>، ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، دون كتامة التي وقفت هي الأخرى موقفا جافيا، أشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون<sup>3</sup>، لكن بلكين كشف عن سياسة ماهرة في الحوار الذي جمعه مع الإمام المعز لدين الله، مما يدل على نضجه السياسي ووعيه الدبلوماسي، فلعله يتحين الفرصة كما ذكر عبد العزيز الفيلاي<sup>4</sup>، حتى يحصل على ما كان ينشده، فقد تصنع الخوف من مسؤولية ولاية إفريقية والمغرب بكل ما فيها من فوضي سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية، بقوله لم تصف لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف تصفو ليوسف بلكين وهو صنهاجي بربري<sup>5</sup>.

أما جعفر بن علي، فليس له عصبية تحميه، وليس له وزن بين القبائل البربرية مثل كتامة، وزناته، وصنهاجة، بالإضافة إلى الجفاء الذي كان يسود العلاقة بين بني زيري وبني حمدون بحكم الحوار في الأعمال، والتنافس على السلطان<sup>6</sup> هذا الضغط على بني حمدون دفعهم إلى إقامة تحالف وثيق مع زناته

1 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص129.

2 - عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص190.

3 - بعث المعز إلى شيوخ كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم للخلافة الفاطمية وقال لهم «يا إخواننا إن ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم، ويأخذون صدقاتهم ومراعيتهم ويحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها، فاستعنا بما على ما نحن سبيله» فرد شيوخ كتامة بكبرياء قائلين له «قل لمولانا والله لأفعلنا هذا أبدا، كيف تؤدي كتامة الجزية، يصير عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قدما بالإسلام وحديثا معكم بالإيمان، سيوفنا بطاعتكم في المشرق و المغرب»، ينظر: المقرئزي، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص98.

4 - عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص190.

5 - نص الحوار الذي دار بين المعز وبلكين بن زيري: « قال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك، وقال يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتنني يا مولانا بغير سيف ولا رمح، فما زال به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخيز لمن يثق به ويجعله قائما بين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك» ينظر: المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ص-ص36-37.

6 - عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص192.

حليفة الأمويين القوية في المغرب بالإضافة إلى توحيد إمكانياتهم في مواجهة صنهاجة ممثلة الفاطميين<sup>1</sup>، وبذلك ولاء جعفر بن حمدون للخلفاء الفاطميين لم يكن صافيا ولا ثابت بدليل تمرده في آخر أمره على المعز<sup>2</sup> وقطع الدعوة، وانضمامه إلى صفوف زناتة.<sup>3</sup>

يقول النويري: «ولما وصل جعفر إلى زناتة، قبلوه أحسن قبول، وقدموه على أنفسهم، فبلغ الخبر زيري، فبادر بالخروج إلى جعفر»<sup>4</sup> في عدد من صنهاجة فالتقى معه وكانت وقعة عظيمة<sup>5</sup> بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وزناتة بقيادة الخير بن محمد<sup>6</sup>، ويذكر أن زيري بن مناد اطلع على رسائل، كان جعفر بن حمدون قد أرسلها إلى زناتة، تحتوي معلومات عن تحركات زيري ومواطن ضعفه، فضلا عن ذلك فقد وجد عند محمد بن خزر فرسا لجعفر بن علي كان الخليفة قد منحه إياه، فاستغل ابن زيري ذلك واتهمه بالخيانة، مما جعل المعز لدين الله يكتب بعزله عن ولاية المسيلة واقليم الزاب<sup>7</sup>.

1 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص، 131.

2 - محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص، 50.

3 - عن قطع جعفر بن حمدون للدعوة الفاطمية، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج، 24، ص، 91؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج، 4، ص، 108؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص، 11؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص، 236.

في حين أسباب قطع الدعوة يرجعها النويري إلى أن المعز أمر ببناء دار ابن رباح، وهي المعروفة في القيروان بدار الإمارة، فشاعت عند الناس أنها بنيت لجعفر بن علي، وأنه يعطي ولاية إفريقية، وأن المغرب كله يعطي لزيري، فعظم ذلك على جعفر بن علي وأراد أن لا يكون لأحد معه في المغرب ولاية، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج، 24، ص، 91، في حين ابن الأثير يذكر « كان بينه وبين زيري محاسبة، فلما كثر تقدم زيري عند المعز لدين الله ساء ذلك جعفر، ففارق بلاده ولحق بزنانة»، ابن الأثير، المصدر السابق، ج، 7، ص، 334؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق، عبد القادر بوباوية، ط، 1، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص، 96؛ أما الهادي روجي إدريس فقد قيل أن جعفر كان طامعا في أن يكون الرئيس الأوحده لبلاد المغرب بأسرها، ينظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج، 1، ص، 67؛ أما ابن أبي دينار فيرجع سبب قطع الدعوة « لما عزم المعز الرحيل إلى الديار المصرية شاع بين الناس أن المعز يريد أن يستخلف يوسف بن زيري على جميع بلاد إفريقية، فعظم ذلك على جعفر بن الأندلسي»، ينظر في ذلك ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص، 72.

4 - النويري، المصدر السابق، ج، 24، ص، 91؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج، 7، ص، 334؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج، 4، ص، 108؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج، 1، ص، 67.

5 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص، 73؛ النويري، المصدر السابق، ج، 24، ص، 91.

6 - حدثت هذه المعركة في شهر رمضان حول أسوار تيهرت، ابن عذاري، المصدر السابق، ج، 2، ص، 343؛ ينظر: محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص، 237.

-الخيزر بن خرز هو أمير مغراوة

7 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص - ص، 131-132.

ولما تمت هزيمة صنهاجة بعث جعفر بن علي أخاه يحيى بن علي، وبعض شيوخ زناتة إلى الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، بقرطبة يؤدون الطاعة باسمه ويؤكدون البيعة، ويلتمسون العون والنصرة،<sup>1</sup> وكان من الطبيعي أن تحتضن زناتة حليفها، مدفوعة بعدة اعتبارات ولعل من أهمها أنه شريك جديد وقوة عسكرية لا يستهان بها مضافة إلى صف المعارضة للحكم الفاطمي، والاهم من ذلك أنها لا تغلق الطريق أمام القوى الأخرى الموالية للفاطميين إذا ما اختارت خيار آخر<sup>2</sup>، وهذا التحالف أثار مخاوف زيري بن مناد مما جعله يتعجل في مواجهتهم في معركة فاصلة، انتهت بمقتله سنة (360هـ/970م)<sup>3</sup>.

وبذلك أدرك الإمام المعز لدين الله انعكاسات ذلك على نفوذه السياسي والعسكري، بما يشكل خطرا ليس على الوجود الفاطمي في المغرب وإنما على أهدافه في المشرق، لذلك سارع إلى احتواء الموقف<sup>4</sup> بتحريض بلكين هذا الأخير الذي، حاول الثأر لأبيه<sup>5</sup>، نجح في القضاء على قوة بني حمدون بالزاب مما أدى إلى هروب جعفر إلى الأندلس<sup>6</sup>.

- 1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص205؛ مفاخر البربر، ص97.
- يذكر عبد العزيز فيلالي بعض أسماء شيوخ زناتة أمثال: عبدون بن الخير بن محمد بن خزر، ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر، مقاتل بن أبي خزرون بن أبي العزيز خزر؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص194.
- 2 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص132.
- 3 - النويري، المصدر السابق، ج24، ص90.
- 4 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص132.
- 5 - « فخرج إلى المعز في أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فأوغل قي ديار زناتة وقتل منهم في مواطن كثيرة خلقا لا يحصيه إلا الله، واستولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاي، وبجاية ويسكرة وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبق لزناتة شيء منها»، ينظر: مفاخر البربر، ص- ص 97-98. واستولى على المغرب الأوسط، وطارد زناتة إلى ما وراء نهر ملوية بالمغرب الأقصى، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص91؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص205؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص237؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص69؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص237؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص197؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص12.
- 6 - تكلمت العديد من المصادر عن هروب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي، والتحاقه بالخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، والأسباب التي دفعته للهروب يقول ابن أبي دينار «ولما علمت زناتة أن يوسف بن زيري يطالبهم بدم أبيه أضمرت الغدر لجعفر وعزموا على إمساكه فلما أحس بذلك فر إلى الأندلس»، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص72؛ أما النويري يذكر «ثم أحس جعفر أن زناتة يريدون الغدر به وأهم ندموا على قتل زيري، فاحتال لنفسه ودخل الأندلس»، النويري، المصدر السابق، ج24، ص91؛ ينظر كذلك ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص334؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص306.

فتقلد بلكين أعمال أبيه في أشير<sup>1</sup> وأضاف له مدينة تيهرت والمسيلة وإقليم الزاب، والأراضي التي سيتم فتحها على يده من بلاد زناتة.<sup>2</sup>

### 3-المسيلة وثورة أبي يزيد:

إذا نظرنا إلى الخلافة الفاطمية منذ قيامها في بلاد المغرب إلى انتقالها إلى مصر، فإننا نجد أنها قد واجهت حركات معارضة متعددة، لأن أول خلفائها جعل الدولة فوق كل اعتبار، وعمل على فرض سلطانه بالقوة العسكرية، وأعطى الأولوية للقوة العسكرية على الناحية السياسية و الدبلوماسية، بالإضافة إلى وجود فسيفساء مذهبية كانت فيها الغلبة للإباضية<sup>3</sup>، وتغذي هذا الصراع في جو القلق المستمر والاضطراب، مما أدى إلى ظهور مثل هذه الحركات المناوئة، والثورات الدموية العنيفة كرد فعل للواقع الديني

1 - أشير: مدينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة (324هـ/935م) يقول البكري «وهي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما... بنى سورها بلجين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث مائة و خرهما يوسف بن حماد بن زيري...»، البكري، المصدر السابق، ص60؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص155.

2 - يقول النويري «فلما اتصل بالمعز لدين الله ما فعله يوسف بزنانة، أعجبه ذلك، وسر بقتلهم، فزاده على ما كان لأبيه، المسيلة وأعمالها التي كانت لجعفر»، النويري، المصدر السابق، ج24، ص92؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص334.

3 - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص81؛ محمد صالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص-ص76-77، يضيف أن هدف المهدي هو فرض سياسة معينة لا تخدم مصلحة الرعية بقدر ما تخدم مصلحة الدولة وحدها، وقد شبه سياسة عبد الله المهدي بالسياسة المكيفيلية "الغاية تبرر الوسيلة".

وقد ذكر ابن عذارى: «أن عبد الله قام بإنشاء "ديوان الكشف" للتحري عن المخالفين لمذهب الدولة من الفقهاء والمفتين والقضاء والمؤذنين وأسند رئاسة هذا الديوان إلى أبو جعفر البغدادي، عمران بن أبي خالد بن أبي سلام، وهم من أعوانه المقربين»، ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص162؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلادي)، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، مج1، ج1، ص491.

والسياسي<sup>1</sup>، وأخطر هذه الثورات، ثورة أبي يزيد مخلد<sup>2</sup>، وبطبيعة الحال هذه الثورة امتداد لتمرد زناتة على الحكم الفاطمي ورغبتها في القضاء على الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب<sup>3</sup>.

والتي تعتبر أبلغ تعبير عن السخط الذي ملأ قلوب أهل المغرب<sup>4</sup>، وقد نجح أبو يزيد في أن يكون له جماعة تعظمه أيام المهدي وأعد أصحابه للثورة ضد الحكم الفاطمي<sup>5</sup> ومع ذلك وفي حدود سنة (330هـ/942م)

1 - لقد استعان المهدي بكل شيء في سبيل السلطة ومن أجل الدولة، ومن ثم فوض لرجاله يفعلون ما يشاءون فارتكبوا أقبح الأعمال وأشنعها، ففي سنة (297 هـ / 909م) أحمد أبو عبد الله الشيعي الثورات التي قامت بالمغرب وقتل وسي ووردت كتبه على المهدي فابتهج بذلك وأمر بقراءتها على المنابر، ثم أحرق الشيعي بعض بالمغرب الأوسط سنة (298 هـ / 910م)، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص162؛ محمد صالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص77؛ معجم مشاهير المغاربة، إشراف، أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص-ص561-562؛ حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص190.

2 - كنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة يفرن الزناتية، كان أبو كيداد من أهل توزر، وكان يشتغل بالتجارة بين بلاد السودان وإفريقية ومن المعروف أن قوافل التجارة كانت تمر بمدينة أورجلان وهي ورقلة حاليا وكان سكانها من الإباضية وأكثرهم من أهل تيهرت الذين رحلوا عنها بعد سقوطها في أيدي الفاطميين واستقرارهم في ورجلان. ولد أبو يزيد مخلد بالسودان من جارية هوارية فأتى بها أبوه إلى توزر فنشأ بها، وتعلم القرآن منذ طفولته وخالف جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم الخارجي، وهو من الإباضية أتباع ابن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم، أما ابن خلدون فيقول «وخالف النكارية من الخوارج وهم الصفرية و مال إلى مذهبهم» ثم رحل إلى تيهرت واشتغل بتعليم الصبيان العلوم الدينية وأخذوا يدعوا إلى الخروج على سلطان الفاطميين، في سنة (316هـ/928م) اتجه بدعوته إلى تغيير المنكر وتكفير الفاطميين والثورة =عليهم واستباحة أموالهم، لقب بصاحب الحمار، لركوبه حمار أشهب أهدي له بمراجعة لما أراد القيام بالثورة له أربعة أولاد، يونس، أيوب، يزيد، فضل، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص216؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص- ص188-189؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص52؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص85؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص30-31؛ أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تعلق، محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص427؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص55؛ محمد الطمار، المغرب في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص-ص30-31؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص- ص197-198؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج1، ص- ص78-79. ينظر كذلك:

Mahfoud kaddache, «L'Algérie des Algériens de la pré histone a 1994», Alger: Edif,2000, p.202.

3 - محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص65.

4 - حسين مؤنس، المرجع السابق، مج1، ج1، ص495.

5 - هذه الجماعة كانت أيام المهدي سنة ستة عشرة وثلاثمائة حسب المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص85؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص55؛ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص66.

نجد هذا الرجل على رأس جمع كبير من البربر معظمهم زناتية من بني يفرن، يعلن الثورة على الدولة الفاطمية بعد موت عبيد الله المهدي، وقد اتخذ لقب شيخ المؤمنين.<sup>1</sup>

لكن الملفت للنظر هو القبول الواسع الذي لقيته دعوته من إقبال كبير في جبال الأوراس والزاب، وإلى جانب اليفرنيين انضمت إليه زناتة وقبائل بني كملان الذين كانوا يقيمون على حواف سهل الحضنة وينتظرون الساعة للهجوم على الفاطميين، وفعلا استطاع صاحب الحمار إثارة القبائل البربرية الواحدة تلو الأخرى<sup>2</sup>، التي كانت تعيش حياة تقشف وتحريضها على نهب مدن إفريقية الثرية، لم يكتف بهذا بل استطاع بدعوته استقطاب أهل السنة، عندما دعا إلى عبد الرحمن الناصر في الأندلس، وهذا يدل على المعارضة القوية للوجود الفاطمي في بلاد المغرب<sup>3</sup>، فاجتذب بذلك الأنصار والأتباع وكثر مناصريه، فجهر بدعوته وخرج على الشيعة ونزل من الأوراس متجها إلى إفريقية<sup>4</sup> ولما رأى الخليفة أبو القاسم استفحال أمر أبي يزيد مخلد أخذ يحضر في نفسه للوقوف أمامه، ومن الإجراءات التي قام بها توسيع ولاية علي بن حمدون، فعمل على حماية المنطقة، حيث أسرع إلى تخريب ما تبقى من مدينة أدنه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - حسن مؤنس، المرجع السابق، مج 1، ج 1، ص 497.

كانت وفاة المهدي سنة (322هـ / 934 م) وقد أخفى ولده أبو القاسم موته يقالسنة لتدبير اموره، وكان يخاف أن يختلف الناس إذا علموا بموته، وكان عمر المهدي لما توفي ثلاث وستين سنة، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 208؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 99؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 26؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1، ص 192، ويقول «منذ وصل إلى رقادة وبويع بها، إلى يوم وفاته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً». القلقشندي: صبحى الأعشى في صناعة الانشا، تعليق، محمد حسين شمس الدين نبيل خالد الخطيب، درا الكتب العلمية، بيروت، ج 5، ص 19.

<sup>2</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص 30، يقول: «وسار إلى جبل الأوراس وفيه قوم من هواره يقال لهم "بني كملان" من أهل مذهبه، فقام فيهم و قوى بهم واشتدت شوكته، واستفحل أمره..»؛ ويضيف ابن خلدون «ويختلف إلى جبل الأوراس وإلى بني =برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة، وإلى بني زنداك من مغراوة إلى أن أجابوه..»، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 19؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص-ص 89-90؛ paul Maiessea, op.cit, p12؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنوزيري الصنهاجي إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج 3، ص 173.

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 52.

<sup>4</sup> - المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2، ص 33، ويذكر «خروج أبي يزيد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة»، ينظر كذلك: ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 216؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 189.

<sup>5</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص 30؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 90.

وكانت هذه الفترة معقدة نظرا للانتشار الواسع لثورة أبي يزيد في أماكن كثيرة من البلاد وانتقالها من مكان إلى آخر<sup>1</sup>، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الثورة لم يتفقوا في أحداثها في معظم الأحيان، فنجد منهم من أسهب في التفاصيل كابن حماد<sup>2</sup> الذي يذكر أشياء دقيقة مثله مثل إدريس عماد الدين القرشي، أما ابن عذاري<sup>3</sup> على عكس ذلك لم يذكر سوى الخطوط العريضة لهذه الثورة، غير أن الشيء الملاحظ أن الثورة كانت قائمة بالمهدية<sup>4</sup> تراجعت تحت الضغط الفاطمي ناحية منطقة

بخصوص تخريب مدينة أدنة يقول ماسيرا (Maissera) أن الخليفة أبو القاسم أمر علي بن حمدون بشن حرب على التائر أبي يزيد ومحاصرته اقتصاديا، مما أدى بعلي بن حمدون بتجهيز جيش كبير لمطاردة أبي يزيد في كل ضواحي الحضنة ولاحقه إلى مدينة أدنة التي تحولت إلى خراب بفضل الحرب بين الطرفين؛ في حين ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 214. يذكر في « سنة (324هـ/935م) خرب علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي مدينة المسيلة وكان بينها وبين طنبه مرحلتان ».

<sup>1</sup> - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 216. يذكر « أنه في سنة (332هـ/943م) اشتد أمر أبي يزيد بإفريقية حتى فر أمامه أبو القاسم الشيعي إلى المهديّة من رقادة »؛ أما ابن حماد، المصدر السابق، ص 31. يقول « واستولى أبو يزيد على إفريقية كلها إلا المهديّة ».

شملت الثورة أماكن عديدة فقد زحف أبي يزيد إلى بلاد القائم وحاصرها ( باغية، قسطيلية، مرجنة، سبيبة، الاريس)، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 189؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 269-278؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 86؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص-ص 19-20؛ المقرئ، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، ص-ص 80-81؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، مج 1، ج 1، ص 497.

<sup>2</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص 30-32؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 267-283.

<sup>3</sup> - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص-ص 216-218.

<sup>4</sup> - " المهديّة "مدينة استحدثها عبيد الله المهدي بالمغرب وهي في نحر البحر، أصبحت عاصمة للخلافة الفاطمية سنة ثمان وثلاثمائة، بينها وبين القيروان مرحلتين، كثيرة البضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد و الأقطار . حسب ابن حوقل، المصدر السابق، ص 73؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص 108.

وعن حصار المهديّة من قبل أبي يزيد ينظر: التجاني، رحلة التجاني، تقديم، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ص-ص 325-326؛ المقرئ، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، ص-ص 78-80. ويذكر أن حصار المهديّة كان سنة 333هـ؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 57. يقول «وحاصر المهديّة أشد حصار ومنع منها الداخل والخارج»؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 192؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 305-310؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص-ص 53-54؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج 2، ص-ص 627-628؛ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 69؛ إسماعيل العربي، " ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد في رواية أبي زكريا"، مجلة الثقافة، ع 37، الجزائر،

1977، ص 30؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 49؛ Mahfoud kaddache, op.cit, p202

الحضنة التي كانت مهياًة كي تقوم بالدور المنوط بها كقاعدة أساسية تنطلق منها القوات العسكرية لإخماد الثورات ومركز إمداد ومخزن مؤن.<sup>1</sup>

إلا أن تمرد أبي يزيد أريك السلطة الفاطمية بالمنطقة فيما بين المسيلة والمهدية وهدد بزوال الدولة الفاطمية<sup>2</sup> يقول حسين مؤنس تحول المغرب الأوسط وبلاد الزاب وإفريقية، إلى ميدان صراع رهيب بين أبي يزيد والفاطميين، وأصبح القتال مذابح لا مواقع<sup>3</sup>، لكن الخليفة الفاطمي تمكن من إلحاق الهزيمة بأبي يزيد، واضطر هذا الخير إلى الفرار نحو الغرب، الأمر الذي جعل الخليفة المنصور يتابع خطاه للتخلص منه.<sup>4</sup>

### 1- دور المدينة في إخمادها:

#### - مرحلة طينة:

1 - يذكر ابن الأثير «وكان القائم قد أرسل إلى مقدم من أصحابه \_ يسمي علي بن حمدون \_ بأمره بجمع العساكر ومن قدر عليه من المسيلة. فجمع منها ومن سطيف وغيرها فاجتمع له خلق كثير...»، ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص195؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص54؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص31؛ أما المقرئبي يذكر «وكان القائم قد بعث بجمع العساكر من المسيلة وغيرها» ينظر: المقرئبي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص81؛ الحواضر والمراكز الحضارية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص90؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص207؛ محمد لجلط، المرجع السابق، ص26.

وقد كانت المسيلة كذلك مركزاً لتخزين المؤن منذ تأسيسها، يقول ابن حماد «وأمر أن تدخر فيها الأقوات وأنواع المأكولات، وكل ما تنظم إليه الضرورة»، ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص24-25.

2 - عن ذلك ينظر: paul Maissere, op.cit, p12.

3 - حسن مؤنس، المرجع السابق، مج1، ج1، ص499.

4 - بعد وفاة أبو القاسم، تولى بعده ابنه المنصور وكان ذلك سنة (334 هـ/945م)، ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص-

ص32-33؛ المقرئبي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص82؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7،

ص197؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص-ص57-58؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص55. يقول «ثم توفي القائم أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب إفريقية، بعد أن عهد إلى ولد إسماعيل بعده وتلقب بالمنصور، وكنتم موت أبيه حذراً أن يطلع عليه أبو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة».

وعن مطاردة المنصور لأبي يزيد ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص35؛ المقرئبي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص-ص82-83؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص389؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص-ص55-56؛

ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص35-36؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص59؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص-ص197-199؛ التجاني، المصدر السابق، ص327؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص53 محمد بن عميرة، المرجع

السابق، ص210؛ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص-ص135-136؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، مج1، ج1، ص-

ص498-499؛ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص73؛ مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسلامية، دار الأندلس، ص176.

يتفق المؤلفون<sup>1</sup> على خط سير الخليفة المنصور وهو يطارد أبي يزيد ، لأنه قد مر بباغاية<sup>2</sup>«ووصل المنصور إلى مدينة طبنة، فتلقاها أهلها جذلين مسرور بن حامدين الله على ما صرف عنهم من شر المارقين مستبشرين فأقام بمدينة طبنة ثلاث أيام»، غير أنهم اختلفوا في تفاصيل الأحداث وكانت هناك عدة آراء:

1- الرأي الأول: وصاحبه ابن خلدون<sup>3</sup> الذي يرى أن عامل المسيلة جعفر بن حمدون استقبل المنصور بالهدايا والأموال وأبلغه أن أبا يزيد نزل ببسكرة وأنه كاتب محمد بن خرز يسأله النصر، فلم يجد عنده ما يرضيه.

2- الرأي الثاني: وصاحبه ابن حماد<sup>4</sup> الذي أشار أنه ورد على المنصور كتاب جعفر صاحب المسيلة والزاب بخبره بمحبوس ثار بجبل أوراس.

3- الرأي الثالث: وصاحبه ابن الأثير<sup>5</sup> فيرى أنه لما وصل المنصور إلى طبنة وصلت رسل محمد بن خرز الزناتي وهو من أعيان أصحاب أبي يزيد يطلب الأمان، فأمنه المنصور وأمره أن يرصد أبا يزيد.

ومهما اختلفت التفاصيل فنحن مع الرأي الأول، وأنه ليس من المعقول في هذا الظرف العصيب أن يأتي الخليفة الفاطمي إلى المنطقة التي تحت نفوذ جعفر بن حمدون الحديث العهد ويبقى بمقر ولايته دون أن يستقبل المنصور ويقدم له الهدايا، واستمر المنصور في مطاردة أبي يزيد الذي احتمى بجبل سالات<sup>6</sup>، بمن

<sup>1</sup> - المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1، ص84؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص389-393؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص35-36.

<sup>2</sup> - باغاية « مدينة جليلة أولية ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مقربة منها جبل الأوراس »، حسب وصف البكري، المصدر السابق، ص50؛ أما ياقوت الحموي يذكر أنها «مدينة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة»، ينظر: ياقوت

الحموي، المصدر السابق، مج1، ص325

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22.

<sup>4</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص36-37.

<sup>5</sup> - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199.

<sup>6</sup> - يقع جبل سالات في بوسعادة، يطلق عليه المقرئ اسم جبل البربر وفي بعض الأحيان جبل برزال، ويقصد هنا القبائل البربرية التي تسكن الجبل وهم بني برزال، ينظر: المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1، ص84؛ نفس التسمية للجبل نجدها عند ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199.

بقي من أصحابه، واجتمع إليه بنو برزال وغيرهم من البربر الإباضية<sup>1</sup>، وقد أراد المنصور أن يتقضى أثره، غير أن أركان حربه نصحوه بالتوقف عن مطاردته حيث تفصلهم عنه مساحات واسعة من القفار والصحاري، فعاد إلى طنبنة<sup>2</sup>، ويبدو أن أبا يزيد كان على علم بتحركات المنصور، فغادر جبل سالات متوجهاً إلى الحضنة، وتمركز في أعالي الجبال الواقعة غربي المسيلة<sup>3</sup>.

وكان اللقاء الحاسم بين المنصور وأبي يزيد في نواحي مقررة سنة (335هـ/947م)، فانهمز أبي يزيد وفر إلى جبال سالات<sup>4</sup>، و تفرق رجاله عنه، ولم يبق أمامه إلى المغارة المؤدية إلى السودان،<sup>5</sup> أما المنصور فقد اشتد الأمر على عسكره، فيقول ابن الأثير<sup>6</sup> «أن هذه الأرض لم يسلكها جيش قط، واشتد الأمر على العسكر فبلغ عليق كل دابة دينارات ونصفا، وبلغت قرية الماء ديناراً...» ويضيف المقرئزي «أن ما وراء ذلك رمال وقفار بلاد السودان التي ليس فيها عمارة، وقيل للمنصور أن أبا يزيد اختار الموت جوعاً وعطشاً على القتال بالسيف»<sup>7</sup>.

- 1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56 يذكر «ووصل أبو يزيد إلى بني برزال وكانوا نكارية». أما الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 392-393. يذكر « وفيه قبائل من البربر على مذهبه خوارج إباضية ». محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص186؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص187؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص211.
- 2 - الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 392-393. و يذكر أن المنصور أثناء عودته إلى طنبنة « قتل في طريقه قبيلة من البربر يقال لهم سدراتة، كانوا معاضدين للخارجي مخلد بن كيداد، ووصل إلى مدينة طنبنة فأقام بها يومين، وسار منها... قاصداً للدجال حيث كان من الأوعار والجبال »؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص84.
- 3 - عن تحركات أبي يزيد ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص 40-41؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 392-393؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84؛ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص138؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص630؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص499؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص211.
- 4 - يذكر ابن خلدون «وارتحل المنصور في أثره إلى مغرة (يقصد بها مقررة) وبيته أبو يزيد هناك وانهمز وأنحاز إلى جبل سالات» ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ج5، ص208، يقول « أن مكان المعركة هو موضع يعرف بعين السودان »؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص54؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص211.
- 5 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص630؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص499؛ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص186.
- 6 - الداعي إدريس، المصدر السابق، ص404؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199.
- 7 - المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84.

## -مرحلة المسيلة:

تعتبر هذه المرحلة بمثابة مرحلة الإعداد الأخيرة للقضاء على ثورة أبي يزيد ، حيث انضم قسم كبير من مغاوة الزناتيين إلى صف المنصور، كما دخل في طاعته الأمير المغراوي محمد بن خزر، وزيري بن مناد الصنهاجي، وسانده جعفر بن علي بن حمدون أمير الزاب،<sup>1</sup> يقول الداعي إدريس<sup>2</sup> «وقصد أقرب المواضع التي فيها العمارة وهي بلاد صنهاجة-ووقف الأمام ستة أيام بموضع يقال له حائط حمزة، وفيه وفاه ابن مناد الصنهاجي داخلا في طاعته»، ثم سار المنصور في اتجاه الشمال، ونزل موضعا من بلاد صنهاجة يقال له ولغلق على واد فيه ماء حار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عن انضمام محمد بن خزر إلى صفوف المنصور، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص390. حيث يصف ما هو عليه من الولاء والطاعة ويسأله الأمان، بالإضافة إلى انضمام قبائل أخرى يذكرها ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22 «هي بني زنداك ومزاةة ، ومكناسة، ومكلاته»؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص54؛ أما عن الدور الذي لعبه جعفر بن علي أمير الزاب، ينظر: paul Maissere, op.cit, p14.

<sup>2</sup> - الداعي إدريس، المصدر السابق، ص404.

توجد العديد من الروايات حول انضمام زيري مناد الصنهاجي إلى الخليفة الفاطمي المنصور، لكنها اختلفت في مكان اللقاء، مثلا المقريري، اتعاط الحنفا، ج1، ص84 يذكر « فلما سمع المنصور ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة، فاتصل به الأمير زيري بن مناد الصنهاجي، بعساكر صنهاجة، فأكرمه المنصور»؛ بينما ابن الأثير يسميه الأمير زيري بن مناد الصنهاجي الحميري، ويقول «أنه اتصل به في قرية دمرة»، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص199؛ أما ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56. « غمرت من بلاد صنهاجة » ؛ ويقول ابن حماد« أنه اتصل به في حائط حمزة» (البويرة حاليا) ، ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص40، كذلك نجد التسمية نفسها عند الداعي إدريس، المصدر السابق، ص405.

وحسب الهادي روجي إدريس فإنهما تقابلا بدمرة أو غمرت أو بالأحرى حائط حمزة، ويرى أن الاتصال بينهما قد يكون تم فيما بعد، ولكننا لا نستطيع التحقق من ذلك، لأننا لا نعرف تفاصيل تلك الحملات العسكرية معرفة جيدة، ولا شك أن زيري كان كثير التنقل. ينظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص-ص53-54.

<sup>3</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص40؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص405. « فنزل موضعا في بلاد صنهاجة يقال له ولغلق »، بينما في المصادر الأخرى مثل ابن الأثير، ابن خلدون ، المقريري لا تذكره هذا الموضع "وادي لغلق"، ويذكر فرحات الدشراوي، أن هذا المكان هو موقع قرية سيدي عيسى الحالية، ينظر: فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة: حماد الساحلي ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1994، ص296.

تذكر بعض المراجع نقلا عن المصادر هذا المكان مثل: محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص212؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص54. وعلى الأرجح أن هذا المكان يقع في منطقة البويرة حاليا.

فاعتل جسده لما قاساه في تلك الطريق<sup>1</sup>، وفي تلك الأثناء حدث نزاع بين أبي يزيد ومحمد بن خزر الذي دخل في طاعة المنصور، ووجه رسالة يعلمه بما بالمكان الذي التجأ إليه أبي يزيد.<sup>2</sup>

والواضح أن انضمام مغراوة إلى الخليفة الفاطمي المنصور، والتفاف صنهاجة حوله، أثر في سير الأحداث على حساب أبي يزيد الذي أصبح مضطرا إلى الاختباء في جبل سالات أو التوغل في الصحراء والالتجاء إلى سدراته وغيرها من القبائل الإباضية المقيمة في ورجلان.<sup>3</sup>

إلا أن أبا يزيد استمر في المواجهة، فلما علم بمرض المنصور في بلاد صنهاجة، استعاد عزيمته، وأظهر أن المنصور قد صار بتيهرت، وأنه يريد سجلماسة وأن إفريقية قد خلت و الفرصة فيها قد أمكنت حسب الداعي إدريس<sup>4</sup>، فانظم إليه أتباعه من بني كملان وبني برزال وهوارة الغدير يقول فرحات الدشراوي، وخرج أبي يزيد إلى جبال أكة<sup>5</sup> بالقرب من المسيلة.

1 - لم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل عن مرض المنصور ما عدا الداعي إدريس مرض نتيجة « ما قاساه في تلك الطريق من الثلج وأقام ثلاث عشر يوما مغمى عليه في أشد الألم حتى أتاه طبيب ففصد له فوجد في جسده الخفة وأحس العافية»، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص405-406؛ في حين ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء اتعاظ الحنفا، ج1، ص84؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص40، ذكروا مرض المنصور دون ذكر التفاصيل وعدم معرفة المنصور بأخبار أبي يزيد، ينظر: فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص296، يذكر أن «المنصور أصيب بمرض، لما عاناه من رداءة الأحوال الجوية وأتعاب تلك الحملة الشاقة»؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص54؛ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص139؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص212.

2 - يذكر الداعي إدريس سبب النزاع بين الطرفين أنه « لما عرف الدجال (أبي يزيد) أن محمد بن خزر قد صار في طاعة الإمام، ولم يجد فيه مطمعا، ولا أصابه له متبعا، أغم لذلك غما شديدا، ومال إلى سوق لابن خزر يعرف ب"تامرست" فأنتهبه»، و يضيف أنه قتل عدد كبير من أصحاب أبي يزيد من بني كملان، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص406. وعن كلمة "تامرست" ينظر: تعليق محمد اليعلاوي في الهامش (109) من نفس المصدر، فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص296.

3 - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص139؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص296.

4 - الداعي إدريس، المصدر السابق، ص406، يذكر « ووعدهم أن يتدئ بنهب المسيلة، فأطعمهم ما ألفوه من النهب والسي، فنفذت فيهم تلك الخيلة، وسار وقد انضمت إليه جموع كثيرة يريد المسيلة، وقد طمع فيها لقله ما بما من الرجال»

5 - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص-ص297-298، يضيف بأن "أكة" من جبال الحضنة القريبة من المسيلة.

ذكرت هذه الجبال كذلك عند الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص406.

واستعد لحصارها،<sup>1</sup> فيذكر ابن خلدون « فلما عوفي المنصور رحل أول رجب خمس وثلاثين وقصده فأفرج عن المسيلة »<sup>2</sup>، أما الداعي إدريس يقول « أن أبي يزيد أراد أن يرتحل إلى بلد السودان، فلم ير بنو كملان وهوارة الغدير ذلك الرأي وأشاروا عليه بدخول جبال عقار<sup>3</sup> وذكروا أنه لا يجد أحصن منها، فدخل الدجال تلك الجبال، وانتهى إليها فيمن معه من الرجال، وانحصر بها »<sup>4</sup>، ولم يكن يدرك أنه باتجاهه نحو الشمال الشرقي سيسعى إلى حتفه<sup>5</sup>، لتصبح بذلك المسيلة كقاعدة للعمليات الحربية التي يشنها المنصور على أبي يزيد.<sup>6</sup>

1 - تذكر المصادر بأن أبي يزيد استغل مرض المنصور وقام بمحاصرة المسيلة، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200. بقوله « فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة ثاني رجب، وكان أبو يزيد قد سبقه إليها لما بلغه مرض المنصور » أما ابن خلدون « وأقام المنصور هناك لمرض أصابه، فرجع أبو يزيد إلى المسيلة وحاصرها »، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص40؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص407؛ ينظر كذلك: محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص212؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص1، ص499؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص630.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56.

3 - جبال عقار حاليا هي جبال المعاضيد، تعدد تسميتها في المصادر التاريخية مثلا: الداعي إدريس يذكرها باسم جبال عقار، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص407، ويتفق معه في تسميتها، ابن حماد، المصدر السابق، ص40، أما ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ص428؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص84، تذكر باسم جبال كتامة، وتقول بعض المصادر التاريخية أنه نزل قلعة كيانة، ينظر: الجوزري، المصدر السابق، ص48؛ التجاني، المصدر السابق، ص327.

4 - الداعي المصدر السابق، ص407؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84، يذكر « فلما علم المنصور هرب منه، يريد بلاد السودان، فخدعه بنو كملان هم وهوارة ومنعوه من ذلك »، ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص297؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص1، ص499؛ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص186؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص630.

5 - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص297.

6 - عن رحيل المنصور إلى المسيلة، ينظر: المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص84؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200 « فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة في ثاني رجب... »؛ الداعي إدريس يذكر إقامة المنصور بالمسيلة « وأقام الإمام بالمسيلة بقية رجب وشعبان (335هـ فيفري - مارس 947م) »، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص407.

أما ابن حماد، المصدر السابق، ص40، يذكر « دخل إسماعيل المسيلة فأقام بها ووجه ميسور الفتى إلى سطيف لاستنفار كتامة، ووجه خفيفا الفتى إلى مسيلة »، هنا تلعب دورا عسكريا في تجميع القوات، الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص55.

## - مرحلة جبل كيانة:

تعد المرحلة الفاصلة لثورة أبي يزيد الذي تمت محاصرته من جميع الجهات<sup>1</sup>، وذلك لمنع الإمدادات القادمة إليه من بعض القبائل يقول ابن حماد<sup>2</sup> «وصار أبو يزيد محصوراً في جبل كيانة غير أن الطعام كان عنده رخيصاً، كان الرفاق تأتي به من سدراته - فكتب إسماعيل إلى زناتة يأمرهم بالإغارة على سدراته واستئصال من فيها»، ولم يبق أمام أبي يزيد إلا الخروج إلى سهول الحضنة لتحصيل المؤن والسلاح، فنزل بمدينة أدنة.<sup>3</sup>

وبذلك نجح المنصور بإخراج أبي يزيد من مكانه الحصين، وجرت المعركة الأولى بين الطرفين في مدينة أدنة على بعد اثني عشر ميلاً عن مدينة المسيلة، ومني أبو يزيد بهزيمة نكراء، وأوشك أن يقع في قبضة المنصور، وفر معتصماً بالجبال.<sup>4</sup>

فطارده زيري بن مناد الصنهاجي، الذي كان يقاتل في صفوف الفاطميين، لكنه فشل في القبض عليه،<sup>1</sup> أما المعركة الثانية جرت حول قلعة كيانة<sup>2</sup>، وقد تحصن أبو يزيد بها، ونجحت القوات الفاطمية من دخولها

1 - محمد لجلط، المرجع السابق، ص 29.

2 - ابن حماد، المصدر السابق، ص 41. يضيف: «ف فعلوا ذلك وقتلوه، وسبوا حريمهم، ونهبوا أموالهم، فتوقف الناس عن السير إلى أبي يزيد بالأطعمة».

3 - يذكر الداعي إدريس «فيتكمنون بها وينتهبون من العساكر المنصورة رعائماً ومن يخرج لحطبها»، الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 407؛ في حين ابن الأثير يقول «صاروا ينزلون يتخطفون الناس»، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 200؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 297؛ محمد لجلط، المرجع السابق، ص 29.

4 - سميت هذه المعركة عند الجوزري، المصدر السابق، ص 50؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 41، «بمعركة الرؤوس»، لأنها قطعت فيها رؤوس كثيرة، خاصة من بني كملان، يضيف ابن حماد «وقتل فيها من أصحاب أبي يزيد نحو عشرة آلاف بين راجل وراكب أكثرهم من بني كملان ومزاتة»، أما ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 200 يذكر فقط عدد القتلى «فقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف».

تفصيل دقيق عن هذه المعركة. ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 408-409؛ أما ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 200؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 22-23؛ المقرئ، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، ص 84-85؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ج 1، ص 428، لم يذكر اسم المكان اكتفوا فقط بذكر المعركة وانحزام أبي يزيد، ينظر: سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 139؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 297-298؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 630؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 213.

وأرغمته على التحصن في قصر منيع من القصور الأثرية القديمة الموجودة في المنطقة<sup>3</sup>، وقد تحلت عنه قبائل هوارة يذكر ابن خلدون «واستأمن الذين معه من هوارة فأمنهم المنصور»<sup>4</sup>، وأحاطت القوات الفاطمية بالقصر، «فأمر المنصور بإشعال النار في شعاري الجبل وبين يديه لئلا يهرب أبي يزيد فصار الليل كالنهار» حسب ابن الأثير<sup>5</sup>.

واستمات أبي يزيد في المقاومة وأصيب بجروح خطيرة غير أنه تمكن من الفرار وقتل عدد كبير من أصحابه وفي صباح اليوم التالي عشر عليه في إحدى الوهاد، فجيء به إلى المنصور الذي أمر بمعالجة جروحه<sup>6</sup>، وأن المنصور كان ينوي الإبقاء على حياته والاحتفاظ به كرمز لانتصاره<sup>7</sup>، إلا أن أبي يزيد توفي متأثراً بجروحه وكان ذلك سنة (336هـ / 947م)، فأمر المنصور بإدخاله في قفص عمل له وجعل معه قردين

1 - عن ملاحقة زيري بن مناد لأبي يزيد يقول المقرئ « فانهزم أبو يزيد وأسلم أصحابه وأولاده، وأدركه فارسان فعقر فرسه فسقط عنه، فأركبه بعض أصحابه، وأدركه الأمير زيري فطعنه وألقاه، وكثر عليه القتال حتى خلصه أصحابه »، المقرئ، اتعاض الحنفا، ج1، ص-84-85؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص409.

ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص54؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص298.

2 - اختلفت المصادر التاريخية في تسميتها، فهي قلعة كيانة أو تاقربوست المطلة على قلعة حماد، ابن حماد: المصدر السابق، ص42، أو موضع من جبل عقار تحت قلعة شاكر وهي متصلة بقلعة كتانة حسب الداعي إدريس، المصدر السابق، ص411، أو قلعة كتامة عند ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ص468؛ المقرئ، اتعاض الحنفا، ج1، ص85، ويقع حسب ابن عذاري في الجبل المعروف بحصن أبي يزيد: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص220، ويلاحظ أن التسمية الأولى أقرب إلى الصواب من غيرها.

3 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص-56-57 «وقتل أصحاب أبي يزيد في كل ناحية وجمع أهله وأولاده في القصر»، ينظر كذلك: فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص302؛ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص131.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص56؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ المقرئ، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص85؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص213.

5 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص44؛ المقرئ، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص85؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص57؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص186؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص302.

6 - ابن حماد، المصدر السابق، ص44؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص201؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ج1، ص428؛ المقرئ، اتعاض الحنفا، ج1، ص85؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص302؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص188؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص214.

7 - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص139.

يلعبان عليه، وأمر بسلخ جلده، وحشاه تبنا وكتب إلى سائر البلاد بالبشارة،<sup>1</sup> لم يضع القضاء على أبي يزيد حداً نهائياً لثورته<sup>2</sup> فقد حاول ابنه فضل بن أبي يزيد استئناف الحرب ضد الفاطميين وجمع من نجا من أصحاب أبيه<sup>3</sup> بالتنسيق مع معبد بن خزر، وقام بغارة على جيش المنصور، لكن المنصور هزمه وراح يطارده حتى المسيلة حيث اختفت عليه أخباره.<sup>4</sup>

#### 4- تطور المدينة في العصر الفاطمي:

##### 1- الجانب العسكري:

لقد تحكّم الهدف الاستراتيجي بالدرجة الأولى، ثم العامل الزمني في السياسة التي سلكتها الدولة الفاطمية في حكمها لبلاد المغرب، ونتج عن هذه السياسة التي طبقتها مشاكل كادت تعصف بالدولة، وأثرت على الأوضاع بها من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال تلون سياسة الدولة بألوان شتى تتماشى مع الأوضاع وسعي لتحقيق أهداف إستراتيجية<sup>5</sup>، فالسياسة الفاطمية في

1 - ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص 44-45؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص-ص 451-452؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 201؛ المقرئ، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء اتعاط الحنفا، ج 1، ص 85؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ج 1، ص 428؛ لقد ذكر ابن خلدون أن أبي يزيد مات آخر سنة (335هـ/946م)، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 23. وينفرد ابن عذاري بقوله « أنه ألقى القبض على أبي يزيد بالجبل المعروف بحصن أبي يزيد من بلاد كتامة، وهو مثنخ بالجراح وجعل في قفص من حديد وجيء به إلى المنصور بالمهدية فقتله وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برمحه »، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 220.

2 - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 140.

3 - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 214.

4 - الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 462؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 201؛ ابن خلدون، المصدر السابق،

ج 4، ص 57؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 55؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 214.

تذكر المصادر التاريخية الدور الذي قام به زيري بن مناد في مطاردة الفضل بن أبي يزيد ومعبد بن خزر، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 23، يقول « وكمن لهم زيري بن مناد أمير صنهاجة فأوقع بهم، ولم يزل المنصور في أتباعه إلى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد»، ينظر كذلك: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 462.

أما ابن حماد يذكر « سنة 336هـ طيف بالقيروان برأس الفضل بن أبي يزيد، بعث به باطيط بن يعلي الزناتي مع ولده، وكان قتله إياه غدرا بجوار باغاية »، ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص 47؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 201، حدد سنة (336هـ/947م) تاريخ قتل الفضل بن أبي يزيد.

5 - بوبة مجاني، النظم الإدارية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي (296-362هـ/909-

973م)، (الجزائر-ليبيا-تونس-المغرب)، ط 1، دار بهاء الدين، الجزائر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009-2010، ص 265.

المغرب قامت أساسا على أمل كسب أهل إفريقية والمغرب الأوسط،<sup>1</sup> فلما أدركت استحالة ذلك نظرا لكثرة الثورات والحركات المعارضة للسلطة التي عملت على خنقها في مرحلة النشأة<sup>2</sup>. دفع الدولة الفاطمية إلى إقامة منشآت عسكرية تمثلت في جهاز دفاعي قوي في تخوم تلك المساحات الشاسعة التابعة لبلاد الزاب والخاضعة لسلطة الزناتيين.<sup>3</sup>

لقد أشرت سابقا إلى أن أولى النتائج التي تمخضت عن الحملة التي اندفع فيها ولي العهد إلى أقاصي المغرب، وإدراكه خطورة توغله بعيدا في وسط معادي له ومناقض معه في الفكر والموقف وليس وراءه أو قريبا منه، ما يحمي ظهره أو يمدده بأسباب القوة إذا ما اجتمعت عليه القوى المناوئة، فضلا عن قناعته بأن الولاء والطاعة اللذان أنتزع بحد السيف لن يكتب لهم الدوام، طالما أنه سيعود بجيشه من حيث انطلق<sup>4</sup>، وإزاء هذا الحال من عدم الاستقرار، أن يفكر الخلفاء الفاطميون في تأسيس، القلاع والحصون، استعدادا للطوارئ<sup>5</sup>، فكان لا بد من وجود قاعدة متقدمة في هذا الوسط المخالف والمتعدد الولاء، يعينه على التواجد الدائم للقوة الفاطمية ولهذا الغرض أنشئت المسيلة<sup>6</sup> فكانت كما ذكر ابن حماد<sup>7</sup> «ميرتهم وارتفاقهم بها، ولم تكن في تلك الجهات إذ ذاك مدينة غيرها».

وبطبيعة الحال عند النظر في الظروف التي أدت إلى تأسيس مدينة المسيلة ندرك أنها بنيت لأغراض عسكرية إستراتيجية بالدرجة الأولى، وأن الفاطميين جعلوها قاعدة عسكرية للوقوف أمام الخطر الأموي

1 - حسين مؤنس، المرجع السابق، مج 1، ج 1، ص 500.

2 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 91.

ويذكر سهيل طقوش «منذ تولي عبيد الله المهدي الحكم في بلاد المغرب رأى نفسه مضطرا للتصدي للثورات التي أثارها القبائل البربرية الضاربة في المغرب وبخاصة زناتة، وبدووا حسب طقوش أن هذه الثورات بدافع العصبية القبلية والروح الإقليمية، والتنافس بين زناتة وكتامة»، ينظر: سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 88.

3 - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص - ص 515-516.

4 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص 125.

5 - محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

عن تحصين المسيلة يذكر البكري، المصدر السابق، ص 59 «عليها سوران بينهما جدول ماء».

6 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص 125.

7 - ابن حماد، المصدر السابق، ص 25، ويضيف ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51 «فكانت مددا للمنصور في حصار صاحب الحمار».

الزناتي الآتي من المغرب الأوسط والأقصى، ونقطة مراقبة للطرق الصحراوية الممتدة غربي القيروان.<sup>1</sup> وفي الوقت ذاته يوفر لقوته الوقت ويجنبها عناء الرحلة الطويلة من قواعدها بالمهدية، إذا ما تطلب الظرف، ولعل اختيار موضع المدينة كاف لتفسير ما ذهبنا إليه إذ توسطت أراضي قبائل عجيسة وبنو برزال وبنو كملان من هوارة، لذا حرص أبو القاسم على الإسراع بيناتها وسط بطونهم.<sup>2</sup>

لذلك عمل علي بن حمدون على جعل هذه المدينة تقوم بالدور المنوط بها، فأكثر فيها المخازن وملاؤها بالمواد، حيث خزنت فيها الحبوب والزيت وأنواع مختلفة من الأغذية المجففة<sup>3</sup> يقول ابن حماد<sup>4</sup> «وأمر أن تدخر فيها الأقوات وأنواع المأكولات» ويضيف «فلم تزل تلك الأطعمة مصنوعة مختزنة إلى فتنة أبي يزيد فكانت عوناً له ولإنجاده وإمداده عند وصوله إلى جبل كيانة وحصره أبو يزيد فيها» ووضعت بداخلها الكثير من الأسلحة والأدوات التي تعتمد عليها الجيوش الفاطمية في حروبها<sup>5</sup>، لتعزيز جيوش التدخل العسكري عند مرورهم من الثغور، بالإضافة إلى توجيه الإمدادات إلى النواحي المهتدة أو المدن المحاصرة، كما هو الحال عند حصار المهديّة من قبل أبي يزيد.<sup>6</sup>

وبفضلها استطاع المنصور الفاطمي أن يتغلب على أزمة التموين أثناء ملاحقته لأبي يزيد سنة (336 هـ / 948 م)، حيث كان الظرف عسيب بسبب الحرب بالإضافة إلى بعد عاصمة الخلافة حسب محمد صالح مرمول،<sup>7</sup> لكن الدور الذي لعبته المسيلة في الجانب العسكري سيتعرض لهزات عديدة نتيجة فشلها في فرض الحد الأدنى منه من جهة، ومن جهة أخرى، فقد توالى الثورات بالمغرب الأوسط على

1 - محمد صالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص 29؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 517؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط: ، ص 91؛ محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

2 - نحلة شهاب، المرجع السابق، ص 125.

3 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، ص 24.

4 - ابن حماد، المصدر السابق، ص - ص 24-25؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36؛ المقرئ، اتعاط الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج 1، ص 72.

5 - ، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص - ص 87-88.

6 - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 524.

لقد ذكرنا سابقاً دور المسيلة في فك الحصار على المهديّة أثناء محاصرتها من قبل أبي يزيد مخلص.

7 - محمد صالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص 29.

الفاطميين، كما أن سعي الأمويين بالأندلس إلى التدخل ببلاد المغرب من خلال المتعاطفين معهم أو حتى أعوانهم بالمنطقة قد أربك الإستراتيجية الأمنية التي خلقتها الدولة الفاطمية.<sup>1</sup>

## 2- الجانب الاقتصادي:

لقد أدرك أبو القاسم عبيد الله جيدا أهمية موقع المسيلة الاقتصادي فهي تعتبر من أهم الموارد التي ستساهم وبقدر كبير في توفير احتياطات المنطقة،<sup>2</sup> بعد مرحلة البناء والتعمير عمل علي بن حمدون على خلق قاعدة اقتصادية مستقرة تعتمد عليها المدينة في نموها، فبعدها كانت تعتمد على خزينة الدولة أي على الخراج والضرائب والغنائم الواردة إليها من المناطق التي أخضعها الفاطميون، أصبحت المدينة فيما بعد تعتمد على مصادر دخلها<sup>3</sup>، يقول ابن حماد «وأمر أن تدخر فيها الأقوات وأنواع المأكولات وكل ما تنضم إليه الضرورة ففعل - وكان إذا ارتفعت الأسعار وأغبت الأمطار يكتب إلى أبي القاسم وهو ولي عهد أبيه، وبعد قضاء الأمر إليه يستأذنه في البيع ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع»<sup>4</sup>.

وقد ساعده في ذلك كون المنطقة غنية من الناحية الزراعية، ففي الأعوام الممطرة تنتج أراضي سهل الحضنة محاصيل وافرة، أضف إلى هذا أن وادي القصب كان يسقي أراضي شاسعة لزراعة الحبوب، فنتج محاصيل تكفي حاجة المدينة حتى في الأعوام الشدة<sup>5</sup> يقول الإدريسي «ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه»<sup>6</sup>، لذلك لم يغفل الرحالة والجغرافيين العرب عن الأهمية الاقتصادية للمسيلة وما تزخر به من خيرات فقد ذكر ابن حوقل « لها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق، ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجاتهم، ولهم من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس، ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر»<sup>7</sup>.

1 - الطاهر طویل، المرجع السابق، ص-ص 253-254.

2 - الهوارية بطيب، المرجع السابق، ص 31.

3 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 86.

4 - ابن حماد، المصدر السابق، ص-ص 24-25.

5 - محمد الصالح مرمول: " نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص 30؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 87.

6 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 155، في حين ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85. يذكر « ولهم عليه كروم واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم» هذا يدل على وفرة الإنتاج.

1 - أهم الجغرافيين الذين ذكروا الأهمية الاقتصادية للمسيلة:

لقد أعطت الزراعة أهمية كبرى للمدينة وجعلتها مركزا تجاريا مزدهرا وذلك لما تتوفر عليه من أسواق يقصدها التجار يقول البكري<sup>1</sup> « وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة، ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر»، كما أصبحت تمول العديد من المدن بالمؤن المختلفة، كما ذكر ابن حوقل «ولها من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان»<sup>2</sup>.

وقد أشار كل من ابن حوقل والبكري، والإدريسي إلى وجود طبقة من التجار الذي يكونون في الغالب حلقة وصل بين المدينة والقبائل التي كانت تستقر في الريف، وتكون عملية المبادلات بين هؤلاء المزارعين والتجار لتموين أسواق المدينة<sup>3</sup>، ويظهر ذلك واضحا في قول الإدريسي<sup>4</sup> « والمدينة أيضا عامرة بالناس والتجار»، فتمركزت قبائل زناتة بناحية تيهرت التي كانت محط أنظار الفاطميين باعتبارها من أهم الحواضر التجارية للمغرب الأوسط لتربعها على طريق القوافل التجارية الرابط بين السودان وسجلماسة، وفاس، فوجود مدينة تدين بالولاء لهم و تكون قريبة من هذه المراكز الإستراتيجية في النفوذ التجاري، سيشيح لهم لا محال فرصة بسط نفوذهم عليها.<sup>5</sup>

ومهما كان الدور الذي لعبته مدينة المسيلة، فإنه لا يمكن عزله عن الأوضاع العامة التي كانت تعرفها مدن المغرب الأوسط في هذا العصر، وهذا العامل الاقتصادي أساسا لا يمكن إغفاله عن الدوافع الفاطمية التي أدت بها إلى تأسيس هذه المدينة.<sup>6</sup>

### 3- تشكل نواة علمية مالكية في وسط إباضي:

ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 239 «وحولها بساتين كثيرة يجود عندهم القطن»، أما الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص-ص 85-86، «هي عامرة في بسيت من الأرض، ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم، ومزارع قطن وقمح وشعير»، في حين الاستبصار، المصدر السابق، ص 172 يذكر «أن مدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة»، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 558.

1 - البكري: المصدر السابق، ص 59.

2 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

3 - الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 257.

4 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

5 - هوارية بطيب، المرجع السابق، ص 31.

6 - الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 256.

لما تم بناء مدينة المسيلة انتقل مركز الثقل إليها من طنبنة عاصمة الزاب القديمة، وبذلك أصبحت هي العاصمة السياسية والإدارية والمركز التجاري والحضاري للمنطقة الممتدة من باغاية شرقا إلى تيهرت غربا، كما انتقل إليها الكثير من سكان المناطق المجاورة لها، وازدهرت أوضاعها في بعض الجوانب، فأما رجال المال والأعمال، وقصدها العلماء والشعراء من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي ومن خارجه.<sup>1</sup> ومن الواضح أن المسيلة في العصر الوسيط أدت دورا تاريخيا هاما، حيث كانت تمثل نقطة صراع بين الحركات السياسية ومركز التقاء التيارات الفكرية والأدبية، وقد زاد من أهميتها العلمية والفكرية في المقام الأول كما ذكر الموقع الاستراتيجي العام للمدينة.<sup>2</sup>

في حين يرجع هذا الرقي العلمي والثقافي إلى مؤسسها وواليتها علي بن حمدون، الذي كان ينشط الحركة الثقافية ويقرب إليه العلماء والأدباء، إلى أن هلك وخلفه ابنه جعفر، هذا الأخير الذي عرف بالسماحة<sup>3</sup> وكثرة العطاء وإثارة أهل العلم والعلماء<sup>4</sup>، مما جعل المدينة محط أنظار أهل العلم ومقصد طلاب العلم وكعبة الشعراء والأدباء<sup>5</sup>، ومن أبرز الشعراء الذين احتضنتهم مدينة المسيلة في وقت مبكر ابن هاني الأندلسي الذي تم ذكره سابقا والذي مدح كلا من جعفر بن علي بن حمدون والمعز لدين الله الفاطمي.<sup>6</sup>

- من أبرز العلماء الذين نشأوا بها وترعرعوا بين أحضان مجتمعها نذكر:

#### - عبد الكريم النهشلي: (ت 405هـ/1014م):

هو أبو محمد عبد الكريم النهشلي، ولد بالمسيلة<sup>7</sup> وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه مع أقرانه وأخذ عن شيوخها وعلمائها، ثم انتقل إلى القيروان وتولى التدريس بها، نبغ في نظم الشعر، وصار له صيت ومكانة مرموقة، ترك آثارا كثيرا وخاصة في ميدان الشعر، له كتاب «الممتع» من أهم المجاميع الأدبية في

1 - محمد صالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص31.

2 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص94.

3 - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص110.

4 - ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص360.

5 - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص167؛ الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص22.

6 - محمد صالح مرمول: "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص31.

ويذكر أن ابن هاني الأندلسي قتل بطرابلس أثناء التحاقه بالمعز الفاطمي بمصر سنة (362هـ/973م)، ولما بلغ خبر مقتله إلى المعز قال: كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يقدر لنا ذلك.

7 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص168.

تاريخ الأدب العربي، وموضوعه في النقد الأدبي، احتوى أخبار الشعراء و الأدباء، وعرض فيه الكثير من النماذج الشعرية.<sup>1</sup>

### - ابن أبي سهل الخشني (ت406هـ/1015م):

ولد أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير بالمسيلة وبها تعلم ونبغ في الشعر وغيره من فنون الأدب المعروفة في عصره<sup>2</sup> يقول رشيد بورويبة<sup>3</sup> انه ذكر عند ابن رشيق بقوله «لم ير ضرير قط أطيب نفسا منه ولا أكثر حياء، مع دين وعفة، أدركته وقد جاوز التسعين والتلاميذ يكلمونه، فيحمر خجلا وكان شاعرا مطبوعا يلقي الكلام إلقاء وسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب ولا غنى لأحد الشعراء الخذاق عن العرض عليه والجلوس بين يديه أخذنا للعلم واقتباسا للفائدة منه». وقد بلغ شهرة جعلته مصدرا للدارسين والمتعلمين، وكان مجلسه منتدبى للأدباء والشعراء والكتاب، لما عرف عنه من جزالة اللفظ وسهولة الأسلوب.<sup>4</sup>

### - حسن بن محمد بن سلمون أبو علي المسيلي (ت431هـ/1040م):

فقيه مالكي، مشارك في بعض العلوم، من أهل السنة، رحل إلى الأندلس فولاه سليمان بن حكم الشورى بقرطبة، كان حسن الثقة، وكان عفيفا متواضعا ما بقرطبة ودفن بمقبرة العباس.<sup>5</sup>

### - ابن رشيق (ت463هـ/1071م):

- 1 - محمد صالح مرمول، "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، ص173.
- 2 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص175.
- 3 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص-ص169-170.
- 4 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص175، يضيف ولأهمية أشعاره فيما يأتي هذه الأبيات التي توضح حقيقة قول جزل ولطف نظمه ومما قاله:

قال العوازل قد طولت حزنك إذ	لو شئت إخراجك عن سلوه خرجا
ولن أطيق خروج الحزن عن جلدي	لأنني أنا لم أمره أن يلجا
العين في وجهك من هو	من صدك في شجر
تناصف الحزن الذي حزنه	لم يفتقر عضو إلى عضو
ولم يفد منك محب سوى	قلب شج في حسر نضو

<sup>5</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص300.

أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني<sup>1</sup> وأديب وشاعر وإخباري، ولد بالمسيلة وتعلم صناعة الصباغة على يد والده، ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ، فأخذها عن علماء بلدته، وفي سنة (406هـ/1015م) رحل إلى القيروان والتقى بها مع كبار العلماء والأدباء كعبد الكريم النهشلي ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهم، فلزمهم وأخذ عنهم<sup>2</sup>، واتصل بابن أبي الرجال إمام الكتابة والإنشاء والآداب ثم الأمير الزيري المعز بن باديس، حيث أصبح أحد الشعراء بلاطه البارزين وعندما حاصر بنو هلال القيروان انتقل ابن رشيق مع المعز إلى المهديّة سنة (444هـ/1057م).<sup>3</sup>

يذكر ابن خلكان<sup>4</sup> أنه «كانت وبينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها»، ولم يتصالح الشاعران إلا بجزيرة صقلية حيث توفي ابن رشيق في مدينة مزارة<sup>5</sup>، تاركا عدد كبير من المؤلفات نذكر منها: "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، له "أمّودج الزمان في شعراء القيروان" ترجم فيه لطائفة من شعراء إفريقية، و"قراضة الذهب" في نقد أشعار العرب، و"الشدوذ في اللغة" و"ميزان العمل في تاريخ الدول" و"تاريخ القيروان" و"المساوي في السرقات الشعرية" و"الروضة الموشية في شعراء المهديّة" و"شرح موطأ مالك" و"رسالة قطعت الأنفاس" ورسالة "رفع الأشكال" و"ديوان شعر".<sup>6</sup>

### - عبد الله بن حمو المسيلي (ت 473هـ/1080م):

1 - ابن خلكان، المصدر السابق، مج2، ص85.

2 عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة، القاهرة، دار الوفاء، المنصورة، 1991، ص267؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص151؛ صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص179.

3 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص172.

4 - ابن خلكان، المصدر السابق، مج2، ص86.

5 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص172، حيث يذكر أن ابن رشيق انتقل إلى مدينة "مزارة" بصقلية، ويتفق مع صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص180. في اسم المدينة، في حين يذكرها، عادل نويهض، المرجع السابق، ص151 باسم "بمازر"، أما ابن خلكان، المصدر السابق، مج2، ص86. ب"بمازر".

6 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص151؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص267.

يذكر رشيد بورويبة أن لابن رشيق ديوان يشتمل على 214 قصيدة نذكر منها رثاء القيروان:

والمسلمون مقسمون تنالهم	أيدي العصاة بذلة وهوان
ما بين مضطر وبين معذب	ومقتل ظلما وآخره عان
يستصر خون فلا يغاث صريحهم	حتى إذا سئمو من الأرنان
خرجوا حفاة عائذين برهم	من خوفهم ومصائب الألوان

ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص-ص172-173.

قاض وكاتب، له معرفة بالأصول والفروع، أصله من المسيلة استوطن بالمرية بالأندلس، له رواية عن أبي إسحاق بنو يربوع وغيره.<sup>1</sup>

### - أحمد بن الحسين بن محمد المهدي المسيلي (ت538هـ/1143م):

شاعر وأديب وقاض من أهل المسيلة، وولي القضاء بفاس<sup>2</sup>، دخل الأندلس قال عنه ابن دحية<sup>3</sup> هو «من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب، المتمسكين منه بأمتن سبب، له مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض، وأغزل من العيون المراض، وكان شعره مدونا بالثغر الأعلى بمدينة سرقسطة-استوطن آخر مدينة فاس، وولي أحكام القضاء، كان محمود الحال، حسن الخلق، قولاً بالحق إلى أن توفي».

### - حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1185م):

هو الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المتفنن المحصل المجتهد الإمام أبو علي، كان يسمى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علم الباطن والظاهر له المصنفات الحسنة و القصص العجيبة المستحسنة<sup>4</sup> أصله من المسيلة ونشأ ببجاية، تولى القضاء بها إلى أن دخلها بنو غانية واحتلوها وأكروهه على مبايعتهم فرفض، واعتزل القضاء واهتم بنشر العلم والتدريس في مساجدها<sup>5</sup>، ترك مؤلفات كثيرة منها "التذكرة في أصول علوم الدين" و"النبراس في الرد على منكر القياس" و"التفكير فيما تشتمل عليه سور والآيات من المبادئ والغايات" وهو كتاب ابتع فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" في طريقة عرض القضايا وتحليلها حتى لقب بأبي حامد الصغير.<sup>6</sup>

1 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص300.

2 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص298.

3 - ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة، طه حسين، دار العلم للجميع، سورية، (د ت) ص41.

4 - الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج1، ص59.

5 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص26؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص299.

يذكر أنه في سنة 580هـ فاجأ أسطول المرابطين بقيادة علي بن غانية الميروي مدينة بجاية واستولى عليها، وكان المسيلي قاضياً، فدخل عليه أحد الموارقة وأجأه إلى بيعتهم وأكروهه مع غيره عليها- وكان الموارقة يتمثلون لا ويبدون وجوههم- فامتنع أبو علي من البيعة وقال: لا نبيع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة، فكشف له الميروي عن وجهه.

6 - معجم مشاهير المغاربة، ص- ص492-493.

**عبد الله بن محمد المسيلي (ت 744هـ/1343م):**

«هو جمال الدين أبو محمد الإمام العلامة الأوحى البارع المتقن صاحب المصنفات البديعة والعلوم الرفيعة، كان حاله عجبيا ومنزعه غريبا وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح، وانتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي»<sup>1</sup> وهو فقيه مالكي من أهل المسيلة، صاحب مؤلف "غاية الحصول" في أصول الفقه، توفي بالقاهرة.<sup>2</sup>

**- أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي (ت 785هـ/1383م):**

فقيه ومفسر من أهل المسيلة، رحل إلى تونس<sup>3</sup>، أخذ العلوم عن الإمام ابن عرفة وأبي مهدي الغبريني وأبي الحسن البطرني بن خلدون وغيرها<sup>4</sup>.

**- أحمد بن أبي القاسم المسيلي (ت 789هـ/1387م):**

هو أحمد بن أبي القاسم بن أبي عمار، أبو العباس، قاض ومحدث ومقريء، من كبار فقهاء المالكية في وقته ولد بالمسيلة وتعلم بها وبقسطنطينة وبجاية تولى القضاء ببجاية حتى توفي بها.<sup>5</sup>

**5- رحيل الفاطميين وأثره في تراجع دور المسيلة:**

ليس هناك أدنى شك أن الأمام الفاطمي المعز لدين الله كان أقدر الفاطميين وأبعدهم رؤية في بناء المستقبل السياسي للدولة، إذ أدرك أنه لا يستطيع البقاء والاستمرار في حكم المغرب في ظل الصراعات المذهبية الطويلة، وأن محاولات السيطرة على المغرب الأوسط بقيادة صنهاجة لم تكن لتؤدي ما يتغيه

1 - الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص241.

2 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص300.

3 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص96؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص299.

4 - الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص73.

5 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص299.

الفاطم،<sup>1</sup> وبذلك كان فتح مصر هو الموقف الملائم الذي يتلاءم طبيعياً مع التطلعات الفاطمية عامة والمعز لدين الله خاصة.<sup>2</sup>

فاستمال أئمة الدولة الفاطمية القبائل الصنهاجية بدلا من القبائل الكتامية، وأسندوا إليهم أمور مهمة في الدولة تقديرا كخدماتهم التي كانت سبب في توطيد دعائم ملكهم أثناء فترة حكمهم في بلاد المغرب.<sup>3</sup>

وما يدعم ذلك هو ترك الإمام المعز لدين الله الفاطمي إفريقية و المغرب لبلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي<sup>4</sup>، فيقول ابن خلدون<sup>5</sup> «وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة»، لكن المقابل لم يجعل له سلطة على صقلية وطرابلس<sup>6</sup>، حتى يضمن استمرار ولاء هذه البلاد لدولته<sup>7</sup>، ويبقى

<sup>1</sup> - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص- ص 16-17.

<sup>2</sup> - يذكر السيد عبد العزيز سالم أن فتح مصر كان أمنية الفاطميين منذ أيام عيد الله المهدي، بعد أن استحال عليهم فتح الأندلس، وكانت مصر بالنسبة للفاطميين معقد آمالهم لثرائها، وأهمية موقعها الجغرافي سياسيا وحربيا، وبالإضافة إلى قربها من بلاد الشام والحجاز، ينظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 634؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص238، وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية محاولة الفاطميين فتح مصر، نذكر منهم: ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 192. يقول « وسير ولى عهد أبا القاسم إلى مصر في دفعتين: الأولى في سنة إحدى وثلاثمائة، فملك الإسكندرية والفيوم وجي خراجها وخراج بعض أعمال الصعيد، وعاد إلى المغرب في سنة اثنتين وثلاثمائة، والثانية سنة ست وثلاثمائة فملك الإسكندرية أيضا » ينظر كذلك: المقرئ، اتعاظ الحنفا بأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص- ص 69-71؛ النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص 22؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص49؛ وتم فتح مصر سنة (358هـ/969م)، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 228؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص309.

<sup>3</sup> - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص119.

<sup>4</sup> - ذكرت العديد من المصادر التاريخية رحيل المعز إلى مصر، وكان ذلك سنة (361هـ/961م)، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص- ص 86-87؛ القلقشندي، صبحى الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص 120؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ص 452؛ ابن أبي دینار، المصدر السابق، ص74؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 61؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص330.

<sup>5</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 206.

<sup>6</sup> - النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص 87؛ ابن أبي دینار، المصدر السابق، ص74؛ وجعل على صقلية أبا القاسم علي بن الحسن بن علي بن أبي الحسين وعلى طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، ينظر: أبي الفداء، المصدر السابق، ص 452؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 63؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص 101؛ محمد صالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص 174؛ محمد الطمار، المرجع السابق، ص43.

<sup>7</sup> - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضفة الشرف، القاهرة، ص184.

على النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب، مع أنه كان يدرك أن استمرار هذا النفوذ لن يدم طويلا، لما كان يعرفه عن البربر وطبيعتهم الثورية، لذلك رأى أن خير وسيلة للاحتفاظ بتبعية المغرب للفاطميين أن يعمل على إضعاف وإثارة الفرقة والتنافس بين القبائل حتى تظل في حروب متواصلة، ولا يفكر أهل المغرب في الخروج عن طاعة الفاطميين، وهذا ما تأكده وصايا الإمام المعز لدين الله لبلكين بن زيري الصنهاجي، قبل رحيله للقاهرة.

وما لبث الصراع في المغرب أن اتخذ بعدا محليا مع غياب الحكم الفاطمي المباشر، فأخذت القوى السياسية في المغرب الأقصى والأوسط تتصارع على النفوذ وملاً الفراغ والذي كان على بلكين بن زيري أن يسده.<sup>1</sup>

يقول ابن أبي دينار<sup>2</sup> «ولما مهد الأمور بإفريقية، رحل إلى المغرب في شعبان سنة ثلث وستين وثلاثمائة، وفيها عصى أهل تيهرت فنزل عليها وظفر بأهلها فسي الذرية ونهب الأموال وبلغه الخبر عن زناة أنهم نزلوا على تلمسان وملكوها فرحل إليهم»، ويضيف ابن خلدون<sup>3</sup> «ونزل على تلمسان وحاصرها حتى أنزل أهلها على حكمه ونقلهم إلى أشير»، ولكنه لم يتوغل أكثر في المغرب بناء على أوامر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حسب ابن أبي دينار.<sup>4</sup>

وبطبيعة الحال لم تكن المسيلة بعيدة عن الصراعات و الأحداث التي حدثت في المغرب، مما جعل أهميتها السياسية تتناقض خاصة بعد نقل عاصمة الزاب إلى أشير، حيث أصبحت مركز قوة صنهاجة حتى إذا ترك الإمام المعز المغرب إلى مصر مستخلفا لبلكين بن زيري لم ينتقلوا من عاصمتهم أشير إلى المنصورية إلا آسفين على ترك مدينتهم الأولى في المغرب، فهي تمثل القاعدة التي انطلقت منها صنهاجة لسيط

1 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 236-237.

وصايا الإمام المعز لدين الله الفاطمي لبلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي عند رحيله إلى مصر، «يا يوسف إن نسيت ما أوصيك به فلا تنسى ثلاث: لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك وأوصيك خيرا بأهل الحاضرة» ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 206؛ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 65.

2 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 209.

4 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74.

سلطانها على إفريقية والمغرب، وستظل في عهد بلكين المركز الاستراتيجي الأول للوقوف في وجه حشود زناتة ومقاومة الأمويين ومنعهم من التوغل إلى الشرق،<sup>1</sup>

وقد تولى حكم أشير والمسيلة حماد بن بلكين<sup>2</sup>. حيث كان يتداول ولايتهما مع أخيه ياطوفت وعمه أبي البهار، وكان ذلك بعد وفاة أبو الفتوح يوسف الذي خلفه ابنه المنصور في حكم بلا المغرب.<sup>3</sup>

أما نصير الدولة باديس فقد ظل على أحسن وفاق مع عمه حماد إلى أن تحركت القبائل الزناتية سنة (395هـ/1004م) في نواحي مدينتي المسيلة وأشير، فسير إليهم حماد والذي تمكن من إلحاق الهزيمة بزنانة وإجبه إلى تيجيس<sup>4</sup> وقسنطينة، ودوخ المغرب واختط مدينة القلعة حسب ابن خلدون.<sup>5</sup>

وبذلك تيقن حماد أمام الهجومات المتتالية لقبائل زناتة على سهول الحضنة، وأمام الخسائر التي كانت تلحقها باقتصاد المنطقة على العموم وبنسجها العمراني على الخصوص، وأن المسيلة وأشير وطبنة، أصبحت غير قادرة على احتواء هذا الخطر، زد إلى ذلك أن حماد كان يريد الاستقلال بالمنطقة، كل هذه الأمور جعلته يفكر في إنشاء قاعدة جديدة يتخذها كعاصمة لحكمه، وتكون أكثر تحصينا من المسيلة، ويكون موقعها أكثر إستراتيجية من موقع أشير.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص-ص 73-74، يبين أهمية أشير بالنسبة للزيريين، حيث يذكر «أن بلكين كان وهو يتربع على عرش القيروان يقضي معظم أوقاته في أشير التي وسعها بتأسيس مدينة خاصة له، وزاد في تحصينها ببناء سور مرتفع حولها».

<sup>2</sup> - وهنا نشير على الاختلاف عند المؤرخين في مسألة إمارة حماد على أشير، هل كانت في زمن أخيه المنصور أم في عهد ابن أخيه باديس، بحيث يشير النويري، المصدر السابق، ج24، ص102 «وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، عقد أبو مناد ولاية أشير لعمه حماد بن يوسف بن زيري»، وهذا مانجده عند كل من، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص248؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص78؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص458، في حين ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227. يذكر ذلك في عهد أخيه المنصور، يرجع هذا الاختلاف إلى أن أشير في عهد المنصور كان يتداول على حكمها حماد مع أخيه ياطوفت وعمه أبي البهار، أما في عهد باديس، انفرد حماد بحكمها.

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص56؛ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص69؛ أحمد أبو رزاق، المرجع السابق، ص63.

<sup>4</sup> - تقع هذه المدينة على الطريق القديم الذي يربط بين تبسة وقسنطينة، ينظر: الطاهر طويل، المرجع السابق، ص99؛ ويصفها البكري بقوله «وهي مدينة أولية شامخة البناء كثيرة الكلاء والربيع» البكري، المصدر السابق، ص53؛ أما ابن حوقل، المصدر السابق، ص87. يقول «تيجيس مدينة لها سور وريض قد استدار من قبلها إلى بحر بما»

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص209؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص649.

<sup>6</sup> - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص37.

## 1- تأسيس مدينة القلعة :

لم تستطع الجيوش التي أرسلها باديس بن المنصور بن بلكين لحرب زناتة من القضاء على قوة مغراوة<sup>1</sup> وبني يفرن<sup>2</sup> بالمنطقة مما دفعه بالاستنجاد بعمه حماد \* لصد هذه الحركات المعادية للسلطة الزيرية وإخمادها<sup>3</sup>، لكن هذا الأخير انتهز الفرصة مستغلا في ذلك حاجة الدولة إليه ليتقدم بشروط تمكنه فيما بعد بالاستقلال بالمغرب الأوسط.<sup>4</sup>

يقول ابن خلدون<sup>5</sup> «وشرط له ولاية أشير والمغرب الأوسط، وكل بلد يفتحه» بالإضافة إلى حرية اختيار مكان إقامته،<sup>6</sup> اعتبر هذه الاتفاقية بمثابة الوثيقة الشرعية والاعتراف الضمني بقيام دولة بني حماد كدولة مستقلة معترف بها من قبل السلطات الزيرية في القيروان،<sup>7</sup> وبعدها سمح باديس لعمه حماد باختيار مقر إقامته الجديد<sup>8</sup>، استقر رأيه في نهاية الأمر على قلعة اسمها قلعة أبي طويل حسب صاحب الاستبصار

1 - هم بطن من بطون زناتة وهم قوم رحالة يتمركزون بين المسيلة وناهرت، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 158.

2 - بني يفرن هم بطن من بطون زناتة، يتمركز وجودهم في إفريقية وجبل الأوراس والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص - ص 15-16.

\* ينظر الملحق 07: ملامح شخصية حماد، ص - ص ، 136-137.

3 - ذكر ابن خلدون السنة التي جرت فيها الحرب بين حماد وزناتة بقوله «ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالمغرب

الأوسط من مغراوة وبني يفرن»، ينظر: ابن خلدون، المرجع السابق، ص 27؛ وكذلك محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 69؛ أحمد أبو زراق، المرجع السابق، ص 64، يبين نوايا باديس من وراء استنجاده بعمه حماد بقوله «للتخلص منه وحسدا له وخوفا منه لدهائه وشجاعته»، عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 36.

4 - أحمد أبو زراق، المرجع السابق، ص 64؛ عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 36.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 226.

6 - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق ص 83.

7 عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 36.

8 - رغم سكوت المصادر التاريخية عن قتال حماد للمعز بن عطية الزناتي وما تخلل ذلك من أحداث، فالثابت أنه استطاع طرده

من المغرب الأوسط وإرغامه على الرجوع إلى المغرب الأقصى، وعقب هذا الانتصار تولى حماد حكم المغرب الأوسط و المسيلة وغيرها من البلاد التي يتم فتحها، ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 20؛ عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص

36؛ صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص 83.

الذي يصفها بقوله<sup>1</sup> «مدينة قلعة أبي طويل وهي قلعة حماد، وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم».

وفعلا شرع حماد سنة (398هـ/1007م)<sup>2</sup> في تأسيس مدينته الجديدة التي سميت باسمه، وأصبحت منذ ذلك التاريخ تعرف باسم قلعة بني حماد.

وكانت القلعة في موضع يحقق لمؤسسها أغراضه السياسية والعسكرية في المنطقة.<sup>3</sup> وليس من شك في أن المزايا الإستراتيجية التي تمتع بها هذا الموقع هي التي لفتت إليه نظر حماد بن بلكين، بعدما استقر له الأمر في منطقة الزاب والحضنة، وأغرته ببناء القلعة لتقوم بالدور السياسي الذي قامت به أشير في عهدها الأول، قبل أن تأخذ القيروان كثيرا من نفوذها،<sup>4</sup> بنيت القلعة على منحدر وعرف فوق سفوح جبل تاقربست على الحدود الشمالية لسهول الحضنة، وعلى أرض مسطحة تشكل امتداد لجبل تاقربست إلى سهول المسيلة<sup>5</sup> يقول الإدريسي<sup>6</sup> «وأعلى هذا الجبل متصل بسيط من الأرض منه ملكت القلعة».

وفي حقيقة الحال وفق حماد في اختيار مدينته لتكون حضنا منيعا وحاضرة لملكه المنتظر<sup>7</sup> يقول صاحب الاستبصار<sup>8</sup> «وهي في جبل عظيم وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال، وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة، وهم كانوا ملوك إفريقية أيام بني عبيد»، واستقر حماد في القلعة بدلا من أشير لأنها تتيح له

1 - الاستبصار، المصدر السابق، ص 167.

2 - بالنسبة للسنة التي شرع فيها حماد في بناء القلعة، فالمصادر التاريخية تتفق على أن ذلك كان سنة (398هـ/1007م) أمثال ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227. باستثناء ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 390، الذي يقول: إن مؤسس المدينة هو حماد بن بلكين «وهو أول من أحدثها في حدود سنة 370هـ»، والهادي روجي إدريس لا يستبعد ذلك بقوله: ليس هناك ما يدعو لرفض هذا الإدعاء، ينظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 98.

3 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 83.

4 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 121.

5 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 20؛ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة، مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 189؛ إسماعيل

العربي، المرجع السابق، ص - ص 119-120

6 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

7 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 98.

8 - الاستبصار، ص 167، وقد وصف البكري حصانة القلعة بقوله «وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة» ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 49.

السيطرة على سهول الحضنة ومراقبة تحركات القبائل الزناتية الثائرة على الزيريين ورغم هذه الأهمية الإستراتيجية للمدينة الجديدة إلا أن حماد لم يهمل العاصمة الأولى لصنهاجة "أشير"<sup>1</sup>. وبطبيعة الحال تأسس مدينة القلعة وجعلها عاصمة للدولة الحمادية فيما بعد ألحق ضربة موجعة بالمسبة التي أخليت من سكانها، الذين رحلوا لتعمير القلعة ودمرت ديارهم حتى لا يكون لهم أمل في العودة إليها<sup>2</sup>، وهذا ما يدعمه قول ابن خلدون<sup>3</sup> «ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخرّبهما».

<sup>1</sup> - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 20؛ صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 84.

<sup>2</sup> - paul Maissere, op.cit, p18.

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.

## الفصل الثاني:

# الفاطميون وتأسيس مدينة المسيلة

- 1- تأسيس مدينة المسيلة .
- 2- الأسرة الحمدونية بالمسيلة.
- 3- المسيلة وثورة أبي يزيد.
- 4- تطور المدينة في العصر الفاطمي .
- 5- رحيل الفاطميين و أثرهم في تراجع دور المسيلة.

## 1- الحضور الهلالي في مجالات الحضنة:

### 1- أصل بني هلال ومواطنهم:

اعتنى العرب بضبط أنسابهم، وعرفوا بتعصبهم لها إلا أن اختلاطها وتشابكها أدى بالمؤرخين إلى الاختلاف في نسب الكثير من القبائل العربية، ومن بينها القبائل الهلالية والتي يرجعها العديد من النسابة الوسيطيين إلى قيس عيلان، وهذا ما ذكره ابن حزم بقوله<sup>1</sup> «بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن مصر» كما يرجع ابن خلدون<sup>2</sup> نسبهم إلى عرب الشمال وهم العدنانيون، كانت هذه الحقيقة هذه القبائل أخلاطاً من القبائل العربية من بينهم بنو سليم، أقوى العناصر الهلالية التي حلت ببلاد المغرب.<sup>3</sup>

وبطبيعة الحال صعب عدم استقرار تلك القبائل وترحالها الدائم من تحديد مواطنهم الأولى بدقة، إذ تكاد تتفق أغلب المصادر التاريخية على أن أصلهم من بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد،<sup>4</sup> وهذا ما نجده عند ابن خلدون<sup>5</sup> بقوله «كانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز ينجد، فبنو سليم مما يلي المدينة، وبني هلال في جبل غزوان عند الطارف».

1 - ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 273.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص؟

ويذكر ذلك القلقشندي بقوله: «وبنو هلال بطن من عامر بن صعصعة بن هوازن من العدنانية»، ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 235، ويروي عبد الحميد خالد، الوجود السلمي في الجزائر، دار هوم، الجزائر، 2003، ص 13، أن البعض رأى انتساب القبائل الهلالية إلى قيس عيلان غير صحيح، وأن نسبهم في بني كنانة، لأن ديار القوم لم تكن مرتبطة بديار بن هلال بن عامر. ينظر: معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني، أسماء القبائل وأنسابهم، تحقيق، كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000، ص 245.

3 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 59.

4 - نجد هي اسم الأرض العريضة التي أعلاها، لتهامة واليمن وأسفلها العراق والشام تشمل على مكة والمدينة واليمامة، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص 262، أما ابن حزم، المصدر السابق، ص 29، يذكر أن نجد متصلة بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام، في حين الحميري، المصدر السابق، ص 572 يقول أن نجد ما بين الحجاز والشام فالطائف من نجد والمدينة من نجد.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 18.

في حين السمعاني<sup>1</sup> يذكر أنهم «نزلوا الكوفة» وكانت قبائل بدوية رعوية، تعيش حياة فقير مضطربة<sup>2</sup> وأغلب الظن أن الهلاليين وجيرانهم من سليم قد تكاثروا على مر الأيام في نجد وساعدهم في ذلك انشغال الدولة عنهم بالفتح حيناً وتوطيد أركان الحكم في الحواضر حيناً آخر.<sup>3</sup> وبذلك كرهت تلك القبائل العربية النظام أياً كان مصدره ومن ثم كانوا من خصوم الدولة القائمة، ولما كانت صفة التمرد والثورة على السلطة من صفات الأعراب الهلاليين، فإنهم لم يقفوا عند قطع الطريق وتهديد الأمن بل تعدوا كل ذلك إلى الانطواء تحت راية كل تائر يريد الاستقلال،<sup>4</sup> ولعل الفوضى السياسية التي أحدثتها القرامطة<sup>5</sup> بخروجهم على طاعة الفاطميين والاستيلاء على البحرين، وسعيهم إلى التوغل داخل الجزيرة العربية بالإضافة إلى شنهم للغارات على المسالك ونهب الحجيج<sup>6</sup> قرب بينهم وبين القبائل الهلالية، وقد مهد جهل تلك القبائل بطبيعة العلاقة الرابطة بين القرامطة والفاطميين بمصر إلى تسهيل تحريك الفاطميين لهذه القبائل على طاولة المصالح السياسية للدولة.<sup>7</sup>

1 - السمعاني ، الأنساب، تقديم، عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988، ج5، ص 657.

2 - الفردبيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 211. يضيف أنهم حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم حرباً شنيعة وقاوموا الدين الجديد (الإسلام) ولم يستسلموا في النهاية إلا عنوة وبالقوة، وكان إسلامهم واهياً، وإيمانهم بغير إخلاص، وحاولوا الامتناع من دفع الجزية وأداء الفروض الدينية وكانوا مصدراً للتوتر في العهد الراشدي والأموي، وازداد نهبهم وتمردهم في أيام الخلافة العباسية.

3 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 59؛ الفردبيل، المرجع السابق، ص 211.

4 - عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي (المغرب العربي بين بني زيري وبني هلال وبني حماد الغزوة الهلالية صفحة مضيئة من تاريخ المغرب دراسة في التاريخ الإسلامي)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج4، ص 145.

5 - القرامطة نسبتهم إلى رجل من الكوفة يقال له "قرميطة".

6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 18؛ الفردبيل، المرجع السابق، ص 211؛ ويذكر مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 59. أن ذلك كان أيام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.

7 - إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996، ص 45؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 666.

وفي حقيقة الحال لم يكن الجانب الديني هو الذي جذب بني هلال وبني سليم للانضمام للقرامطة بل أنها كانت فرصة للنهب والفضى والخروج عن النظام حسب الفردبل،<sup>1</sup> ولما تغلب الفاطميون على القرامطة في الشام أعادوهم إلى البحرين ونقلوا أتباعهم من بني هلال وبني سليم وأنزلوهم بالصعيد في الضفة الشرقية من النيل فأموا هناك وكانت لهم أضرار بالبلاد كما ذكر ابن خلدون.<sup>2</sup>

وكان المقصود باستقدام الأعراب الهلالية والسليمية إلى صعيد مصر والضفة الشرقية من النيل هو إضعاف شوكة القرامطة بالإضافة إلى تقرب الفاطميين من القبائل العربية للاستعانة بهم في حروبهم وتدعيم قوتهم واستغلال العصبية فيهم،<sup>3</sup> ولكن هؤلاء الأعراب لم يستطيعوا الخروج عن طبائعهم فنقلوا إلى الديار المصرية ما اعتادوا عليه من شرائع الصحراء، وعم ضررهم وأحرقوا البلاد وأصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا على الدولة الفاطمية في مصر.<sup>4</sup>

## 2- أسباب الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب:

الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية وحضارية، إنما كانت نتيجة حتمية للقطيعة السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة، وبين نواحي الزيريين في إفريقية،<sup>5</sup> وبذلك كان الاتصال بالخلافة العباسية ببغداد لأول مرة كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية<sup>6</sup>، فأتى خلافة المستنصر بالله الفاطمي (427-487هـ/ 1035-1094م) تطورت علاقات

1 - الفرديل، المرجع السابق، ص 211، حيث يذكر أن كثير من بني هلال وبني سليم اشتركوا في الاستيلاء على مكة تحت زعامة القرامطة، وهناك انطلقوا يعبثون فسادا وتخريب.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 18 .

3 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 147، في حين يذكر حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 167، أن المعز بالله الفاطمي هو الذي قام بنقلهم إلى صعيد مصر وأسكنهم الضفة الشرقية من النيل واشترط عليهم ألا يعبروا إلى الضفة الغربية، وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب.

4 - يونس عبد الحميد، الهلالية في الأدب والتاريخ، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 1962، ص 69.

5 - حسن خضير، المرجع السابق، ص 257.

6 - سعد زغلول، المرجع السابق، ص 417.

الدولة الفاطمية في مصر بالدولة الزيرية في إفريقية والمغرب الأوسط، وانتهت بانفصال المعز بن باديس نهائياً عن الدولة الفاطمية.<sup>1</sup>

وقد اختلفت الروايات بين المؤرخين في تاريخ إعلان الانفصال وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله،<sup>2</sup> وفي حقيقة الحال رأى الفاطميون الفرصة سانحة لاستغلال قوة بني هلال وبني سليم في محاربة دولة بني زيري في بلاد المغرب.<sup>3</sup> ويذكر ابن الوردي<sup>4</sup> في تاريخه أن الخليفة الفاطمي لما علم أن المعز خطب للقائم بأمر الله العباسي أهمه الأمر واعتبر ذلك تمرداً وعصيانياً من نوابه في القيروان.

<sup>1</sup> - واضح أن أمير إفريقية المعز بن باديس اتخذ هذه الإجراءات كوسيلة للاستقلال ببلاده. ينظر: عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص149.

<sup>2</sup> - اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين فقد ذكر ابن الأثير ذلك وقع سنة (435هـ/ ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج ، ص ؛ ابن أبي دینار، المصدر السابق، ص 82، بينما يحدد ابن خلدون تاريخ هذا الحدث سنة 437هـ ، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 19؛ في حين عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية، القاهرة، 1963، ص435؛ يحدد تاريخ القطيعة سنة 440 بقوله «حين تغير ما بينهم وبين المعز بن باديس الصنهاجي وقطع الدعاء لهم على المنابر ودعا لبني العباس»، لكن رواية ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 279 تحديد ذلك ما بين (441هـ و 443هـ) وتلقي بعض الضوء على تطورات القطيعة، فقد أعلن المعز طاعة العباسيين في عهد القائم بأمر الله، وهو يحدد التاريخ الفعلي للقطيعة عندما أمر المعز بن باديس بتبديل السكة حسب رواية هذا المؤرخ، وفي رواية النويري، المصدر السابق، ج24، ص-ص 116-117 وفي سنة 435هـ أظهر المعز الدعاء للدولة العباسية ولكنه لم يأمر بقطع الخطبة للفاطميين ولعنهم إلا في سنة 440هـ ودون أن يصدر أي رد فعلي عن قطع الدعوة للفاطميين الذين كانوا يرون في احتفاظ الزيريين بإعلامهم واستمرار الدعوة لهم على المنابر بصيصاً من الأمر في أن تعود المياه إلى مجاريها، وليس من شك أن الاتصالات بين الطرفين كانت مستمرة في هذه الفترة، إلا أنها تجمدت وحدثت القطيعة حينما أمر المعز بن باديس بإسقاط أسماء الفاطميين وسبهم في خطبة الجمعة وإحراق بنودهم في سنة 440هـ أما أوج الأزمة فهو في سنة 441هـ عندما قرر ضرب السكة وتبديل عملة الفاطميين، وأثر ذلك أدرك الفاطميين أن الموقف بلغ نقطة لا رجعة منها وقرروا أن وقت الانتقام قد حان

<sup>3</sup> - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص150.

<sup>4</sup> - ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج1، ص 472.

فكتب إلى المعز بن باديس وهو يرعبه ويرهبه بقوله «هلا اقتفيت آثار من سلف من آباءك فيالطاعة والولاء» ويتوعده بإرسال الجيوش فكان رد المعز إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا بأسياهم<sup>1</sup> بهذا الرد كانت بداية انتهاء التبعية السياسية والمذهبية لدولة بني زيري بالدولة الفاطمية.

إلا أن المستنصر بالله لم يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث السلبية، يبدو أن الضعف الذي أصاب دولته، نتيجة لما شهدته مصر من صراعات، بالإضافة إلى التخوف من مغامرة عسكرية في إفريقية غير مضمونة النتائج، جعله عاجزا عن التدخل المباشر في شؤون بلاد المغرب<sup>2</sup>، فقام بإغراء القبائل الهلالية المقيمة بصعيد مصر بالسير إلى المغرب بتأثير من وزيره اليازوري<sup>3</sup>، وأمدهم بالمال والسلاح<sup>4</sup> والجدير بالذكر أن الهلاليين كانوا في نزاع مستمر مما جعل المناطق التي يسكنونها عرضة لكثير من غاراتهم، وأن نقلهم إلى شمال إفريقية يحقق رغبة سياسية للتخلص من الفوضى التي كانوا يحدوثونها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - النويري، المصدر السابق، ج24، ص 116.

<sup>2</sup> - لقد وضع لنا إسماعيل العربي الأسباب التي منعت المعز من التدخل المباشر في بلاد المغرب بقوله: لم يكن من الممكن أن يفكر الفاطميين جديا في غزو المغرب بجيوشهم، فإن كتامة التي أمدتهم بالجنود ومكنتهم من الاستيلاء على الحكم في إفريقية، قد استرخت الآن وخلدت حياة البذخ في قصور القاهرة، وجوهر الصقلي، الذي أخضع لهم المغرب الأقصى وفتح مصر والشام مات، وأما جمع جيش من مصر، هذا الشعب الذي لا يعرف للحرب معنى، فهو أمر لا يمكن أن يخطر في بال الفاطميين، وفي المقابل لم يكن من المتصور أن يترك الفاطميون المغرب الذي كان موردا أسيا للمال ومجالا واسعا لتنفيذ السياسي، حوالي ثلاثة أرباع القرن، دون أن يقوموا بعمل ما، ينظر في ذلك: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص155؛ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 370.

<sup>3</sup> - أبو محمد الحسن بن اليازوري، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله الفاطمي، لقب بعدة ألقاب منها: الوزير الأجل المكيف، سيد الوزراء وتاج الأمراء، قاضي القضاة وداعي الدعاة، لم يكن من أهل الوزارة ولا من الكتاب بل كان من أهل الزراعة والفلاحة بالشام، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص 116.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 19؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص83؛ السلاوي، المصدر السابق، ص167؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 667؛ حسن خصيري، المرجع السابق، ص 258.

<sup>5</sup> - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص380؛ محمد صالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص177.

يذكر ابن عذاري بأن المستنصر بالله الفاطمي أذن للعرب باجتياز النيل بعد أن كان ممنوعا عليهم وأعطى كل مجتاز منهم دينارا<sup>1</sup>.

وبطبيعة الحال كان دافع الفاطميين من إرسال هذه القبائل العربية هو خشيتهم من أن يمتد خطر الاستقلال ونبد الطاعة لهم إلى حدود مصر الغربية، ومن هنا كانوا قد أعدوا لذلك خطتهم المزدوجة المتمثلة في الدفع بالقبائل الهلالية إلى بلاد المغرب للتخلص من نفوذهم و سوء معاملتهم وعدم خضوعهم لسلطة الفاطميين ولحركات العصيان والاقتيال فيما بينهم من جهة، والانتقام من المعز بن باديس<sup>2</sup> لقطعه الدعوة للفاطميين ونبذ المذهب الإسماعيلي من جهة أخرى.

ولما أحكم الوزير اليازوري مؤامرتة، كتب إلى المعز بن باديس كتابا يقول فيه «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً كعولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»،<sup>3</sup> وبذلك شهدت بلاد المغرب أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي<sup>4</sup> نزوح القبائل الهلالية التي توجهت إلى برقة، وكان الخليفة الفاطمي قد أقطعهم إفريقية والمغرب وأعطاهم ما سماه ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقروا بعد ذلك.<sup>5</sup>

كان الزيريون والحماديون يجهلون نتيجة الحملة الهلالية على بلاد المغرب، فحسب الهادي روجي إدريس لم يعر المعز أية أهمية إلى الأخبار التي تصله عن تلك القبائل، ولم يشعر بالخطر الذي كان يهدده، وذلك أنه لم يدرك في أول الأمر أن القضية تتعلق باجتياز كبير للأعراب، وأن جغرافية إفريقية الطبيعية لا تتوفر على حواجز تقف في وجه ذلك الاجتياح، ويضيف أن المعز قد أفرط في تقدير قواته المسلحة التي

1 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 288.

2 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص152.

3 - النويري، المصدر السابق، ج24، ص 117؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20.

4 - وكان ذلك سنة (442-443هـ) ينظر: إلهام حسين درحوج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2000، ص 53.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 20 يضيف أنه لما «أجازوا النيل إلى برقة، وكتبوا لإخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعافاً ما أخذوه...».

تمكنت من إيقاف تقدم زناتة<sup>1</sup>، بالإضافة إلى نظرة الاستخفاف، حيث كان المعز بن باديس يستحقر هؤلاء القوم الذين كانوا حسب رأيه على هامش الحضارة، إلا أن الدلائل التاريخية تؤكد أن الأمير الزيري كان يجهل مدى قوتهم ولا شك أن هذا الاستخفاف بقوة الهلاليين من العوامل الأساسية التي ساهمت في إضعاف دولة بني زيري في بلاد المغرب.<sup>2</sup>

### 3- أهم بطون القبائل الهلالية في المغرب الأوسط:

#### 1- الأثبج:

تعتبر إحدى القبائل الهلالية الأوفر عددا والأكثر بطونا حسب ابن خلدون<sup>3</sup>، والنازلة بالمثلث: قسنطينة، الزاب، الحضنة، وينقسمون إلا ثلاث مجموعات كبرى: المشرق، ودريد وكرفة، وظهرت بوادر الانقسام عند حلولهم بإفريقية<sup>4</sup> ودخولهم في نزاع مع قبائل صنهاجة على الضواحي ووقعت بينها فتن كبيرة كما يذكر ابن خلدون<sup>5</sup>، حيث كانت الحرب قائمة بين دريد من ناحية والحلف المكون من قرة والمشرق (كرفة وعياض) من ناحية أخرى، وكان ذلك أواسط القرن السادس الهجري، وقد تعرضت آنذاك بعض فروعها من المشرق إلى النقل القسري عهد الموحدين.

وبالتالي فإن تراجع أهمية هذه القبيلة جعلها تفرط في سهول قسنطينة الخصبة لقبيلة رياح، وتستقر بقرى الزاب وجبال الأوراس<sup>6</sup> ثم الاندفاع نحو الجنوب الغربي حتى بلغوا جبال عمور الواقعة عند مشارف الصحراء، في حين تقدم فوج آخر إلى الزاب الغربي وشط الحضنة<sup>7</sup> وبذلك انتقلهم من طور إلى آخر أي من قبيلة محاربة إلى قبيلة مخزينة ومن أهم فروعها:

- 1 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 252.
- 2 - النويري، المصدر السابق، ج24، ص 117؛ يوسف صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 41؛ سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 235.
- 3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 30.
- 4 - محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ج1، ص 98.
- 5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 30.
- 6 - محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص 98.
- 7 - محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية (بحوث ميدانية وتاريخية)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، مج3، ص

- كرفة:

كان لهم جمع وقرة، وبطونهم كثيرة وقد اعتمدت السلطة الحفصية على قبائل بني سليم في الشرق وبقايا الأثنج من كرفة في الغرب وذلك للتخلص من قبائل رياح وتطويقها،<sup>1</sup> ويذكر ابن خلدون<sup>2</sup> «أن كرفة نزلوا جبل الأوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حلالا متفرقة واتخذوه وطنان وربما يظعن بعضهم إلى تخوم الزاب» ومن أهم بطونها كما يذكر بنو محمد بن كرفة ويعرفون بالكلبية وأولاد سهيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبه، وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصحة وأولاد سرحان بن فاضل أيضا يعرفون بالسرحانية ومواطنهم بجبل الأوراس مما يلي زاب تهودا وأولاد نافث وكان الإقطاع السبيل الوحيد للحفاظ على موالاة هذه القبائل،<sup>3</sup> لكن فترة ضعف الدولة الحفصية التي بدأت منذ نهاية القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي مكنت رياح من التغلب ثانية على كرفة، وسيطرت على مجالاتها، مما جعل كرفة تنحصر في جبل الأوراس، الذي اتخذته وطنا لها.<sup>4</sup>

- دريد:

تولت رياسة هلال عند دخولهم إفريقية ولعبوا دورا واضحا في استقرار القبائل العربية بإفريقية،<sup>5</sup> وكانت دريد من أشد القبائل بأسا عند دخول العرب الهلاليين إلى إفريقية، يترأسها الحسن بن سرحان بن وبرة، استطاعت هذه القبيلة من السيطرة على المجالات الخصبة والممتدة من عنابة إلى جنوب قسنطينة، ثم

1 - محمد حسين، المرجع السابق، ج1، ص 98.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31-32 ج2، ص 692-693؛ مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 208.

4 - محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص 99.

5 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 208، وكان لهم دور كبير في إفريقية حتى مدحهم شعراؤهم منوهين بدورهم.

دريد ذات سراه البدو وللجود منقع كما كل أرض منقع الماء خيارها

تحن إلى أوطان قره يافتى لكن معها حملة دريد كان موارها

وهم عربوا الأعراب حتى تعرب بنوف المعالي ما ينفي قصارها

وتركوا طريق النار برهة وقد كان ما تقوى المطايا حجارها

حاولت التقدم جنوباً إلى أراضي الزاب،<sup>1</sup> ويذكر ابن خلدون<sup>2</sup> «أنها كانت بينهم وبين كرفة الفتة التي هلك فيها حسن بن سرحان، وكانوا بطوناً كثيرة منهم أولاد عطية بن دريد وأولاد سرور بن دريد وأولاد جابر الله من ولد عبد الله بن دريد».

#### - مشرق:

بعد أن قام الموحدون بنقل بطنين من مشرق، وهما عاصم والمقدم، إلى سهل تامنسا، ظلت بإفريقية ثلاث بطون وهي عياض والضحاك ولطيف،<sup>3</sup> أما عياض استقروا بجبل عجيسة وهو المطل على قلعة بني حماد بعد أن تغلبوا على قبائله البربرية ومنذ قيام الدولة الموحدية، أصبحت تتولى جباية الأموال وكانت رئاستها في القرن الثامن الهجري بيد كل من الخراج والمرتفع،<sup>4</sup> ومن أهم بطون عياض الزبر "بنو زبير" وأولاد صخر، وأولاد رحمة، والمهاية والخراج، والمرتفع وهم ثلاثة بطون، أولاد تبان ورياستهم في أولاد محمد بن موسى، أولاد حناس ورياستهم في بني عبد السلام، أولاد عبدوس ورياستهم في بني صالح، والخراج ورياستهم في أولاد زائدة بن عباس بن حفص.<sup>5</sup>

وعن مواطن تلك القبائل يقول ابن خلدون<sup>6</sup>: «فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بني حماد... وسكنوا هذا الجبل فطوله من المشرق إلى المغرب ما بين ثنية غنية والقصاب إلى وطن بني يزيد بن زغبة»، أما الضحاك فكانوا بطوناً كثيرة وفي بداية الدولة الموحدية تصارع على رياستهم أميران هما أبو عطية وكلب بن منيع وانتهى الأمر بانتصار كلب بن منيع وأخذ الرياسة مما أدى إلى رحيل أبي عطية إلى سجلماسة بالمغرب

1- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص99.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص31.

3- نفسه، ص33.

4- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص101.

5- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، صص 209-210.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص33.

الأقصى، فانتقلوا من الظعن إلى الاستقرار<sup>1</sup>، نازلين ببلاد الزاب وبمدنها، وهو ما سهل على الدواودة التغلب عليهم وعلى إخوانهم من قبائل عياض.<sup>2</sup>

أما لطيف فهم بطون كثير منهم اليتامى وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف، وذوو مطرف، وذوو أبي الخليل، وذوو جلال بن معافي، واللقامنة، وأولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان ومنهم أولاد براز بن معن ابن محيا، وإلى علوان ينسب بني مزني ولاة بسكرة والزاب،<sup>3</sup> وبعد أن قل جمعهم وافتقرت ملوكهم وفتكت بهم النزاعات الداخلية، وتغلبت عليهم رياح، وعجزوا عن الظعن استقروا ببلاد الزاب مثل الدوسن وتمودة وبادس.<sup>4</sup>

أما القبائل الملحقة بالأثبج مثل العمور كان عددهم قليل وفقدوا الرياسة فيهم واستقروا بالضواحي والجبال بين جبل الأوراس وبجل بني راشد من جبهة والحضنة والصحراء من جهة ثانية، وأهم بطونها قرة وعبد الله، وتطور مصيرهم نحو الانصهار داخل القبائل الكبرى،<sup>5</sup> ومهما يكن، فإن هذا القبيل الفسيفسائي التركيب انتمى إلى الأثبج بالولاء، وأصبح في العهد الحفصي خاضعا لسلطة الدواودة وإمارة بسكرة. ويمكن القول بأن قبيلة الأثبج التي كانت قوة في القرن الخامس الهجري والحادي عشر ميلادي، ضعفت عصبيتها في القرن الموالي نتيجة السياسة الموحدية، التي عملت على نقل بعض بطونها، والاعتماد على بقية القبائل المنافسة مثل رياح، وذلك للحد من تنقلاتها بين الصحراء والتل، وقد انتهى بها المطاف في الأخير إلى نزول قسنطينة والزاب والحضنة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص - ص 33-34، مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص210.

<sup>2</sup> - محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص101.

<sup>3</sup> - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 210؛ محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص101.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 34.

<sup>5</sup> - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 210.

<sup>6</sup> - محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص102.

## 2- زغبة:

هذه القبيلة حسب ابن خلدون<sup>1</sup> إخوة رياح أبناء أبي ربيعة بن هنيك بن هلال بن عامر، وتعتبر من بين القبائل الأولى التي دخلت إلى إفريقية بنواحي طرابلس وقابس، إلى غاية سنة (580هـ/1184م)<sup>2</sup> بعد أن استطاعت التغلب على الزناتيين من مغراوة وقتل زعيمهم سعيد بن خزرون، ثم دخلوا المغرب الأوسط، ولم يزالوا بتلك الحالة إلى أن غلب الموحدون على كل بلاد المغرب، وتحالفوا مع الموحدون وقاموا مع بني يادين من زناتة بحماية المغرب الأوسط.<sup>3</sup>

ونتيجة لهذه التطورات استقرت تلك القبائل ما بين المسيلة وتلمسان في القفار، وبعد سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط<sup>4</sup>، دخلت زغبة التلول، وباعتبارها حليفة زناتة استولت على العديد من المجالات وأخضعوا أهلها وفرضوا عليهم الإتاوات، ولكن ما أن تقوى حكم زناتة بتلمسان حتى دفعت زغبة عن التلول، فعادة إلى الصحراء، ولم تتمكن من التقدم إلى التل والتحصل على أقطاعات إلا في فترات الضعف،<sup>5</sup> وقد كانت لزغبة عدة بطون أهمها: بنو يزيد عامر وحسين وملك وعروة.

### - بنو يزيد:

نظرا لكثرتهم ومكانتهم وقوتهم، أقطعهم الموحدون المناطق التلية الخصبة، من أرض حمزة بناحية بجاية<sup>6</sup>، وما إن ضعفت دولة بني عبد الواد حتى تولت هذه القبيلة جمع الضرائب من القبائل البربرية مثل صنهاجة وزواوة،<sup>7</sup> ومن أهم بطونهم، حميان بن عقبة بن زيد، وجواب وبنو كرز وبنو موسى والمرابطة والخشنة وبنو سعيد.<sup>8</sup>

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص54.

2- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص102.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص54؛ محمد سليمان الطيب، المرجع السابق، مج3، ص471.

4- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص224.

5- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص103.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص55؛ محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص103.

7- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص225؛ محمد سليمان الطيب، المرجع السابق، مج3، ص472.

8- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص55-56.

-بنو عامر:

كانوا في البداية على حدود إفريقية ، ثم انتقلت جنوبا إلى تلمسان تحالفت مع بني يزيد لمحاربة رياح<sup>1</sup> في عهد المستنصر بن أبي حفص<sup>2</sup> ويقول ابن خلدون<sup>3</sup>: «فكان بنو يزيد هؤلاء يتولون كيرها لمكان الجوار، وكان بنو عامر أحلافهم فيها وظهراءهم، وكان لهم مظاهرتهم وضيعة من الزرع». وكان بزغبة بطون أخرى كحصين التي كانت مواطنهم تقع غربي بني يزيد إلى جبل التيطري ونواحي المدينة، أما بطون مالك بن زغبة كانت مواطنهم بين سعيدة ومدينة<sup>4</sup>.

3-رياح:

يقول ابن خلدون<sup>5</sup> كانت هذه القبائل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم أفريقية، وينتسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نھليك بن هلال بن عامر، وكانت بطون رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى القيروان إلى الزاب إلى المسيلة وورقلة ولهم أقطاع بالحصنة ونواحي قسنطينة<sup>6</sup>، وبعد أن تمكنت من القضاء على القبائل المنافسة نحو الغرب الأثبج وزغبة سنة (466هـ/1073م) وعدي سنة (499هـ/1105م)، انفردت برئاسة بني هلال خلال القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي، نازلة بالسهول التلية الحصبة<sup>7</sup>، ومن أهم بطونها:

1- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص103.

2- هو محمد بن زكريا، تولى الحكم بعد وفاة أبيه أبي زكريا الحفصي (647هـ/1249م) لقب بالمستنصر بالله الحفصي، ينظر: محمد العروسي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص-ص170-173.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص56.

4- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص226.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص43.

6- الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص52؛ مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص212.

7- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص105.

- مرداس:

هم أكثر قبائل رياح بطونا<sup>1</sup>، كانت مواطنهم بضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب، حيث استقر أولاد مسعود وأولاد عساكر وأولاد سباع من الذواودة بجبل الأوراس والزاب وبلاد الحضنة وهي نقاوس ومقرة والمسيلة.<sup>2</sup>

- بنو مسلم:

يقول الوزان الفاسي<sup>3</sup>، أن بنو مسلم تسكن مفازة المسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية، ويأخذون أتوات من المسيلة وبعض القرى، بالإضافة إلى بطون أخرى، كبنو عامر، وبنو علي.<sup>4</sup>

## 2- حركة التوطن الهلالي في المسيلة:

### 1- الاستقرار الهلالي والتغيرات الديمغرافية في المنطقة:

يقول ألفرد بل منذ القرن الحادي عشر الميلادي (5هـ) ستصبح القبائل الهلالية عنصراً جديداً في سكان بلاد المغرب، ويسكنون هم وذريتهم، ويكونون علاقات مستقرة مع البربر حيث يمتزج العنصر العربي شيئاً فشيئاً مع العنصر البربري، وبذلك نجد معظم سكان بلاد المغرب هم ثمرة امتزاج وثيق في عصور مختلفة بين عناصر بربرية وعناصر عربية.<sup>5</sup>

ولقد اتفق معظم المؤرخين على أنه بعد موقعة سببية كان الانتشار الواسع للقبائل الهلالية في المغرب الأوسط، بما فيها إقليم الحضنة.<sup>6</sup>

1- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص-ص 212-213. ويذكر أن لمرداس بطون كثيرة منها الذواودة، وضبر بن عقيل بن

مرداس، وسلم بن عقيل، وعامر بن يزيد بن مرداس، وكانت رئاسة رياح في مرداس ثم صارت للذواودة.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص46.

3- الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1 ص51.

4- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص-ص 214-215.

5- ألفرد بل، المرجع السابق، ص 214.

تذكر معظم المصادر التاريخية أن هذا الامتزاج نتيجة المصاهرة بين القبائل الهلالية والبربرية وما يجسد ذلك مصاهرة المعز بن باديس لقبائل رياح عند دخولهم إفريقية، ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 211.

6- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 170؛ محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص-ص 39-40.

وبذلك أحدثت تغيرات ديموغرافية بالمنطقة لجلبها عناصر جديدة اندمجت تدريجيا مع السكان الأصليين هذا ما أدى إلى إعادة تشكيل الخريطة البشرية المكونة للمجتمع الحضني.<sup>1</sup>

لكن من الصعب على الباحث رسم خريطة تحدد بدقة أماكن تواجد القبائل الهلالية بالمسيلة خاصة بعد الاختلاط والامتزاج الاجتماعي الذي حدث بينهم وبين سكان المنطقة من البربر، بالإضافة إلى الانتشار الواسع لتلك القبائل في أراضي المنطقة، وبذلك فإن دراسة مجالات استقرار تلك القبائل لن يكون على درجة كبيرة من الدقة ولا يمكن الجزم إلا بأماكن استقرار بعض القبائل التي اتفقت المصادر التاريخية التي تعود إلى الفترة موضوع الدراسة على مكان استقرارها.<sup>2</sup>

يعتبر ابن خلدون آخر كاتب يحدد لنا وضعية قبائل الحضنة ومكان تواجدهم، وليس لدينا معلومات عن الوضع بعده ولكن من الممكن ربط صلة بين القبائل الحالية وتلك القبائل التي تحدث عنها،<sup>3</sup> حيث ذكر ابن خلدون<sup>4</sup> أن منطقة الحضنة خضعت لسلطة الأثبج ورياح بقوله «أن رياح غلبوا بقايا الأثبج فنزلوا قرى الزاب، وقعدوا عن الطعن، وأوطنوا بالقرى والآطام»، وقد أوكلت الدولة الحمادية لتلك القبائل جباية الضرائب بالقسم الشرقي من الأوراس وقسم كبير من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية.

وقد نزلت فروع كثيرة من الأثبج منطقة الحضنة وهذا ما يبينه ابن خلدون<sup>5</sup> بقوله «فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بين حماد وملكو قبائله وغلبوهم على أمرهم»، وبذلك كانت مجالات الأثبج في الزاب الشرقي ثم تقدمت فوج أخرى إلى الزاب الغربي وشط الحضنة،<sup>6</sup> وفي أواخر القرن الرابع عشر ميلادي والثامن

<sup>1</sup> - مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، تيزي وزو، 2011، ص 132؛ محمد حسن، المرجع السابق، ج 1، ص 38.

<sup>2</sup> - محمد سليمان الطيب، المرجع السابق، مج 3، ص 613.

<sup>3</sup> - Despois, *op.cit*, p 119.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 31.

وقد استحوذت القبائل الهلالية على جميع الأرياف وسكنوها، وفرضوا على كل مدينة غرامات.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 33، وقد ذكر أيضا "عندما اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وهو جبل عجيسة وبه لهذا العقد قبائل عياض من عرب هلال"، نفسه، ص 227.

<sup>6</sup> محمد سليمان الطيب، المرجع السابق، مج 3، ص 448.

هجري كان النصف الغربي من الهضاب العليا القسنطينية ومنطقة الحضنة محل إقامة قبائل رياح التابعين للدواودة الذين استمروا في التنقل على ظهور جمالهم ينتجعون في فصل الشتاء في الجنوب وعند قدوم فصل الربيع يرجعون بمواشيهم إلى الشمال يقول ابن خلدون «امتاز الدواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب»<sup>1</sup>.

وقد شكل أولاد سباع وهم فرع من الدواودة المجموعة الغربية التي توسعت سلطتهم من الزاب الغربي حتى ضواحي بجاية وكانت مجالاتهم ليس فقط في إقليم الحضنة لكن أيضا الجبال التي تحيط بها من الشمال والشمال الشرقي مع سكانها الذين يشكلون خليطا من العرب والبربر.<sup>2</sup>

يذكر ابن خلدون<sup>3</sup> «فزحفوا فغلبهم أولا مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضي، وتولوا الوطن بما فيه ثم تلاقت الدولة أمرهم بالاصطناع والاستمالة واقطعوهما ما غلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب، ثم الأمصار التي بالبسيط الغربي من جبل الأوراس المسمى عندهم بالحضنة وهي نقاوس والمسيلة»، ولقد تكلم الوزان<sup>4</sup> - رغم تأخره - عن قبائل رياحية أخرى سكنت المسيلة بقوله: «سكن مسلم مفازة المسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية ويأخذون أتوات من مسيلة وبعض القرى»، أما قبائل زغبة فكان تواجدها قليل بالمنطقة وهذا حسب ابن خلدون «واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - روبرو بونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 325.

<sup>2</sup> - فارس كعوان، "مساهمة في دراسة أصول بعض أعراس الحضنة"، دفاثر الملتقى، المسيلة، 2009، ص 48. (مداخلة غير منشورة)،

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.

<sup>4</sup> - الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 51.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 54.

وبطبيعة الحال تواجد القبائل الهلالية بالمنطقة أدى إلى تشكل ما يسمى بأعراس الحضنة، والتي تعود أصولهم إلى تلك القبائل لكن معظم المعلومات حولهم منقولة عن روايات شفوية، التي تتفق مع التاريخ حول ذلك، مع اختلاف في التفاصيل،<sup>1</sup> ومن بين تلك القبائل أولاد ماضي التي تمتد أراضيهم لتشغل الجزء الأكبر من أراضي المنطقة الممتدة بين المسيلة وبوسعادة وهي قبيلة محاربة لعبت دورًا هامًا في تاريخ المنطقة.<sup>2</sup> وحسب ابن خلدون أن أولاد ماضي ينحدرون من ماضي بن مقري الهلالي قائد قره وهي بطن من بطون الأثنج<sup>3</sup>، والذي استقر ببرقة خلال الهجرة الهلالية الثانية وأقامت هذه القبيلة في البداية في إقليم الزاب ثم استقرت بعدها بمنطقة الحضنة وبذلك فرضوا سيطرتهم على الحضنة الغربية.<sup>4</sup>

ويذكر ابن خلدون<sup>5</sup> أيضا أن أولاد ماضي في عهده كانوا مقيمين مع أولاد فارس وأولاد عزيز بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب، وتمتد أراضيهم غربا إلى مواطن غمرة «وهم في جوار رياح وتحت أيديهم، وخول لأولاده وخصوصا من الذواودة المتولين مواطنهم بالمجال»، ونتيجة تسلط الذواودة عليهم فقد قرروا الرحيل للإقامة في الحضنة الغربية خلال القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي، فيما بعد تخلص أولاد ماضي من سيطرة قبيلة الذواودة حسب الرواية الشفوية.<sup>6</sup>

## 2- علاقة الهلاليين بالحماديين:

من المؤكد أن القبائل الهلالية لم تصل إلى المغرب الأوسط إلا بعد عدة سنوات من زحفها على إفريقية، لأنها وقفت عند إمارة المعز بن باديس هذه السنوات، إلى أن انتصرت على هذا الأخير في معركة حيدران<sup>7</sup> واقتحمت القيروان.

<sup>1</sup> - Jean Despois, *op.cit*, p. 119.

<sup>6</sup> - Féraud, *op.cit*, p. 336.

<sup>3</sup> - يذكر ابن خلدون أم ماضي كان متزوجا من الجازية أخت حسن بن سرحان قائد الأثنج، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 21.

<sup>4</sup> - Charles Féraud, *op.cit*, p337.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 35.

<sup>6</sup> - Jean Despois, *op.cit*, p 119.

<sup>7</sup> - حيدران: إسم جبل معروف بمقربة من القيروان، ينظر: التجاني، المصدر السابق، ص20؛ وفي هذا المكان التقى المعز بن باديس بالقبائل الهلالية. يذكر ابن أبي دينار «ولما قربوا من إفريقية خرج المعز في جمع من صنهاجة ووزناته فاجتمع له عسكر عظيم فالتقى

وبذلك وجدت تلك القبائل الطريق مفتوحا أمامها إلى المغرب الأوسط،<sup>1</sup> لكن لم يقدم لنا المؤرخون إلا أخبار قليلة عن الحوادث التي وقعت في المغرب الأوسط، منذ دخول القبائل الهلالية إلى المنطقة<sup>2</sup>، ما يذكر أنهم دخلوا من ثلاث جهات، الجهة التلية حيث تقطن كتامة، وبضعف نفوذ صنهاجة، وبذلك تقدموا إليها من ضواحي باجة، واستوطنوا جهة القالة وعنابة وقسنطينة<sup>3</sup>، أما الجهة الثانية هي جهة الهضاب ما بين الأطلس التلي والصحراوي، حيث الوجود الحمادي، وكان الدخول إليها من ناحية الأريس<sup>4</sup> وانتهوا إلى سهول الحضنة، حيث حاصروا المسيلة والقلعة، أما الجهة الثالثة، جهة الصحراء، أين تتواجد قبائل زناتة الخاضعة للحماديين، وتقدموا إليها من ناحية سببية<sup>5</sup> إلى تبسة.

يمكن القول بأن الحماديين أصبحوا القوة الرئيسية بالمغرب الأوسط بعد الزحف الهلالي على إفريقية التي تمكنت من إضعاف الزناتيين، علما أن زناتة العدو التقليدي لصنهاجة قد تغلب عليها المرابطون<sup>6</sup> وتمكن المعز من القضاء على نفوذها بالمغرب الأوسط وبالحضنة وطنها التقليدي ودفها إلى الصحراء<sup>7</sup> وقد تمكن الحماديين في البداية من التأثير على الهلاليين وجعلوهم أداة طيعة لتحقيق أهدافهم السياسية، حيث

---

=معهم وكانت بينهم مصاف فخذلته زناتة وانخرمت صنهاجة حتى لم يبق معه إلا عبده»؛ ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 59؛ ويقول التجاني «وقعة حيدران في سنة أربع وأربعين فإنها أوهنت بطشه وثلث عربته وأحاط الأعراب بالقيروان وانبسوا في البلاد». ينظر: التجاني، المصدر السابق، ص 18.

1 - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 178.0

2 - عبد الحميد خالد، المرجع السابق، ص 120.

3 - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص 42، ويضيف أنهم انتشروا في سهول الحضنة وفي ضواحي المسيلة حيث توجد أراضيها الزراعية الغنية وأطلقوا فيها قطعانهم تفسد الزرع وتآكل الأخضر.

4 - الأريس: مدينة وكورة بإفريقية كورتها واسعة، بينها وبين القيروان ثلاث أيام من جهة المغرب، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 136.

5 - سببية: ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 185.

1 - يقول ابن خلدون «هم المثلثون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدها في مجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها.... صاروا ما بين بلاد البربر وبلا السودان... تعددت قبائلهم من كذالة فلمتونة فمسوقة...»، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 241.

7 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 159.

وجهوهوم لحرب زناتة وإضعافهم،<sup>1</sup> إلا أن القبائل الهلالية تحالفت مع قبائل زناتة، وعاثوا فسادا في الحضنة، مما جعل بلكين بن محمد<sup>2</sup> (447-454هـ/1055-1062م) يترك لهم الأرياف، وأدخلهم في صفوف جيشه اتقاء لشركهم.<sup>3</sup>

إلا أن العلاقات الحمادية الهلالية بقيت معقدة، ففي بعض الأحيان نجد بني هلال في صفوف الجيش الحمادي، كما حدث في غزو المغرب الأقصى<sup>4</sup> الذي قاده بلكين بن محمد، وهجوم الناصر بن علناس<sup>5</sup> على إفريقية، ثم نجدهم في أيام نفس الأمير يتحالفون مع زناتة ويحاربون بني حماد.<sup>6</sup> وقد استطاع الناصر بن علناس أن ينتهز فرصة الشقاق والنزاع الذي حدث بين القبائل الهلالية، إذ انفصلت قبائل عدي والأثبج عن قبائل رياح وزغبة وبطون سليم من بني عوف فاستغل الناصر هذه الفرصة

<sup>1</sup> - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 41.

بخصوص الحرب بين زناتة والقبائل الهلالية يقول الهادي روجي إدريس: لم يستطع الأعراب الرحل الزناتيون الهلاليون التعايش في إفريقية فقد أجلى بنو هلال الزناتيين من جنوب إفريقية إلى جنوب المغرب الأوسط أمثال بن غمرت الذين أجبروا على الإقامة في بعض القرى الواقعة جنوب المسيلة"، ينظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 288. أما رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 55. يذكر أنه في سنة (450هـ/1059م) حارب بلكين زناتة بمساعدة قبيلتين هلاليتين: الأثبج وعدي فانتصر بلكين على أعدائه.

<sup>2</sup> - بلكين بن محمد بن حماد (447-454هـ/1055-1062م) كان جندياً قضى حياته كلها في الحروب، كان شجاعاً، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 142؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 53.

<sup>3</sup> - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 159؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 178.

<sup>4</sup> - يذكر ابن خلدون سبب توجه بلكين بن محمد إلى المغرب الأقصى بقوله «وكان بلكين كثيراً ما يردد الغزو إلى المغرب، وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض نحوهم سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وفر المرابطون إلى الصحراء، وتوغل بلكين في ديار المغرب، ونزل بفاس»، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.

<sup>5</sup> - الناصر بن علناس تولى الحكم سنة (454هـ/1062هـ) إلى غاية (481هـ/1089م)، في عهد شهد المغرب الأوسط أحداث كثيرة أهمها تأسيس مدينة بجاية، ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 458؛ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 161.

<sup>6</sup> - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 119؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 179.

وسعى لضم قبائل عدي والأثبج إلى صفوفه، وسرعان ما اعترف به سلطاناً على القيروان وسوسة وسفاقس<sup>1</sup> وتونس وقد امتدت سيطرته على تلك النواحي<sup>2</sup>.

ويذكر المؤرخون أن الجفاء اشتد بين الناصر بن علناس أمير الدولة الحمادية وبين تميم بن المعز<sup>3</sup> أمير الدولة الزييرية فتجاذب الطرفان بطون بني هلال، وتحالف كل منهما مع فريق منهم<sup>4</sup> وبالتالي كانوا يرون أن في إمكانهم ترويض هذه القبائل واتخاذها حلفاء للقضاء على ما بقي من نفوذ تميم بن المعز في إفريقية، ومما يزيد من شعور بني حماد بالتفوق على بني زيري، أن الرقعة الجغرافية التي اتجهت إليها هجرة العرب كانت محصورة بين المناطق الجنوبية الشرقية وذلك في الوقت الذي كانت فيه مملكتهم تستقبل مهاجرين من الأعيان والعلماء من إفريقية ممن سوف يساهمون في إثراء عمراتها وحضارتها<sup>5</sup>.

كان الناصر بن علناس يفكر في غزو المهديّة، آخر معاقل تميم بن المعز<sup>6</sup>، فيذكر ابن الأثير أن سبب هجوم الناصر على المهديّة هو أن الأمير الزيري سمع بأن «الناصر يقع فيه في مجلسه ويذمه، وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهديّة وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزنانة وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة»<sup>7</sup>.

1 - سفاقس: مدينة في نواحي إفريقية وهي على ضفة الساحل بينها وبين المهديّة ثلاث أيام وبين سوسة يومان وبين قابس ثلاث أيام وهي على البحر ذات سور، وبها أسواق كثيرة ومساجد وجامع... وإلى القيروان ثلاث أيام ومنها إلى المهديّة يومان، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص 223.

2 - محمد سليمان الطيب، المرجع السابق، مج3، ص 453؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص-ص 178-179.

3 - أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد أبو منقوش، ولاه أبوه المعز بن باديس المهديّة سنة (445هـ/1053م) وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وقد استفحل أمر العرب ملك إفريقية بعد أبيه، ينظر: ابن خلكان، المصدر

السابق، ج1، ص 304؛ ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص-ص 21-22.

4 - عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 120.

5 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص-ص 164-165.

6 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 49.

7 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 101؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 122؛ إلا أن ابن خلدون ذكر أن سبب هجوم الناصر على إفريقية «هو أن قبيلة الأثبج التي كانت تحارب قبيلة رياح طلبت منه المساعدة فأجابها ونحّض إلى مظاهرتها في جموع من زنانة وصنهاجة حتى نزل الأريس»، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230؛ وكتعليق على رواية ابن خلدون يذكر: رشيد بورويّة، المرجع السابق، ص 62. أن رواية ابن الأثير أقرب من الحقيقة من رواية ابن خلدون، لأن الأمير الزيري تميم بن

وبطبيعة الحال كان تميم يعلم بما يخطط له الناصر، فأرسل من جهته في طلب أمراء رياح الذين كانوا يتمركزون في ضواحي قسنطينة والمسيلة والزاب،<sup>1</sup> مهما كان الحال ففي سنة (457هـ/1065م)، خرج الناصر «في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثبج» كما ذكره ابن عذارى<sup>2</sup>، وعلى قول النويري<sup>3</sup>، كان الأمير الزيري تميم قد أرسل من جهته إلى أمراء رياح فأحضرهم إليه، وقال لهم: «أنتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع أكثرها في البحر لا يقاتل من البر إلا من أربعة أبراجه يحميها أربعون رجلاً، وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم وإلا بلادكم»، فقال له أمراء الأعراب: «إن الذي قاله السلطان حق ونحب منك المعونة بالعدة»، فالتقى الجمعان بسببية سنة (457هـ/1065م) كما ذكر ابن خلدون<sup>4</sup> فانهمز الناصر بن علناس وحسب ابن عذارى<sup>5</sup> «قتل من أصحابه خلق كثير ونهبت أمواله ومضاربه وقتل أخوه القاسم بن علناس».

= المعز الذي خلف أباه سنة (454هـ/1062م)، ما كان يملك إلا المهديّة لأن صفاقس وقسنطينة وتونس كانت خاضعة للناصر، الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى القضاء النهائي على ملك بني زيري في بلاد المغرب، أما جورج مارسيه يرجع سبب ذلك إلى أن وفد من الأثبج طلب من الناصر مساندهم ضد عرب رياح، الذين يحتلون الجزء الأكبر من المملكة الزيرية، فتلقى سعيهم هذا بحماسة، لأن الحرب مع عرب رياح يعطيه فرصة التدخل في شؤون مملكة المهديّة، وضم مدن أصبحت بدون حكام، وربما محاربة ابن عمه في عقر داره لتصفية الحساب القديم، ينظر: جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 228.

1 - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص 49.

2 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 299.

3 - النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 132، يضيف النويري أن المعز قبل إعانتهم، فأعطاهم المال والسلاح، فجمع أمراء بني رياح جمعهم وتحالفوا مع زغبة وسليم واتفقوا جميعاً على محاربة الناصر بن علناس، يذكر إسماعيل العربي من جهة أخرى أرسل المعز بن عطية الزناتي إلى العناصر الموالية للناصر برسالة مماثلة، فوعده أن ينهزموا حينما يلتحم القتال وتشتد المعركة، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 165.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 230.

5 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 299؛ وقد ذكر النويري أن عدد القتلى في هذه الواقعة بلغ أربعة وعشرين ألف وصارت الغنائم كلها للعرب، وبهذه الواقعة تم لهم ملك البلاد. ينظر: النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 123، في حين أن ابن خلدون يذكر أنه بعد معركة سببية «لجأ إلى قسنطينة في إتباعه، ثم لحق بالقلعة في فل من عسكرة، لم يبلغوا مائتين»، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 230.

وبذلك تمثل هذه المعركة تحولاً حاسماً في النضال التقليدي بين فرعي بني زيري الذين استتب لهم الأمر في المغرب، وضمن الهلاليون لأنفسهم إفريقية والمغرب، وما كانوا ينشدونه لأنفسهم من الاستيطان والسيطرة ولو أن ذلك لا يعني الاستقرار والسلام لهذه البلاد،<sup>1</sup> بعد معركة سببية تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب الأوسط عامة والحصنة خاصة، حيث تمكنت قبيلة رياح من محاصرة الناصر بن علناس في القلعة ثم استولوا على طبنة والمسيلة وشرعوا في تحريب بواديها ودخلوا المسيلة وخربوها ونهبوا أسواقها وطرّدوا سكانها وخرّبوا كل القرى والمدن المنتشرة في سهل الحصنة<sup>2</sup> فتركوها قاعاً صفصفاً أفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد<sup>3</sup> حسب ابن خلدون.

وكذلك هجر أمراء إفريقية والمغرب الأوسط من صنهاجة وولاة أعمالها إلى الأمصار<sup>4</sup> «وملكوا عليها الضواحي يتحينون جوانبها ويقعدون لهم بالمرصاد يأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم، ولم يزل هذا دأبهم حتى هجر الناصر بن علناس وسكنى القلعة، واختط بالساحل مدينة بجاية ونقل إليها ذخيرته وأهداها لنزله، ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من هذا الجبل وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلم واستقروا بها بعد، وتركوا القلعة، وكانوا يحتصون الأثنج من هؤلاء الأحياء بالرئاسة سائر أيامهم، ثم افترق جمع الأثنج وذهبت بذهاب صنهاجة دولتهم».<sup>5</sup>

1 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 167.

2 - محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص-ص 108-109؛ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 167؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 65؛ صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 50؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، مج 1، ج 1، ص 622.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 27.

4 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 167؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 65.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص-ص 27-28.

## 3- أثر القبائل الهلالية في تغيير بنية المدينة:

## 1- البنية الاجتماعية:

لقد استقرت القبائل الهلالية ببلاد المغرب بعد عناء شديد وحد سيوفهم وظلت أمواجهم المتوالية، تندفق عليه طلية عقود واعتبرت الهجرة الهلالية حدثاً تاريخياً وحركة اجتماعية هامة بالمغرب، بالنظر إلى النتائج المختلفة والآثار المترتبة عنه، والتي شكلت تحولا جذرياً، وسم حياة البربر بالسماة العربية الإسلامية ذلك أن ملوك البربر بدءوا يستعيدون ميراثهم السياسي ويفصلون عن السلطة في المشرق، فبلادهم قبل مجيء القبائل الهلالية إذا استثنينا الإسلام، بربرية اللغة والعادات في أعماقها، وكانت تسترجع شيئاً فشيئاً التقاليد البربرية، كما تخلصت من سلطان المشرق.<sup>1</sup>

ويتفق المؤرخون على أن الانتشار الكبير لهذه القبائل في المغرب الأوسط كان بعد موقعة سببية وهذا ما تم ذكره سالفاً، مما جعل إقليم الحضنة فضاء واسعاً لقبائل رياح والأثبج، إلا أن معلوماتنا قليلة حول آثار هذه القبائل على المنطقة ما عدا ما ذكره ابن خلدون<sup>2</sup> عن تعرض بعض مدنها للتخريب كطبنة والمسيلة والقلعة «فتركها قاعاً صفصفاً أفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير». وهذا ما أدى بالكتابات التاريخية لوصف الحديث "بالكارثة" التي حلت ببلاد المغرب وعلى رأسهم ابن خلدون<sup>3</sup> بقوله: «وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتو عليه».

وبوصول تلك القبائل لمنطقة الحضنة عاشت حياة التنقل وراء قطعانها بين سهول الحضنة والصحراء<sup>4</sup>، لعدم قدرتهم على الاعتماد على موارد الإقليم القاطنين فيه، فيضطرون لترحال بحثاً عن الكلاء

<sup>1</sup> - بوخالفة عزي، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص73.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص27.

<sup>3</sup> - نفسه، ص20.

<sup>4</sup> - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص43.

وطلباً للمراعي، فكان السكان يرحلون صيفاً وشتاءً إلى جهات تتوفر فيها مصادر الحياة، وهذه الحركة المستمرة كثيراً ما يترتب عليها حروب وفتن نظراً لقيام قبيلة بسلب مراعي قبيلة أخرى وأراضيها.<sup>1</sup> وقد كانت هذه القبائل تسكن بيوتا منسوجة من الصوف وشعر الماعز والوبر تعرف بالخيمة وهي خفيفة يسهل حملها عند التنقل وعند الحرب، وهذا النوع من أسلوب الحياة غير مألوف لدى سكان منطقة الحضنة،<sup>2</sup> كما كان لدى القبائل الهلالية أعداداً كبيرة من الخيول العربية الأصيلة التي جلبوها معهم عند دخولهم إلى بلاد المغرب<sup>3</sup>، وكانوا يتفاخرون بصفاء أعراقها، ويركبوها للوغاء وفي مواكب الاحتفالات والفرح، ويكسبون العديد من الأنعام لحمل أثقالهم والانتفاع من لحومها وألبانها وأصوافها وجلودها.<sup>4</sup> ولكل قبيلة شيخ يتولى إدارتها ويكون صاحب القول الأول في شؤونها وإليه يلجأ أفراد القبيلة في كل أمر من أمورها، حيث تتوفر فيه بعض الصفات أهمها كبر السن، الكرم، الفصاحة، الشجاعة<sup>5</sup>، وكانت العلاقات بين القبائل الهلالية تارة ودية وتارة متوترة سمتها الحرب، بسبب التنافس على المراعي ومصادر المياه لا سيما في الصحراء.<sup>6</sup>

ولم يحافظ على حياة التنقل إلا القبائل القوية ذات أعداد كثيرة ما يمكنها من قهر أعدائها من القبائل الأخرى سواء بربرية أو عربية، أما القبائل الضعيفة بعد تعرضها للانحزام في الحروب التي خاضتها فإنها كانت تلجأ إلى المناطق الجبلية أو تجعل لنفسها قرى تعيش فيها على الزراعة وتربية المواشي، وقد تشابهت حياة القبائل الهلالية بحياة قبائل زناتة البربرية التي كانت تعيش حياة الترحال قبل مجيء تلك

1 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 221. يذكر أن القبائل البربرية كانت أكثر دراية ومعرفة بأماكن المراعي والكأ والعشب ومصادر المياه لأن هذه أوطانها.

2 - سليمان الطيب، المرجع السابق، مج3، ص 507.

وعن مميزات الخيم الهلالية ينظر: جورج مارسيه، المرجع السابق، ص237، حيث يعتقد أن الخيام الهلالية كانت تختلف عن خيام البربر.

3 - حسن خضري، المرجع السابق، ص266. حيث بين لنا مهارة تلك الخيول في الدفاع عن المهديّة وزولية سنة (1087هـ/480م) ضد حملة البيزين.

4 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص43.

5 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص222.

6 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص-ص43-44.

القبائل، وذلك نظراً لتطابق نمط معيشتهم مع طبيعة السهوب والصحراء<sup>1</sup>، فقد كانوا على عهد ابن خلدون في حالة أخذ «وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران»<sup>2</sup>.

يرى علاوة عمارة أن استقرار القبائل الهلالية بإقليم الزاب (والمنطقة هي إحدى مجالات الزاب)، نقل المنطقة من خصوصيتها المتعددة الأجناس إلى مجال هلالي أساساً، غلب عليه مفهوم القبيلة بمعناها التقليدي، وجعلها معقل أساسي لجماعات متنافسة لا تعرف إلا لغة الغلبة والسيف، ويضيف أن هذا الوجود الهلالي بالمنطقة قد أضاف إليها عنصراً اجتماعياً جديداً، أعاد تكوين خارطة اجتماعية ريفية، اندمجت تدريجياً مع الحواضر ذات الأصول البشرية والثقافية<sup>3</sup>.

فاستقرار القبائل الهلالية في منطقة الحضنة لم يخلوا من عمليات السلب التي كانت تقوم بها فيذكر الوزان الفاسي<sup>4</sup> في وصفه مدينة المسيلة «الأسوار المحيطة بها جميلة، بخلاف الدور فإنها قبيحة، والسكان كلهم صناع أو فلاحون، يرتدون لباساً رديئاً لفقيرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم». وبلا شك فإن ذلك يرجع إلى خصوصية المجتمع البربري الحضني الرفض لوجود القبائل الهلالية بالمنطقة، مما أدى إلى خلق حواجز التي تحول دون الاندماج والتقارب المطلق بينهما فالمكائد والدسائس من كلا الفريقين ظلت تلون الأحداث وكل مسعى تجاه الآخر، لأن النزعة الإقليمية لدى القبائل البربرية التي تسكن المنطقة ظلت قائمة وتطفو من حين لآخر، هذا ما أدى إلى ظهور الفتن والاضطرابات بالمنطقة ولم

1 - عبد المجيد خالدي، المرجع السابق، ص 189.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 03.

3 - علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 10، 2009، ص-ص 24-25. ويذكر أن الباحث التونسي صالح بعيزق في رسالة دكتوراه بعنوان بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، يعتبر أن هزيمة بني حماد في معركة سببية بمثابة انتصار للبداءة على حياة الاستقرار، كل هذا أدى إلى تغيير البنية الاجتماعية لبلاد المغرب وساهم في فرار السكان من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية، ينظر: نفسه، ص-ص 16-17.

4 - الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 52.

يكن الهلاليون دائماً مصدراً لإثارة الفتن إلا أنهم لم يتمكنوا من التخلي عن عقليتهم، وظلوا محافظين عليها، وطبعاً هذا الأمر تحكمه الأحداث وتوجهه ويبقى مرهوناً بالتطور التدريجي للأجيال.<sup>1</sup>

بالرغم من الدور السلبي للقبائل الهلالية بالمنطقة، إلا أنهم ساهموا في إثراء الحياة الاجتماعية، وقد ساعد على ذلك امتزاج وانصهار العنصرين ذلك الاتفاق والتطابق والتشابه في أساليب الحياة،<sup>2</sup> وقد كان لهم الدور الكبير في تعريب منطقة الحضنة وتخفيف حدة اللهجات المحلية خاصة في القرى المحاطة بالحضنة التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية حسب قول السيد عبد العزيز سالم.<sup>3</sup>

وقد لعبت القبائل الهلالية دوراً حاسماً في الحياة الاجتماعية للمنطقة، وذلك لدخول عناصر سكانية جديدة إلى هيكل المجتمع، حيث تميزت بمعارضة قيام النظام والحكومة المركزية والضرائب،<sup>4</sup> وليس بعيداً أن تتأثر تلك القبائل البربرية بالعادات والتقاليد العربية كالشجاعة والوفاء والكرم، وتبدوا روح القبيلة وترابطها واضحاً فيما يعرف بالجواري، فقد كان العرف المتبع بين القبائل العربية إجارة من يستجير بالقبيلة إذا تعرض لخطرها، وكان الجوار معترفاً به قبل الهجرة نحو بلاد المغرب، لكنه أصبح جزء من العرف السائد بين القبائل الهلالية وقد أخذت به القبائل البربرية.<sup>5</sup>

كما تركت القبائل الهلالية أثر اجتماعي بالغ الأهمية، تمثل في ظاهرة الحلف، ومن أمثلة ذلك تحالف عرب الأثنج ورياح لمقاومة استيلاء الموحددين على إفريقية في (547هـ/1152م) متناسين ما بينهم من نزاعات،<sup>6</sup> وقد اتضح للقبائل البربرية أنهم أصبحوا في حاجة إلى مؤازرة العرب لهم، ومن ثم قطعهم الأرض، وجاءت مرحلة من التفكير في طرق العيش معاً في سلام، ويبدو جلياً، أن المصالح هي التي جعلت

1 - بوخالفة عزي، المرجع السابق، ص91.

2 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص208.

3 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص-ص 672-673.

4 - عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص-ص 196-197.

5 - عبد الفتاح غنيمي، المرجع السابق، ج4، ص217.

6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص28؛ مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص248.

القبائل العربية والبربرية تتحالف ضد قبائل أخرى متحالفة عربية وبربرية، فقد حارب المنصور بن الناصر زناتة (غمرت، ومغراوة) المتحالفتين مع الأثبج.<sup>1</sup>

كل هذا التقارب والتأثير الذي تم بين العنصر العربي والبربري أدى إلى تكوين مجتمع مغربي ذات طابع خاص، حيث يذكر ألفرديل أنه بالرغم من أن غزوات بني هلال قد أتت لهذه البلاد بالخراب والفضوى في البداية فإنها أعطت سكانها عنصراً عربياً انصهر في المجتمع البربري،<sup>2</sup> ومع مرور الوقت كان التمازج الاجتماعي بين العنصرين يزداد تعمقاً، مما جعلهم يتقاسمون بيئة جغرافية واحدة ويعملون من أجل استمرار الحياة فيها،<sup>3</sup> وبذلك كان استقرار القبائل الهلالية في هذا الإقليم مظهراً من مظاهر التغير الاجتماعي حيث انتشرت مفاهيم اجتماعية ذات أصول عربية أتت ثمارها في ذلك الرصيد الحضاري والاجتماعي للمنطقة<sup>4</sup>، ونتج عنها أجيال أقوى شكيمة وأشد مراساً من أجدادهم.<sup>5</sup>

ويمكن القول أن نتائج الهجرة الهلالية في حياة البربر واضحة المعالم اجتماعياً ولغوياً ودينياً، وكان تقييم هذه الحركة ونتائجها إيجابيات، حيث أدت هذه القبائل رسالتها في المجتمع وجعلته عربياً حتى يومنا هذا.<sup>6</sup>

## 2- البنية الاقتصادية:

إن أثر القبائل الهلالية في الحياة الاقتصادية يمكن أن نلخصه في مظهرين، المظهر الأول: هو تكيف تلك القبائل مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة بالمنطقة، والمظهر الثاني هو المساهمة الفعالة لتلك القبائل في تنشيط الحركة الاقتصادية بها،<sup>7</sup> ويرى الطاهر بونابي أنه في نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إلى نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي تميزت هذه الفترة

1 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 119.

2 - ألفرديل، المرجع السابق، ص 214.

3 - عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 189.

4 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 228.

5 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 63.

6 - بوخالفة عزي، المرجع السابق، ص 73.

7 - عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 190.

بانتزاع المجال الرعوي والزراعي من قبائل الزاب والحضنة والسهول الداخلية في بلاد المغرب الأوسط، من قبل القبائل الهلالية المكتسحة للمنطقة وقد صاحب هذا نشاط تخريبي للإنتاج الزراعي وال عمران وشهادات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين دليلاً على هذه الممارسات في المنطقة.<sup>1</sup>

وصف ابن خلدون هجرة القبائل الهلالية لبلاد المغرب «كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه»<sup>2</sup>، ولم تسلم الحضنة من هذا التخريب فقد لحق الضرر بمدنها خاصة القلعة وطبنة والمسيلة "فتركوها قاعاً صفصفاً وأفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض فساداً"<sup>3</sup>، وكل هذا أدى إلى تعطيل الدورة الاقتصادية والموسم الفلاحي نتيجة للحروب ونتيجة للمقاومات التي أبداها سكان المنطقة اتجاه القبائل الهلالية، وتقلصت الأراضي الزراعية، وقل الإنتاج الزراعي والفلاحي وهجر السكان مزارعهم وبيوتهم وترك أصحاب الحرف أعمالهم فانتشر الفقر<sup>4</sup> وهذا ما أورده الوزان<sup>5</sup> ولو في فترة متأخرة جوانب هامة من حياة سكان الحضنة بقوله «وقد اندهشت للفقر السائد بالمسيلة عند مروري بها لم أجد الشعير لفرسي وليلة الواحدة إلا بمشقة، ولو أقمت بها ليلة أخرى، لما تمكنت من الحصول على مثل ذلك لكثرة البؤس والفاقة السائدين في المدينة».

وهذا ما يؤكد وصف الإدريسي في الفترة السابقة لحصون المنطقة بقوله: «وجميع هذه الحصون أهلها مع العرب في مهادنة وربما أضر بعضهم ببعض غير أن أيدي الأجناد فيها مقبوضة وأيادي العرب مطلقة في الأضرار وموجب ذلك أن العرب لها دية مقتولها وليس عليها دية فيمن تقتل».<sup>6</sup>

1 - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص146، ويرجع ذلك حسب جورج مارسيه إلى أن الحياة الرعوية تتطلب أرض شاسعة

لذلك اضطرت القبائل البربرية لافتتاح المجال للقبائل الهلالية، ينظر: جورج مارسيه، المرجع السابق، ص238.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20.

3 - نفسه، ص27.

4 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص672؛ عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص190.

5 - الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص93.

6 - الإدريسي، المصدر السابق، ص93.

معظم القبائل الهلالية التي سكنت إقليم الحضنة استقرت في الأرياف<sup>1</sup>، ومارست النشاط الزراعي، وهذا راجع إلى طبيعتها الريفية، ولم تكن بذلك على حد قول الهادي روجي إدريس بل قامت بالسيطرة على الطرق التجارية البرية الهامة التي تمر بالمنطقة خاصة الطريق الرابط بين مدن الزاب والحضنة<sup>2</sup> وقد ذكر ابن حوقل<sup>3</sup> هذا الطريق بقوله: «يأخذ من المسيلة إلى مقرة ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة» وطريق آخر لا يقل أهمية على الطريق الأول والرابط بين قلعة بني حماد وبجاية وهذا ما يدعمه قول الإدريسي<sup>4</sup> «بأن أيدي العرب مطلقة الأضرار في الطريق الواصل بين قلعة بني حماد وبجاية».

وبطبيعة الحال تلك القبائل المسيطرة على الطرق لا تسمح بمرور القوافل إلا بمقابل دفع إتاوات<sup>5</sup>، حيث سيطرة الدواودة من رياح على طرق الزاب، واشترك معهم بنو عامر بن زغبة لقطعهم الطريق الرملي ونزولهم القلعة<sup>6</sup> وهذا ما يذكره ابن خلدون<sup>7</sup> بقوله: «وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم»، الأمر الذي جعل الحركة التجارية بالمنطقة تضعف مع مرور الوقت، بل تتوقف في الكثير من الأحيان في سهول الحضنة<sup>8</sup> ومن البديهي أن يعرقل ذلك النشاط التجاري بالمنطقة<sup>9</sup>.

1 - يذكر جورج مارسيه أن القبائل الهلالية تسكن الأرياف حيث يحتلون المناطق السهلية ولا يتطلعون إلى الجبال، فهي فقيرة وذات منافذ صعبة عليهم وعلى دوابهم، وأن هذه الجبال تستخدم كحصون للقبائل البربرية المبعدين عن البلاد، ينظر: جورج مارسيه، المرجع السابق، ص242.

2 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص-ص 291-292؛ الطاهر بوناوي، المرجع السابق، ص 146؛ يوسف صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 43؛ فقد أرجع عبد الحميد الخالدي ذلك إلى انعدام الأمن وانعدمت الحكومة النظامية كذلك. ينظر: عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص191.

3 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص87، حيث ذكر طرق أخرى تربط المسيلة بالجهة الغربية كالطريق من فاس إلى المسيلة.

4 - الإدريسي، المصدر السابق، ص119.

5 - محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص118.

6 - عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص193.

7 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص27.

8 - سلميان الطيب، المرجع السابق، مج3، ص 507؛ يوسف صالح بن قرية، المرجع السابق، ص43.

9 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص292.

ويرجع هذا التخريب إلى أن طبيعة الحرب التي خاضتها القبائل الهلالية ضد القبائل البربرية، كانت حرباً شاملة لم ينج منها الاقتصاد، وكان لا بد من البحث عن السبل الكفيلة لإسقاط الخصم، بالإضافة إلى أن هذه الحروب لم تسمح لهم بالتوجه إلى الزراعة والتجارة وتنشيط الأسواق وأمن الطرقات لأنهم كانوا يبحثون عن وطن، ولذلك فقد كانوا في الأرض ولم يكونوا في السلطة،<sup>1</sup> وقد نتج عن سيطرة القبائل الهلالية على المنطقة دخولها في مرحلة من الاضطرابات والفوضى السياسية والاقتصادية، لأنهم خربوا القاعدة الاقتصادية، وتحول الاقتصاد من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعوي.<sup>2</sup>

كما ساهمت هذه القبائل في انحصار ملك بني حماد في المغرب الأوسط إلى الساحل، حيث أصبحت عاصمته مدينة بجاية وبدأت مدينة القلعة تفقد مكانتها لصالح بجاية، وذلك بسبب الضغط الذي كانت القبائل تمارسه على المدن الداخلية كالقلعة والمسيلة وذلك بعد انهيار الجيش الحمادي في معركة سببية (457/1064م)،<sup>3</sup> وبما أن الهجرة الهلالية قد اعتبرها البعض كارثة حلت ببلاد المغرب الإسلامي فإن كثير من الباحثين العرب والغربيين ناقشوا هذه المسألة بهدوء واستنتجوا بأن الهجرة الهلالية، ما هي سوى عنصر أضيف إلى بقية العناصر الأخرى المؤدية إلى انهيار بلاد المغرب.<sup>4</sup>

ومن المؤكد أن الظروف الاجتماعية القاسية التي عاشتها القبائل الهلالية، هي التي أوقفتهم هذا الموقف من أعدائهم، كما أنها هي التي دفعتهم إلى الهجوم الدوري على المناطق الحضرية طلباً للرزق وبجئاً عن ظروف أفضل للعيش.<sup>5</sup>

1 - بوخالفة عزي، المرجع السابق، ص 106.

2 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 45.

3 - علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 89.

4 - بوخالفة عزي، المرجع السابق، ص 100.

ولتوضيح أكثر عن هذه المسألة ينظر: علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص 07-33.

5 - بوخالفة عزي، المرجع السابق، ص 100.

فهل كانت آثار الهجرة الهلالية على الحياة الاقتصادية بهذا السوء<sup>1</sup>، من المؤكد أن القبائل الهلالية لعبت دوراً اقتصادياً هاماً منذ حلولهم بالمنطقة، وهذا ما تؤكدته العديد من الكتابات التاريخية التي أبرزت الدور الإيجابي لتلك القبائل في المجال الاقتصادي للمنطقة<sup>2</sup>، ومن بين المعطيات الجغرافية التي تركز على الدور الإيجابي للقبائل الهلالية بالمنطقة ما ذكره الإدريسي<sup>3</sup>: «وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات والتمر».

وقد ظهر هذا التطور الاقتصادي في منطقة الحضنة بعد عملية الاستقرار التي قامت بها القبائل الهلالية، هذا ما نتج عنه ممارسة النشاط الزراعي على نطاق واسع، فكثرت المحاصيل الزراعية وتنوعت خاصة زراعة النخيل والحبوب، وهذا راجع لما تتوفر عليه المنطقة من أراضي خصبة ومنبسطة<sup>4</sup> «وهي عامرة في بساط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاجه» حسب وصف الإدريسي<sup>5</sup>، كما لا ننسى الدور الفعال في الازدهار الاقتصادي للمنطقة لما تزخر به من شبكة هيدروغرافية هامة تمثلت في شط الحضنة بالإضافة إلى وادي القصب، يصفه ابن حوقل<sup>6</sup> بقوله: «ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم ومنبسط على وجه الأرض».

وبطبيعة الحال كان هذا المجهود كله بعد أن منحت السلطة الحاكمة أقطاعات في الأراضي السهلية الخصبة لقبائل رياح والأثبج، مقابل المساندة والطاعة<sup>7</sup>، وقد أثرت هذه القبائل في الحياة الاقتصادية تأثيراً واضحاً إذ نقلوا إلى الحضنة تربية الأغنام<sup>8</sup> وعرف هذا النوع تطوراً فبعدما كان منحصرًا في تربية الشاة

1 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 64.

2 - عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص 191.

3 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 93، والوصف كذلك ينطبق على باقي مدن الحضنة كالمسيلة ونقاوس ومقرة والقلعة.

4 - مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 311؛ عبد الفتاح غنيمي، المرجع السابق، ص 230.

5 - الإدريسي، المصدر السابق، ص - ص 85-86.

6 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

7 - عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 192.

8 - عبد الفتاح غنيمي، المرجع السابق، ص 231.

والإبل أضافوا تربية الأبقار<sup>1</sup> فضلاً على امتلاك الخيول فإن بني هلال شأهم شأن العرب اهتموا بتربية الخيول العربية الأصيلة التي انتقلت معهم من مصر والجزيرة العربية، فقد نقلوا الخبرة العربية في تربية الخيول، فتأثرت بعض القبائل الزناتية المقيمة بالمنطقة وأخذوا عنها.<sup>2</sup>

ولعل أهم ما يحسب لصالح الهلاليين فيما يخص التجارة هم أنهم جعلوا الصنهاجيين يفكرون ولأول مرة بالاهتمام بالمدن الساحلية وإنشاء أساطيل بحرية لغرض التجارة بعدما انعدم الأمن في الطرق التجارية البرية،<sup>3</sup> وقد أدى ذلك إلى ازدهار اقتصادي وبدوره انعكس إيجابياً على حياة السكان الاجتماعية، وساهم في نمو المدن ودخول حياة المدينة على نطاق واسع بعد أن تغلبت عليهم حياة البداوة.<sup>4</sup>

#### 4-المسيلة في نصوص نهاية العصر الوسيط:

##### 1-المسيلة أواخر العهد الحمادي:

لم يتحسن الوضع الأمني في منطقة المسيلة، بعد تولي المنصور بن الناصر بن علناس الحكم (481هـ/1088م) (494هـ/1105م)<sup>5</sup> حتى اضطر هذا إلى التفكير في التعامل في مع الجماعات الهلالية. لكن حالة الاضطراب، كانت تزداد سوء مع مرور الوقت مما دفع بالمنصور إلى التخلي عن القلعة التي كانت لمدة طويلة عاصمة للدولة الحمادية في المغرب الأوسط، وقبلة للعلماء والتجار<sup>6</sup>، والانتقال إلى بجاية سنة (483هـ/1090م) وفي فترة وجيزة من حكمه استطاع مواصلة جهود والده في التشييد والتعمير،

1 - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص244، يضيف أن امتلاك هذه الخيول جراء الحروب، وكل هذا أدى إلى تدهور الزراعة نسبياً على حساب تربية الأغنام .

2 - حسن خضري أحمد، المرجع السابق، ص266؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص192؛ عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص-ص 226-227.

3 - عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص193.

4 - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص236.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص232.

6 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص52؛ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص74.

حسب قول ابن خلدون<sup>1</sup> «كان مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنق في اختطاط المباني»، وفي نفس الوقت واجه المنصور مشاكل كثيرة تقليدية فيما يتعلق بالأمن والدفاع<sup>2</sup>.  
 فحارب زناتة وعلى قول ابن خلدون<sup>3</sup> «شردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط»، ويذكر مارسبي (Mercier) أن الصراع بين زناتة والحماديين يرجع إلى أن الحماديين اختصوا قبائل الأثنج بالحكم دون سائر قبائل العرب، بحيث اقتطعوا لهم أراضي الزاب والحضنة ونواحي القلعة<sup>4</sup>.  
 وقد تعرضت منطقة المسيلة فيها بعد لاضطرابات وفوضى بين سنتي (504هـ/1111م) (514هـ/1121م) مما دفع العزيز بن المنصور (498هـ/1104م) (515هـ/1122م) أحد أحفاد ابن حمدون المسمى علي بن حمدون، الذي كان قائدا في الجيش الحمادي الذي تمكن من إخماد الثورة والقضاء على الفوضى وإرجاع الأمن والهدوء للمنطقة لمبايعة يحيى بن العزيز<sup>5</sup> فيقول ابن خلدون<sup>6</sup> «ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر إلى العزيز فبعث ابنه يحيى وقائده علي بن حمدون من بجاية في عسكر وتبيعة، فوصل إلى القلعة وسكن الأحوال، وقد أمن العرب»، لكن الأوان قد فات محاولة وضع حد لتوغل القبائل الهلالية وسيطرتهم الكلية على المنطقة<sup>7</sup>.

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص232.

2 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص199؛ ويذكر رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص74، أن المغرب الأوسط في عهد المنصور عرف أحداثا عديدة منها: ثورة بلبار وأبي يكني بقسنطينة ومحاربة المرابطين وبني ومانوا وزناتة ناحية بجاية.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص234.

4 - Ernest Mercier, Les Arabes d'Afrique jugés par les auteurs musulmans, in R.AF, 17, 1873, p. 47.

5 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص81؛ يوسف صالح بن قرية، المرجع السابق، ص52.

6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص235.

7 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص206، وقد حدد المناطق التي شملها الخراب حسب قوله تمتد من ناحية جبال البابور ثم تتجه شرقاً حتى رأس بوقرون وتشمل سهولة بونة التي أصبحت مجالا لقبائل زغبة.

## 2-المسيلة في عهد الدولة الموحدية:

دخلت منطقة المسيلة في نطاق السلطة الموحدية منذ هجوم الموحدين على بجاية ودخول قلاعها زمن عبد المؤمن<sup>1</sup> بن علي سنة (547هـ/1152م) ووصله إلى القلعة التي كانت مجالاتها الريفية تحت سيطرة قبائل الأتبع ورياح وزغبة،<sup>2</sup> ويذكر عبد الواحد المراكشي<sup>3</sup> أنه «لما دانت لعبد المؤمن جمع أقطار المغرب الأقصى، مما كان يملكه المرابطون، جمع جموعا عظيمة وخرج من مراكش يقصد مملكة يحيى بن العزيز بن المنصور بن المنتصر الصنهاجي، وكان يملك بجاية وأعمالها، فحاصر عبد المؤمن بجاية سنة (540هـ/1045م) وضيق عليها أشد التضييق فما رأى يحيى بن عبد العزيز أن لا طاقة له بدفاع القوم هرب».

واغتتم عبد المؤمن فرصة الهدوء المؤقت الذي كان يسود جبهة الأندلس، فسار على رأس جيش إلى المغرب الأوسط وكانت تحركات عبد المؤمن وزحفه تجري في كتمان شديد، فتمكن هذا الأخير من مفاجآت الحماديين في مدينة الجزائر واستولى عليها دون أي مقاومة تذكر ثم اتجه نحو بجاية<sup>4</sup>، يقول ابن أبي زرع «ثم خرج قاصدا بجاية حتى وصل مدينة الجزائر، فدخلها صلحا وأمن أهلها».<sup>5</sup>

1 - عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان، أبو محمد الكومي يقال نسبه إلى الكومية من قبائل البربر ولد بالقرب من تلمسان في سنة 487هـ، كان والده صانع فخار، امتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس، لقب بأمر المؤمنين، كان صديق للمهدي بن تامرت وقائد لجيوشه، قبل أن يسلم إليه زمام الأمر بعد وفاته سنة 524هـ ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 237؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص126؛ ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدولة، طبع بالمطبعة العمومية، تونس، 1316، ص 58.

2 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص102؛ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص133.

3 - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص144؛ ينظر فتح بجاية. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 372؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص-ص 235-236؛ البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص74.

4 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص292؛ محمد الطمار، المغرب في ظل صنهاجة، ص132، كان ملك بجاية هو يحيى بن عبد العزيز الذي كان مولعا باللهو والصيد ولا ينظر لشيء من أمور مملكته، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج، ص372.

5 - ابن أبي زرع الفاسي، الأئيس المطرب بروض القرطاس، صورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص193. يذكر أن دخول عبد المؤمن لمدينة بجاية كان بمساعدة ابن حمدون «فسار عبد المؤمن حتى نزل بجاية ففتح له بابها أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدون فدخلها».

وبطبيعة الحال دخل عبد المؤمن بجاية وملكها، وملك قلعة بني حماد معقل صنهاجة الأعظم وحصنهم الأيمن حسب قول عبد الواحد المراكشي<sup>1</sup>، وبذلك أصبح المجال الحمادي السابق ولاية من ولايات الدولة الموحدية، ونظم إدارة المغرب الأوسط الذي أصبح جزء من مملكة الموحدين في بلاد المغرب.<sup>2</sup> وبعد رحيل عبد المؤمن إلى مراكش عين ابنه عبد الله، واليا على بجاية بما فيها منطقة المسيلة<sup>3</sup>، وقد حاولت القبائل الهلالية المتمثلة في الأثبج ورياح وزغبة الدفاع عن المنطقة واجتمعت تلك القبائل وسارت نحو بجاية والتقى الجمعان بسطيف ودام القتال أربعة أيام وانهمز على إثرها قبائل بني هلال، لكن عبد المؤمن رغم نشوة الانتصار إلا أنه عالج الأمور بحكمة ودهاء، حيث اقتسم الغنائم مع جنده ورد إلى بني هلال نسائهم وأحسن استقبال شيوخهم.<sup>4</sup>

ثم قام بنقل جمع كثير من بطون الأثبج خصوصا من إقليم المسيلة نحو تلمسان ووهران ولأندلس،<sup>5</sup> إلا أن قوة الموحدين لم تستمر بسبب محاولة ابن غانية إحياء دولة المرابطين بمساعدة قبائل رياح والأثبج وبقايا الحماديين الذين وقفوا إلى جانبه في الصراع مع الموحدين سنة (580هـ/1184م) في محاولة أخيه يحيى بن غانية التوسع نحو الغرب انطلاقا من المسيلة، حيث تمكن من دخول مدينة بجاية<sup>6</sup> بدون قتال وبذلك السيطرة على سهل الحضنة وعلى المسيلة ودخول أشير والقلعة ومليانة.<sup>7</sup>

=ينظر: رسالة عبد المؤمن عن فتح بجاية في مجموع رسائل موحدية (كتابة الدولة المؤمنية)، ليفي بروفنسال، رباط الفتح، الرباط، 1941، الرسالة السابعة، ص20.

1 - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص145، ينظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص372؛ إخلدون، المصدر السابق، ج6، ص-ص235-236.

2 - صالح يوسف بن قرية، تاريخ المرجع السابق، ص53.

3 - ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح، البشير الفورني، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ص115.

4 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص224.

5 - Mercier, *op.cit*, p. 47.

6 - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص128، حيث يقول «فجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو ألف فارس... فانهمز حينئذ والي بجاية ومن معه من الموحدين».

7 - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص54.

وقد كان المتضرر الكبير من هذا الصراع هي منطقة المسييلة التي حولتها إلى خراب واختفت معالم المدينة، ودخلت المنطقة في مرحلة عدم الاستقرار والأمان، حيث قطعت الطرق وسيطرت اللصوص والقطاع على القرى والأرياف والمدن، ولا نجد الكثير من المعلومات عن الحصنة والمسييلة في المصادر التاريخية حول هذه الفترة من تاريخ المنطقة، لكن الشيء المؤكد أن المنطقة كانت تابعة إلى بجاية التي أصبحت عاصمة للدولة الموحدية في المغرب الأوسط فيما بعد.

### 3- المسييلة في عهد الدولة الحفصية:

بعد التفكك الذي شهدته الدولة الموحدية، وأخر حكمها والهزائم التي شهدتها الدولة، إنتهز بنو حفص الفرصة ليبسطوا نفوذهم على المغرب الأوسط ويسيطروا على بجاية وإقليم الزاب بما فيه منطقة المسييلة،<sup>1</sup> ولقد استمرت مكانة المسييلة فترة من الزمن أمام الدولة الحفصية، حيث ارتبطت بسلاطنتهم أكبر من غيرهم من بني عبد الواد، رغم أنها مثلت نقطة تماس وتجاذب بينهما، وكانت ضحية موقعها من حيث الصراع الحفصي الزياني عليها، كما أدى الصراع داخل السلطة الحفصية إلى ضعف سيطرتها على أطراف الدولة ومنها منطقة المسييلة، لذلك سنرى كيف تحاول الدولة الحفصية في ظل هذه الأحداث والأوضاع مجارة واستغلال بعض القبائل الهلالية المقيمة بالمنطقة في استمرار سلطتها الاسمية أحيانا على المنطقة<sup>2</sup> ونتعرف على ذلك من خلال تتبع الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة في سنة (627هـ/1229م) لصبح المنطقة تابعة للسلطة الحفصية بقيادة أبي يحيى زكريا بعد أن عقد له والده أبو زكريا على ثغر بجاية، وجعل إليه النظر في سائر أعمالها من الجزائر وقسنطينة والزاب حسب ابن خلدون.<sup>3</sup>

وفيما بعد تصبح للمنطقة دورا بارزا كمرحلة هامة في الطريق الرابط بين الشرق والغرب، حيث مرت عليها الجيوش الحفصية إلى الجهة الغربية بقيادة أبي زكريا سنة (639-640هـ/1241-1242م) إلى تلمسان لفتحها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص-ص 54-55.

<sup>2</sup> - محمد قويسم، "منطقة المسييلة في العهد الحفصي" مجلة دفاتر الملتقى، المسييلة، 2009، ص-ص 41-42. (مداخلة غير منشورة)

<sup>3</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص398.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص-ص 390-391.

في بداية الدولة الحفصية تظهر قبيلة رياح الهلالية المستقرة في الحضنة الولاء للدولة، حيث بايع زعيمها موسى بن محمد بن مسعود، أبي زكريا يحيى الأول (627-647هـ/1229-1249م) سنة (647هـ/1249م) وكانت آخر سنة لحكمه وبعد وفاته غير شبل بن موسى الرياحي ولأبيه وبايع أبا القاسم بن عبد الرحمن بن الأمير عبد الواحد سنة (661هـ/1263م)،<sup>1</sup> وقد حاول الحفصيون إبقاء المسيلة تحت حكمهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب نفور سكان المنطقة منهم، فعمدوا إلى السيطرة على مدينة مقرة وتقوية نفوذهم بها.<sup>2</sup>

وفي سنة (664هـ/1267م) ثارت قبائل الدواودة القاطنة في الجهة الغربية من سهل الحضنة الأمر الذي جعل المنتصر أبو عبد الله محمد الأول يخرج بجيش<sup>3</sup> كبير «لحو آثار الفاسد منه، وتقويم العرب على الطاعة، وتنقل في الجهات إلى أن وصل بلاد رياح فدوخها ومهد أرجاءها، وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة إلى القفار، واحتل السلطان المسيلة آخر وطن رياح فالتحق به محمد بن القوي أمير بني توجين من زناتة مجددا لطاعته... وأقطع له مدينة مقرة من عمل الزاب» ثم رجع إلى تونس.<sup>4</sup>

وخلال القرن السابع الهجري، ظهرت شخصية من مدينة المسيلة ادعى أنه الفضل بن يحيى الوائق ابن المستنصر، وأنه فر من السجن، وهو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة، من موالي مدينة المسيلة<sup>5</sup> وقد حاربه السلطة الحفصية بعد أن هدد سلطاتها، ودخل مدينة قابس وملكها وكثير من بلاد إفريقية، هذا ما دفع السلطان الحفصي أبو إسحاق لمحاربه والقضاء عليه، خرج السلطان من تونس لمقاتلته، وقد واصل

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 423.

<sup>2</sup> صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص55، يضيف أن المنتصر قام بمعاقتهم سنة (652هـ-/1254م) ورمي بهم في السجن.

<sup>3</sup> ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفز وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص127.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص422.

<sup>5</sup> الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص45، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص441، وقد ذكر أن أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المسيلة، نشأ في مدينة بجاية.

السلطان الحفصي المستنصر الدفاع عن المسيلة ومجالات الحضنة لكن بدون جدوى<sup>1</sup>، نظراً لتحالف القبائل الزناتية، التي احتلت مدينة مقرة وهزمت حاميتها الحفصية ووضعوا السلطان أمام الأمر الواقع، فأقطعهم مرغما مدينة مقرة والمسيلة وسهل الحضنة.<sup>2</sup>

#### 4-المسيلة والمشروع التوسعي المريني:

ونتيجة لانقسام الدولة الحفصية<sup>3</sup>، والصراع على السلطة والثورات التي قادتها القبائل الهلالية، ضعفت سيطرة الدولة على أطراف المملكة، الأمر الذي سمح لبعض الأسر العربية القوية بالاستقلال في نواحيها، مكونة بذلك إمارات متعددة<sup>4</sup> ومن بينها إمارة بني مزني بالزاب.<sup>5</sup>

وبعد فترة وجيزة من استقلالها استطاعت الوصول إلى حكم الزاب وذلك بمساعدة القبائل الهلالية الراحية من فرع الذواودة، ووسعت مجال نفوذها وبسطت سيطرتها على أراضي الحضنة ومدنها مقرة والمسيلة ونقاوس،<sup>6</sup> وبذلك أصبحت المسيلة محل صراع بين القوى الحفصية والزيانية والمرينية ففي سنة (709هـ/1309م) تبعت المسيلة ومقرة لحكم بني مزني في عهد المنصور المريني، إلى أن قام السلطان الحفصي أبو يحيى أبو بكر الثاني المتوكل (718-747هـ/1318-1346م) باسترجاعها من الذواودة المتحالفين مع القوى الخارجية سنة (733هـ/1332م)،<sup>7</sup> وفي إطار الصراع بين الحفصيين والمرينيين والزناتيين دخل ملك

1- صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص55.

2- محمد قويسم، المرجع السابق، ص41.

3- انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين منذ سنة (683-718هـ/1284-1318م) حيث نجد القسم الشرقي عاصمته تونس والقسم الغربي بالمغرب الأوسط وحاضرتة بجاية، ينظر: ابن قنفذ، المصدر السابق، ص349.

4- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص138، محمد قويسم، المرجع السابق، ص41.

5- بنو مزني من أشهر الأسر العربية التي انتقلت إلى إفريقية في القرن الخامس الهجري وهم من مزنة بن دنفل بن محيا بن حزري بن علون بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف من عرب الأثيج المعروف أن الكثير من قبائل الأثيج سكنت إقليم الزاب والحضنة ومارست الزراعة، واستقروا بالقرى والمدن المجاورة للبربر.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص587.

7- ابن الشماخ، المصدر السابق، ص89.

المغرب إلى تلمسان سنة (752هـ/1351م) نتيجة رفض طلب السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز طرد قبائل المعقل المستنجدين به، ثم واصل سيره ونزل بالقرب من المسييلة.<sup>1</sup>

ثم تعود المنطقة من جديد محل صراع بسيطرة الجيوش المرينية سنة (733هـ/1352م) بقيادة أبو عنان فارس المريني ودارت بين المرينيين والزناتيين معركة كبيرة بالقرب من وادي القصب، انتهت باعتقال الأمير الزياني أبي سعيد ثم قتله سنة (753هـ/1352م)، لكن في سنة (755هـ/1354م) وبعد انتصار الحاجب المريني على قسنطينة أحكم سيطرته على منطقة المسييلة، إلا أن الأمير أبو حمو الزياني الثاني أعاد بعث الدولة الزيانية من جديد سنة (760هـ/1359م) وبويع بإمارة تلمسان،<sup>2</sup> واستطاع أبو العباس أحمد الأول الحفصي من استرجاع إمارة قسنطينة (761هـ/1360م) بعد أن فشلت محاولات أبو عبد الله في استرجاعها، مما جعل أبو العباس الحفصي يستقر بالمسييلة لفترة للقضاء على تمرد أبي عبد الله الذي لجأ إلى أبي حمو الزياني<sup>3</sup>، الذي قام بطرد القبائل العربية الموجودة في بلاد من نهر الملوية إلى الحضنة وبدخولها إلى الحضنة دخلت هذه القبائل من معقل تحت حماية الذواودة.<sup>4</sup>

وفي سنة (772هـ/1370م) اقتحم المرينيون مدينة تلمسان ففر سلطانها منها نحو الشرق مارا بمنطقة المسييلة، إلا أن قبائل الذواودة رفضت مروره على أراضيها رغم ما مقدمه لها من هدايا وأموال، أما أبا حمو الزياني اتجه نحو الصحراء دون أن يفقد الأمل في الانتصار على المرينيين حتى وصل إلى ناحية زاغر التي كانت تقطنها قبائل أولاد يحيى بن علي بن سباع من الذواودة، وتقع جنوب غرب المسييلة،<sup>5</sup> علما أن يحيى بن خلدون انظم إلى المرينيين بتلمسان أما عبد الرحمن بن خلدون الذي زار مدينة المسييلة فقد حاول جمع

<sup>1</sup> - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2007، ج2، ص - ص 445-446. يذكر أنه بقي بالمسييلة ثلاثة أيام لكسب أولاد يحيى من قبائل رياح حيث منحهم الكثير من الهدايا والأموال، ثم رحل إلى الدوسن إحدى قرى الزاب.

<sup>2</sup> - محمد، قويسم، المرجع السابق، ص42.

<sup>3</sup> - يحيى بن خلدون، المصدر المصدر السابق، ج1، ص29.

<sup>4</sup> - صالح يوسف بن قرينة، المرجع السابق، ص59.

<sup>5</sup> - يحيى بن خلدون، المصدر، ج1، ص35.

قبائل الذواودة وتوحيد صفوفهم ودعم السلطان المريني عبد العزيز، وقد تمكن بدهائه من استدراج العرب المقيمة بالمسيلة لمساندة السلطان المريني وهذا ما فعلوه.<sup>1</sup>

وفي نفس السنة (772هـ/1370م) حلت بالمسيلة جيوش الدولة الحفصية بقيادة والي قسنطينة، أبو العباس الذي تمكن من إخضاع المنطقة لسلطانه تم إتجه نحو تونس حيث إستولى عليها،<sup>2</sup> وأثناء فترة حكم السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-838هـ/1393-1434م) استعادت الدولة الحفصية سيطرتها على الزاب والمسيلة<sup>3</sup> والقضاء على إمارة بني مزني سنة (804هـ/1401م) وحمل أميرها أحمد بن يوسف وبني مزني إلى العاصمة تونس بعد أن حكموا منطقة الحضنة والزاب حوالي قرن ونصف سنة (835هـ/1431م) مر السلطان أبو فارس عبد العزيز وهو عائد من المغرب بالمسيلة وأقام بها عدة أيام، واستقبل فيها وفود من أهل قسنطينة الذين جاؤوا لمبايعته، وفيها تم تعيين عمه أبا الحسن على ولاية بجاية، وفي أواخر القرن الخامس عشر فقد تتحرر المسيلة بصفة شبه تامة من السلطة المركزية في تونس.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - يوسف صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 59.

<sup>2</sup> - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 235.

<sup>3</sup> - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 188.

<sup>4</sup> - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص-ص 58-60.

# الخاتمة

## الخاتمة:

في نهاية البحث يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية:

إن الموقع الجغرافي لإقليم الحضنة جعل منه مجال حيوي هاماً نظراً للأحداث التي تعود برموزها ونقوشها إلى عصور ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى تعاقب عدة موجات منها الرومانية والوندالية والبيزنطية وتجلت هذه الأهمية بوضوح خلال القرن الثالث ميلادي وهذا ما توضحه تعدد المواقع التاريخية القديمة بهذا الإقليم .

إن عدم استقرار الأوضاع السياسية في بلاد المغرب، بما فيها إقليم الحضنة تجعل من الصعب معرفة القبائل التي سكنت منطقة الحضنة وخاصة قبل الفتح الإسلامي، وذلك لغياب الوثائق والنصوص التاريخية واعتمادنا على الآثار المتبقية لا يساعدنا على معرفة أهم القبائل التي سكنت المنطقة خاصة الجاليات الرومانية والبيزنطية التي بقيت في المنطقة لمدة طويلة، وما كان مصيرهم بعد نهاية سلطاتهم، ثم وصول الجيوش الإسلامية للمنطقة.

فترة ما بعد الإسلام كانت أكثر وضوحاً من الفترات الأخرى في إقليم الحضنة، لان الفتح الإسلامي جلب معه جاليات عربية إسلامية استقرت في المنطقة وانصهرت مع سكانها.

إن الأهمية التي اكتسبتها مدينة المسيلة من الناحية الاستراتيجية هي التي دفعت بمؤسسها أبو القاسم المهدي إلى اتخاذها كقاعدة عسكرية لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط و المغرب الأقصى كما اعتبرت المدينة كحاجز أمني يمنع الخطر الزناتي الذي هدد استقرار الدولة الفاطمية ، مما جعل من المدينة في بداية التأسيس تأخذ طابع المدن العسكرية وهذا يتضح من خلال دوافع بناء المدينة.

ولقد تمتعت مدينة المسيلة منذ نشأتها بقسط وافر من أسباب الحضارة و المدينة حيث تعتبر من أهم المراكز الحضارية التي ساهمت مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإسلامية بالمغرب الأوسط خاصة في عهد الأسرة الحمدونية الفاطميين، حيث تمكن علي بن حمدون أثناء فترة حكمه من تحقيق رغبات الخلفاء الفاطميين، وإظهار المستوى الرفيع في خدمة الخلافة الناشئة ، حيث جعل من مدينة المسيلة مخزناً كبيراً للمؤن وتتكفل باحتياجات الجيوش .

ومهما كان الدور الذي لعبته مدينة المسيلة، فإنه لا يمكن عزله عن الأوضاع العامة التي كانت تعرفها مدن المغرب الأوسط في هذا العصر، كالعامل الاقتصادي الذي لا يمكن إغفاله في الدوافع الفاطمية التي أدت بها إلى تأسيس هذه المدينة لما تم بناء مدينة المسيلة انتقل مركز الثقل إليها من طبة عاصمة الزاب القديمة، وبذلك أصبحت هي العاصمة السياسية والإدارية والمركز التجاري والحضاري للمنطقة الممتدة من باغاية شرقاً إلى تيهرت غرباً، كما انتقل إليها الكثير من سكان المناطق المجاورة لها، وازدهرت أوضاعها في بعض الجوانب، فأمرها رجال المال والأعمال، وقصدها العلماء والشعراء من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي. وبعد أن أصبحت المسيلة عاصمة لإقليم الزاب، بقيت تتمتع بمكانة مرموقة بين مدن المغرب الإسلامي كالقيروان والمهدية وفاس إلى أن بنيت قلعة بني حماد في أوائل القرن الرابع الهجري، فأخذت تفقد أهميتها تدريجياً كعاصمة إقليمية.

إن الطابع العسكري الذي أخذته المدينة لم يمنعها من أن تكون بعيدة عن الثورات والتوترات مثلها مثل باقي مدن بلاد المغرب، فقد تدمرت مرات عديدة من جراء الحروب المتواصلة التي عرفتها المنطقة خلال العصور الوسطى، ومع ذلك ظلت صامدة في وجه تلك الثورات، وكان لها الدور الكبير في القضاء عليها مثل ثورة أبي يزيد.

لم تكن المسيلة بعيدة عن الصراعات و الأحداث التي حدثت في المغرب، مما جعل أهميتها السياسية تتناقص وما لبث الصراع في المغرب أن اتخذ بعداً محلياً مع غياب الحكم الفاطمي المباشر، فأخذت القوى السياسية في المغرب الأقصى والأوسط تتصارع على النفوذ وملاً الفراغ والذي كان على بلكين بن زيري أن ينقل عاصمة الزاب إلى أشير، حيث أصبحت مركز قوة صنهاجة.

إن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية وحضارية، إنما كانت نتيجة حتمية للقطيعة السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة، وبين نوابها الزيريين في إفريقية، وبذلك كان الاتصال بالخلافة العباسية ببغداد لأول مرة كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية.

وبعد القرن الحادي عشر الميلادي (5هـ) ستصبح القبائل الهلالية عنصراً جديداً في سكان بلاد المغرب، ويسكنون هم وذريتهم، ويكونون علاقات مستقرة مع البربر حيث يمتزج العنصر العربي شيئاً فشيئاً مع

العنصر البربري، وبذلك نجد معظم سكان بلاد المغرب هم ثمرة امتزاج وثيق في عصور مختلفة بين عناصر بربرية وعناصر عربية.

وبذلك تكون تلك القبائل العربية أحدثت تغيرات ديموغرافية بالمنطقة لجلبها عناصر جديدة اندمجت تدريجياً مع السكان الأصليين هذا ما أدى إلى إعادة تشكيل الخريطة البشرية المكونة للمجتمع الحضني. وتواجد القبائل الهلالية بالمنطقة أدى إلى تشكل ما يسمى بأعراس الحضنة، والتي تعود أصولهم إلى تلك القبائل والتي استقرت ببلاد المغرب بعد عناء شديد وحد سيوفهم وظلت أمواجهم المتوالية، تندفق عليه طلية عقود واعتبرت الهجرة الهلالية حدثاً تاريخياً وحركة اجتماعية هامة بالمغرب، بالنظر إلى النتائج المختلفة والآثار المترتبة عنه، والتي شكلت تحولا جذرياً، وسم حياة البربر بالسماة العربية الإسلامية.

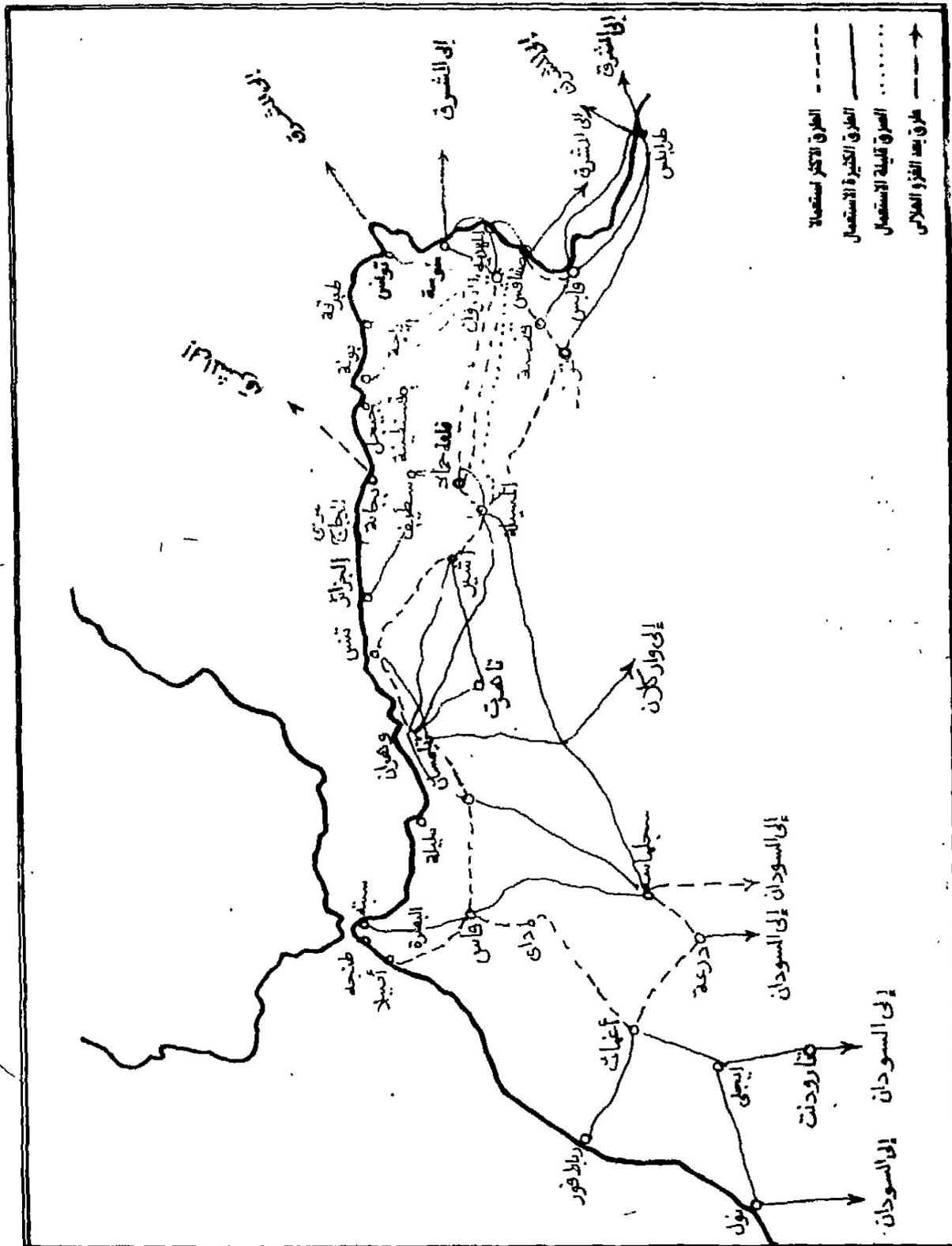
كل هذه المعلومات تعتبر قليلة و أهميتها لا تتعدى مما كتبه الرحالة و المؤرخون عن المدينة و ذلك أنها لم تتحدد بقايا الأبراج و لا بالمرحلة التي تنتمي إليها بطريقة علمية و ليس أمامنا الآن إذا أردنا المزيد من المعلومات سوى القيام بأعمال ميدانية لمعرفة حدود مدينة المحمدية و أبوابها و التوزيع العمراني لها.



الملاحق

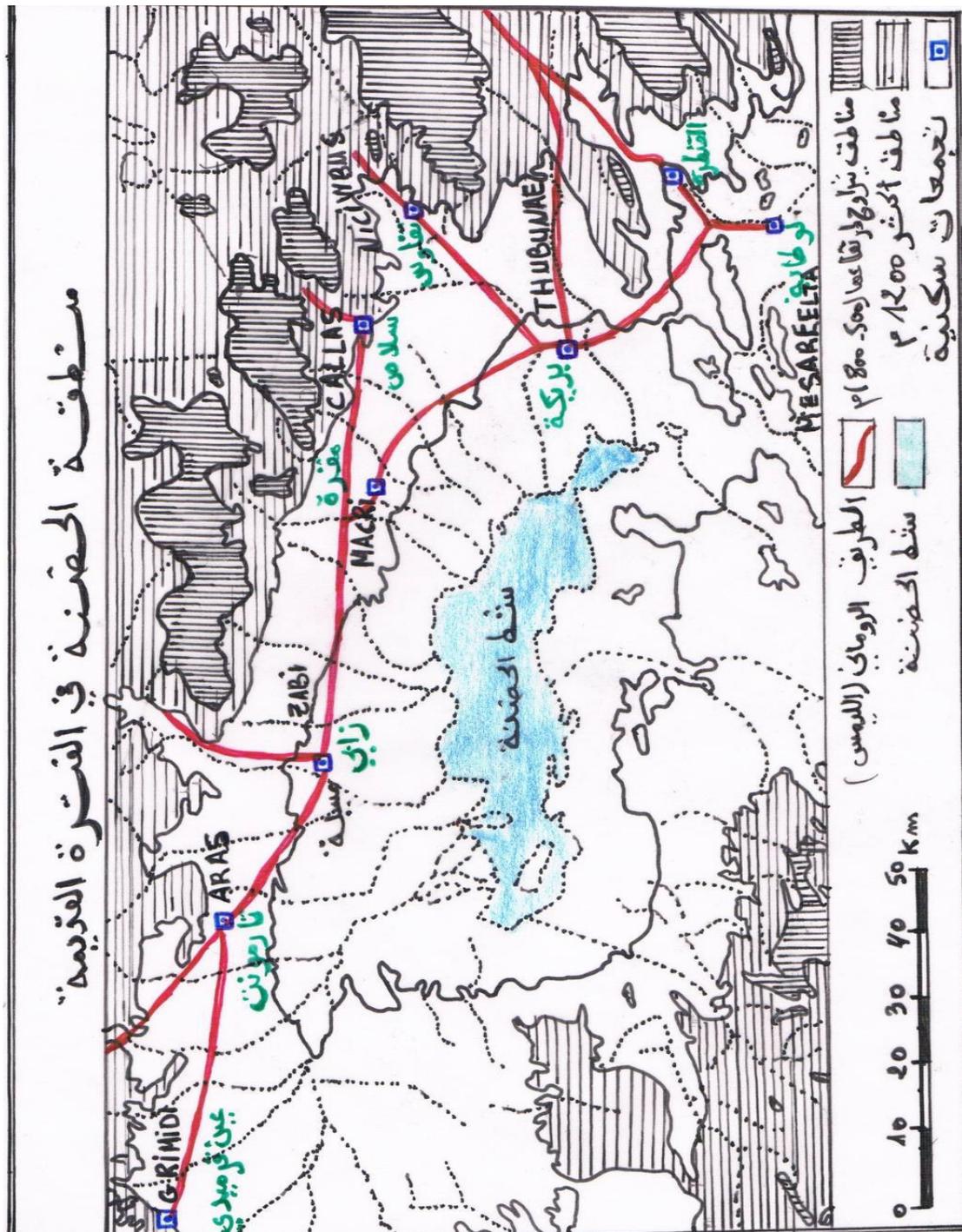


الملحق رقم 02: موقع مدينة المسيلة بالنسبة لمدينة المغرب الإسلامي<sup>1</sup>.



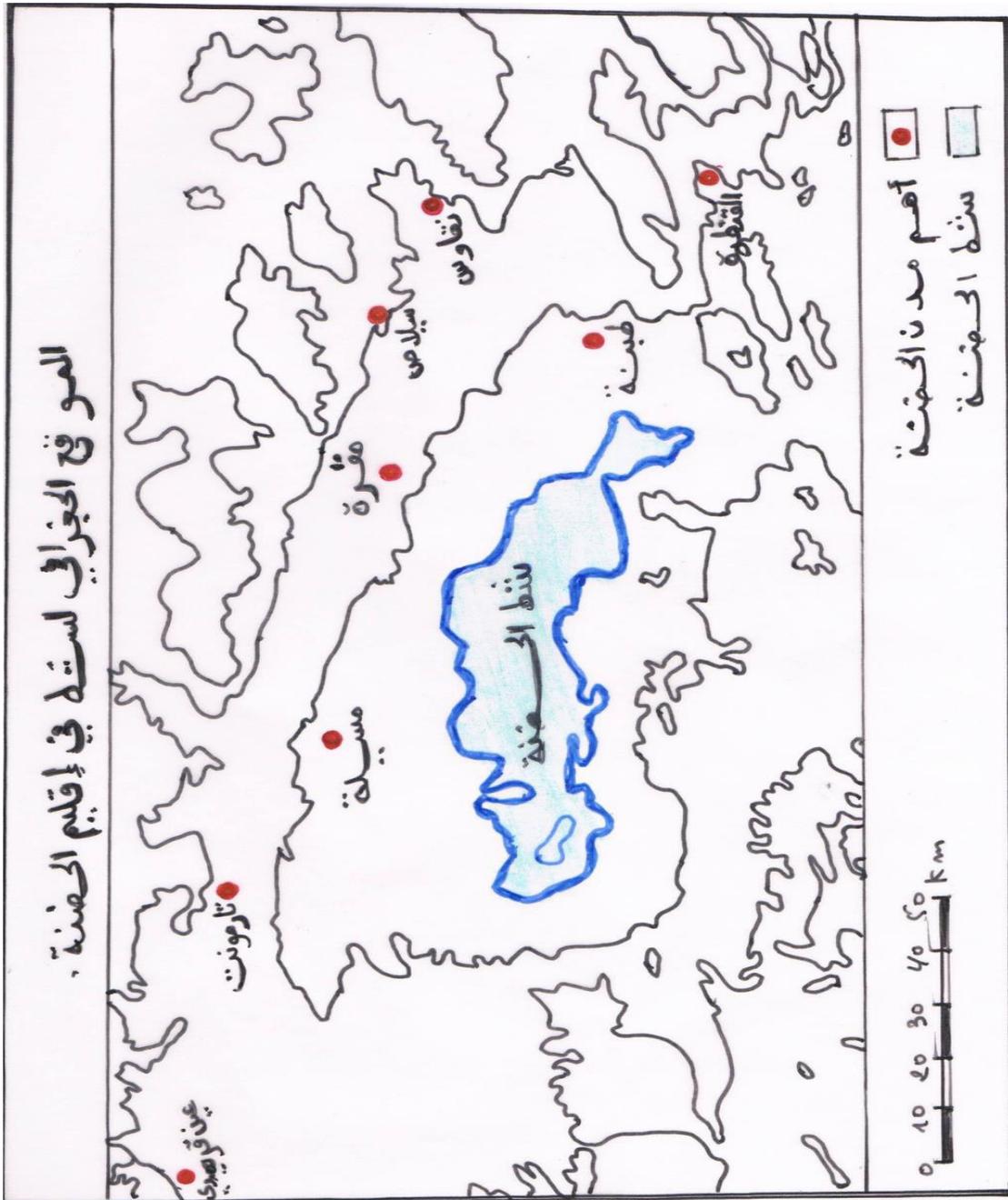
1 - حسن خضير أحمد : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 206.

الملحق رقم 03: منطقة الحصنة في الفترة القديمة.



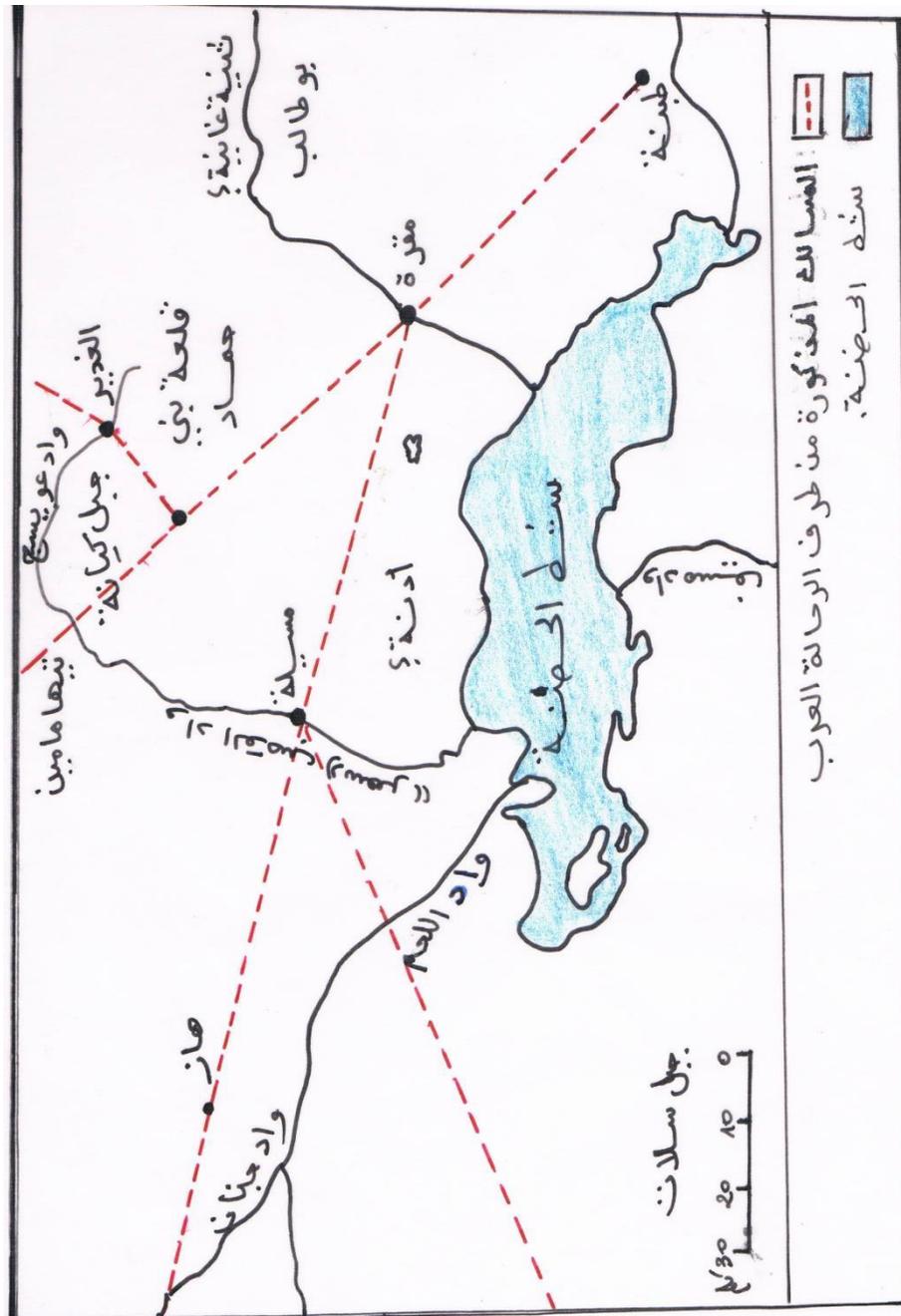
Jean Despois, op.cit, p101

الملحق رقم 04: الموقع الجغرافي لشط في إقليم الحضنة



Jean Despois, op.cit, 109.

الملحق رقم 05: المسالك و الطرق في إقليم الحضنة.



Paul Massiera, op.cit, p 07.



الملحق رقم 07: ملامح شخصية حماد.<sup>1</sup>

قصة حماد ابن بلكين مع ابنة صاحبه :

" ويذكر أنه قال: ما تدهى عليا أحد قط ولا خدعني غير امرأة وكعاء من البربر، قيل له وكيف كان ذلك؟ قال: لي صاحب من البربر نشأت معه بالقيروان ولم يفرق بيننا ريب الزمان، و كنت خالطته بنية نفسي وجعلته محل أنسي، فلما صرت إلى ما أنا فيه من الرياسة فقدته فجعلت أطلبه فلا أقدر عليه، فلما نزلت على مدينة باغية و دخلتها عنوة و استبحت جميع ما فيها فإذا أنا في صبيحة ذلك اليوم بصائح يصيح " أنا بالله و بالأمير"، فقلت " مالك وما أنت " فقال أنا فلان فإذا بصاحب الذي كنت أطلب مع أهل بغاية قد حبسه عن نسكه، و غلب على هواه وورعه فأظهرت البشر لمكانه و الجزل بشأنه و لو شفيع إليا في أهل بقاية لشفيعته فجعلت أوانسه وهو كالولد فسألته عن أمره فقال: إنه فقد بنتا كانت له فيمن فقد من النساء فقلت له: والله لو خرجت إليا بالأمس لحقنت دم أهل بلدك لحرمتك عندي، فقال القدر غالب والمحروم خالب، قال حماد ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان في أخبئهم من النساء، فعرف الرجل أن ابنته فيهن قال حماد فأمرت بسترها وترفيها وحملها مع أبيها في أحسن حال، قال فرفعت صوتها قائلة: والله يا حماد لأرجعت مع أبي ولا مع من غصبني، قال فقلت لها: فما الذي تريدين؟ قالت: إني لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لي بسواهم، فلما سمع ذلك أبوها ما كان في نفسه لها من الإشفاق و ضنى أنها قد فتننت وفسدت، قال حماد: ومن أين تقولين أنك تصلحين لملوك؟ قالت: لأن عندي علما لا أشارك فيه ولا يدعيه غيري، فقلت لها: ألا أريتنا شيئا من علمك؟ قالت نعم تأمر بقتل إنسان وتحضر أمضي سيف عندك، أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره في أحد ويعود في كف حامله أكل من قلبه .

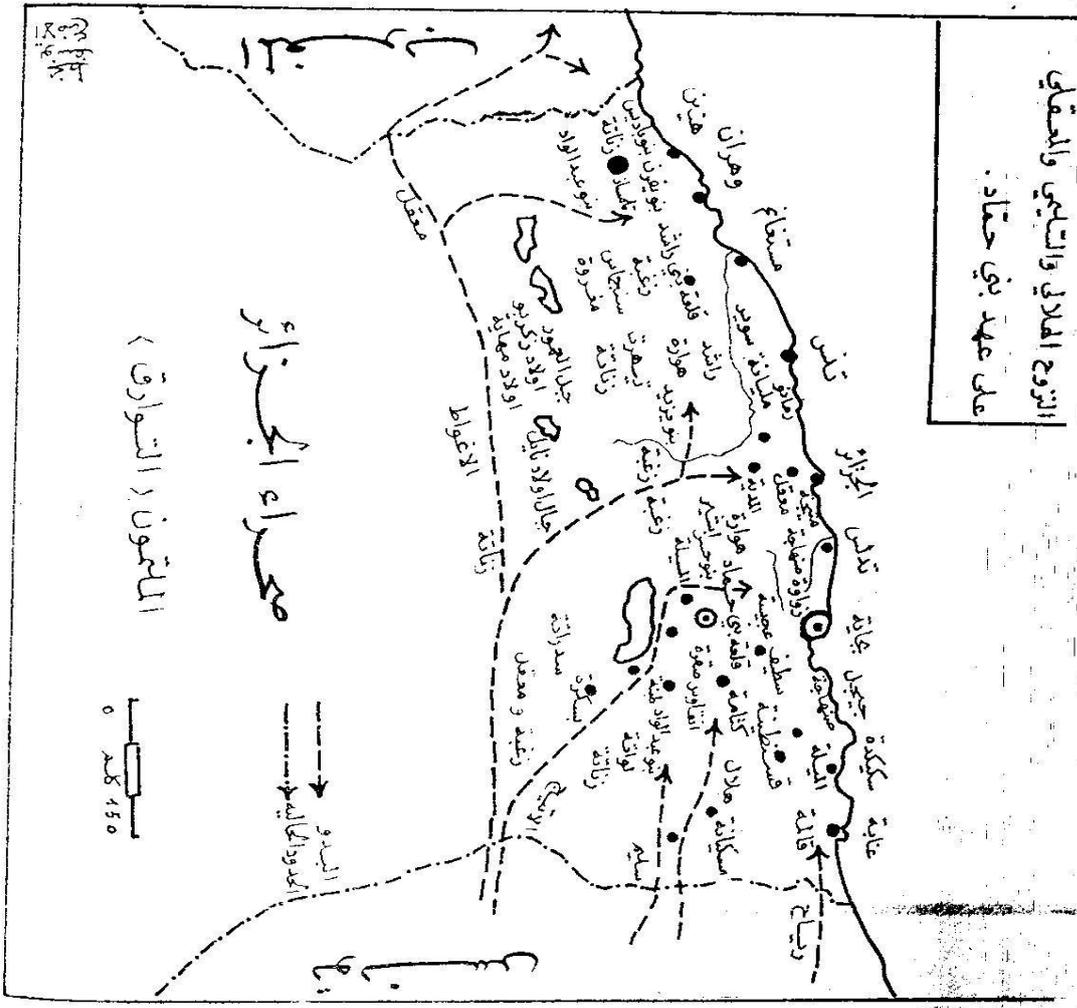
<sup>1</sup> - الاستبصار: المصدر السابق، ص 169 - 170.

قال حماد فقلت: إن الذي يجوب هذا فيه لمغرور, فقلت لي: أويتهم أحد في قتل نفسه؟ قلت لها لا، فقلت: إني أريد أن تجرب ذلك حتى نرو عجباً، قال: فأتى بسيف ماض فتكلمت عليه وأشارت إلى السماء مرارا ومدت عنقها، فضربها السيف ضربة أبان رأسها من جسدها، فاستيقظت من غفلتي وعلمت أنها تدهت علي، وكرهت العيش بعد الذي جرى عليها فاستبان لأبيها ذلك فجعل يلقي نفسه عليها، وتبرع في دمها اغتباط مما رأى من عظيم أنفاسها، إذ اختارت الموت على ما نزل بها وقال: لاشك أن إشارتها إلى السماء إنما كان ذكر للشهادة والدعاء لله تعالى أن يغفر لها".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - الاستنصار، المصدر السابق، ص 170.

الملحق رقم 08: النزوح الهلالي و السليمي و المعقلي على عهد بني حماد.<sup>1</sup>



1 - محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، ص 135.

الملحق رقم 09: القلعة كما تشاهد اليوم.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - صورة التقطت يوم: 2010/07/21م

الملحق رقم 10: خرائب القلعة عند جبل المعاديد " المعاضيد".<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - صورة التقطت يوم: 2010/03/23م

الملحق رقم 11: آثار القلعة في جبل المعاديد " المعاضيد " <sup>1</sup>.



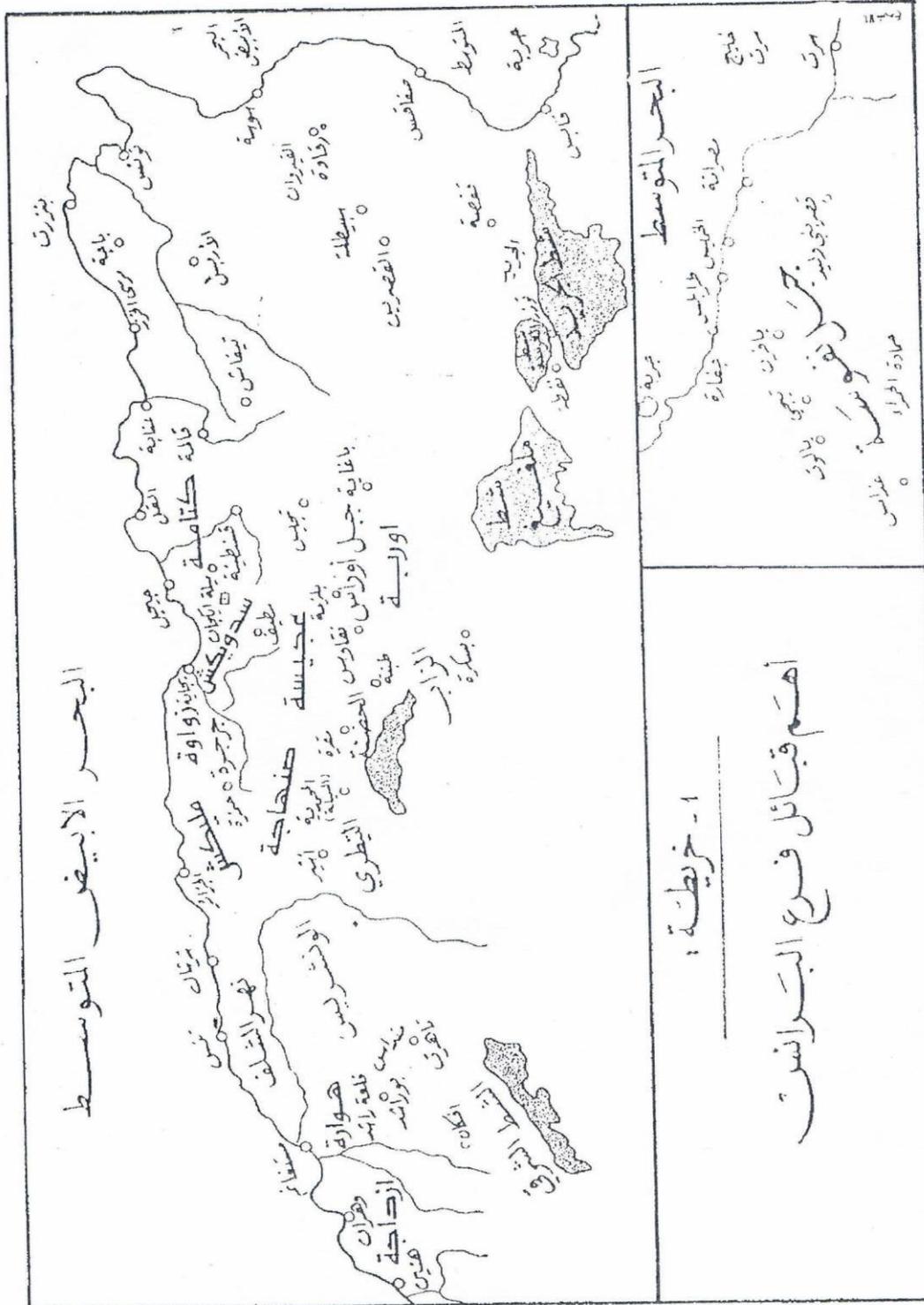
<sup>1</sup> - صورة التقطت يوم: 2010/03/23م

الملحق رقم 12: دولة بني حماد الموقع و الحدود.



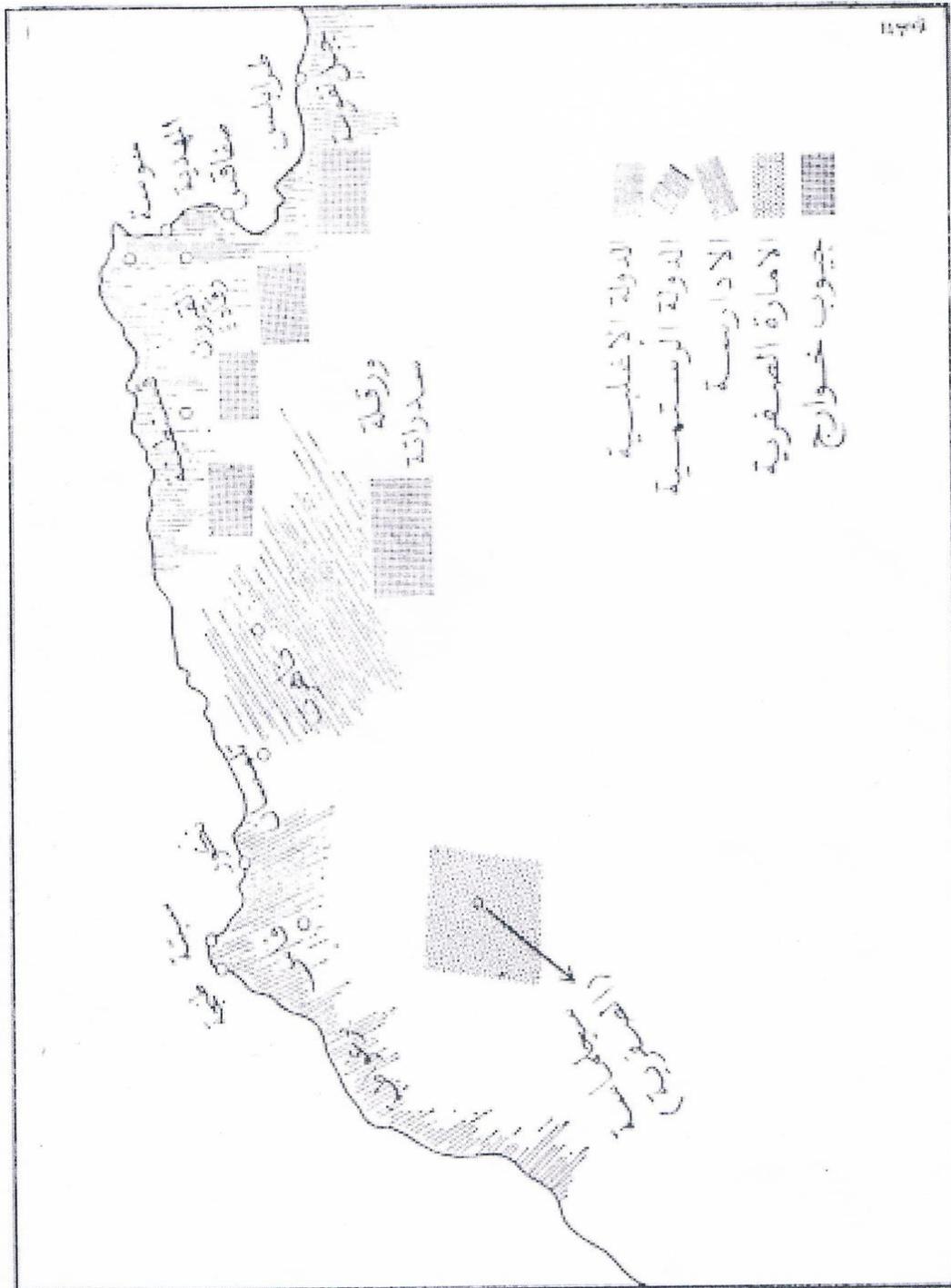
- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 97.

الملحق رقم 13: أهم فرع قبائل البرانس .



- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص204.

الملحق رقم 14: حواضر المغرب الإسلامي.



- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 205.

الملحق رقم 15: قلعة ذياب الهلالي ( بوسعادة).



- صورة التقطت يوم: 2013/07/03م

قائمة المصادر

و المراجع

أولا / المصادر:

- 1- إدريس عماد الدين القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق، محمد يعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 .
- 2- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس ،صورة بالطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- 3- ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1986.
- 4- ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، (دت).
- 5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مراجعة،محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2006، ج7.
- 6- ابن الخطيب، رقم الحلال في نظم الدولة، طبع بالمطبعة العمومية، تونس، 1316.
- 7- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج1.
- 8- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط1، دار المعارف، القاهرة، (دت).
- 9- ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق، جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).
- 10- ابن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996 .
- 11- ابن خليكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، مج1، (دت).
- 12- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت، 1992.
- 13- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج4، ج6.
- 14- ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة، طه حسين ، دار العلم للجميع، سورية، (دت) .

- 15- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ج.س. كولان وا. ليفى بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1.
- 16- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق، محمد الشاذلي النيفز وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- 17- ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق، محمد زينهم و محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.
- 18- أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تعلق، محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت) ج1.
- 19- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، - ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق، محمد زينهم و محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.
- 20- الإدريسي، نزهة المشتاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 21- البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي)، تحقيق، علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، مج1.
- 22- البكري، المسالك والممالك، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج2.
- 23- البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.
- 24- التجاني، رحلة التجاني، تقديم، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، (دت).
- 25- الجوزري، سيرة الأستاذ جوذر، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، مصر، دار الفكر العربي، (دت).
- 26- الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقية، ترجمة، محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (دت)، ج1.
- 27- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، (دت).

- 28- الرقيق القرواني، تاريخ افريقية و المغرب، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994.
- 29- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- 30- السمعاني ، الأنساب، تقديم، عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988، ج5.
- 31- القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، منشورات موسى الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005.
- 32- القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1982.
- 33- القلقشندي، صبحى الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق، محمد حسين شمس الدين نبيل خالد الخطيب، ، درا الكتب العلمية، بيروت ، ج5 .
- 34- القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.
- 35- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم و أوصافهم ، تحقيق ، بشير البكوش ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ج1.
- 36- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ، بيروت،(دت).
- 37- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، 1996، ط2، ج1.
- 38- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2،(دت).
- 39- النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق، عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج28-29،(دت).
- 40- يعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.

- 41- عبد المؤمن بن علي ، رسالة عن فتح بجاية في مجموع رسائل موحدية (كتابة الدولة المؤمنية)، ليفي بروفنسال، رباط الفتحة، الرباط، 1941، الرسالة السابعة.
- 42- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية، القاهرة، 1963.
- 43- معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني، أسماء القبائل وأنسابهم، تحقيق، كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000.
- 44- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق، عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط ، 2005.
- 45- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد ندار، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دت).
- 46- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، (دت).
- 47- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2007، ج2.
- ثانيا / المراجع:
- 48- إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996.
- 49- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 50- اصطيغان إكميل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة، محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، الرباط، 2007، ج1.
- 51- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فوتنانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج1.

- 52- الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
- 53- الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في العصر الوسيط (من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس)، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011.
- 54- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (دت).
- 55- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية "تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12"، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، (دت).
- 56- بوبة مجاني، النظم الإدارية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي (296-362هـ/909-973م)، (الجزائر-ليبيا-تونس-المغرب)، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009-2010.
- 57- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ج4،
- 58- جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة، مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
- ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (دت).
- 59- حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبید الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (دت).
- 60- حسن خضير، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، (دت).
- 61- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، مج1، ج1
- 62- حلمي عبد القادر، جغرافية المغرب العربي، منشورات مكتبة المعارف، وهران، 1968.
- 63- رشيد برويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

- 64- روبرو بونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- 65- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج3، (دت).
- 66- سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت، 2003.
- 67- سعيد ناصف، المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة
- 68- عبد الحميد خالدي، الوجود السلمي في الجزائر، دار هومه، الجزائر، 2003.
- 69- صالح يوسف بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- 70- عبد العزيز الفيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 71- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2.
- 72- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج1.
- 73- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- 74- غابر يال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق، العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
- 75- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة: حماد الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
- 76- فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية "الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب"، دار الهدى، عنابة، 2011.

- 77- محمد أبو رزاق، الأدب في عصر دولة بني حماد ، (405-547هـ/1014-1152م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- 78- محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني ) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج1.
- 79- محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، الجزائر، 1985.
- 80- محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 81- محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 82- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 83- محمد الطمار، المغرب في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- 84- محمد العروسي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- 85- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 86- محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية "قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- 87- محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ج1.
- 88- محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ VIIم -XVم) فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004.
- 89- محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية (بحوث ميدانية وتاريخية)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، مج3.

- 90- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ) (910-1171م)، دار النفائس، بيروت، (دت).
- 91- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
- 92- محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، ط2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.
- 93- محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي (ليبيا- تونس- الجزائر - المغرب - موريطانيا)، ط1، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976.
- 94- مرمول كرنجال، إفريقيا، ترجمة، محمد حجي و محمد زبير و محمد الأخضر و أحمد التوفيق و أحمد بن جلول، دار لنشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ج2.
- 95- مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 96- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسلامية، دار الأندلس، (دت).
- 97- مفتاح خلفات، قبيلة زاوارة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، تيزي وزو، 2011.
- 98- نهلة شهاب، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
- 99- يونس عبد الحميد، الهلالية في الأدب والتاريخ، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 1962.
- المجلات و المقالات و الملتقيات:**
- 100- إسماعيل العربي، " ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد في رواية أبي زكريا"، مجلة الثقافة، ع37، الجزائر، 1977.
- 101- الهوارية بطيب، " المكانة الجيوسياسية التي شكلتها مدينة المسيلة الحمديّة في الإستراتيجية الفاطمية"، دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).
- 102- بوجمعة هيشور، اتنولوجيا أعراس الجزائر، (بحث في الجوانب الخفية لجذورها التاريخية).
- 97

- 103- خالدية مضوي، تاريخ مدينة المسيلة إبان الاحتلال الروماني، دفاتر الملتقى، مجلة خاصة بالملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).
- 104- سعاد سليمان، "بلاد الحضنة تاريخ وآثار شاهد على نوميديا الشرقية"، مجلة الثقافة، ع 16، 2007.
- 105- عبد القادر قرمان، "مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي"، دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).
- 106- علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 10، 2009.
- 107- فارس كعوان، "مساهمة في دراسة أصول بعض أعراس الحضنة"، دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).
- 108- كمال بيرم، "كيف ارتبط اسم Zabi Justinana بالمسيلة القديمة"، مجلة صناع النجاح، المسيلة، ع 02، 2009.
- 109- لخضر فاضل، "المنشآت الرومانية والبيزنطية بمنطقة الحضنة"، دفاتر الملتقى، مجلة خاصة بالملتقى الوطني الأول حول تاريخ أعلام المسيلة، المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).
- 110- محمد البشير شنيقي، "حوض الحضنة في العهد الروماني"، أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995.
- 111- محمد الصالح مرمول "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سرتا معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، ع 04، 1980.
- 112- محمد اليعلاوي، "بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني الأندلسي"، الأصالة، قسنطينة، ع 24، 1975.
- 113- محمد قويسم، "منطقة المسيلة في العهد الحفصي" مجلة دفاتر الملتقى، المسيلة، 2009، ص-ص 41-42. (مداخلة غير منشورة).

114- نادية بجرة، "مواقع ما قبل التاريخ في منطقة الحضنة"، دفاتر الملتقى، مجلة خاصة بالملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسيلة، 2009، (مداخلة غير منشورة).

المعاجم و الموسوعات:

115- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980

116- معجم مشاهير المغاربة، إشراف، أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.

الرسائل الجامعية:

117- إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2000.

118- بوخالفة عزي، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2002-2003.

119- سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2004-2005.

120- غنية عباسي، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، دراسة مونوغرافية، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، إشراف، علاوة عمارة، 2011-2012.

121- محمد لجلط، المسيلة في العهد الفاطمي، مذكرة نهاية السنة الأولى ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986.

ثالثا: المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

122- Paul Massiera, «M'sila du X<sup>e</sup> au XV<sup>e</sup> siècle » *Bulletin de la société historique et géographique de la région de Sétif*, 1941.

- 123- Paul-Louis Cambuzat, *L'évolution des cités du Tell en Ifrikiyya du VII<sup>e</sup> au XI<sup>e</sup> siècle*, Alger, office de publication universitaire, 1986.
- 124- A. Poulle, «Ruines de Bechilga (ancienne Zabi) », *Revue Africaine*, 5 (1861)
- 125- Charles Féraud, «Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj –Bou–Arreridj –M'sila et Bousaada » *Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 1871–1872.
- 126- Ernest Mercier, Les Arabes d'Afrique jugés par les auteurs musulmans, in R.AF, 17, 1873
- 127- fiche de dénombrement hivernales des oiseaux d'eau :chot el hodna ,1999/2000 ,conservation des forets de la wilaya de M'sila
- 128- Jean Despois, *Le Hodna*, Paris, Presses universitaires de France, 1953
- 129- Mahfoud kaddache, «L'Algérie des Algériens de la pré histone a 1994», Alger: Edif,2000
- 130- Salim Sebhi, *Mutations du monde rural algérien le hadan*, Office des publications universitaire, Alger, 1987
- 131-Justin Savorin, *Etude géologique de la région du Hodna et du plateau sétifien*, Alger, Carboral, 1920.
- 132-Mohamed Meouak, «Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques, organisation des

terroirs», *Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée*,  
2010

# الفهرس العام

# الفهارس

- 1- فهرس الأعلام.
- 2- فهرس القبائل.
- 3- فهرس المواقع.
- 4- فهرس الفرق.

- فهرس الأعلام:
- أبا القاسم بن عبد الرحمن الأمير بن عبد الواحد: 117.
- إبراهيم بن الأغب: 25.
- ابن رشيق: 73.
- ابن هاني الأندلسي: 48، 72.
- أبو العباس أحمد الأول الحفصي : 119.
- أبو حموا الزياتي : 119، 120.
- أبو عبد الله : 119.
- أبو عنان فارس المريني : 119.
- أبو يحيى أبو بكر الثاني : 119.
- أبو يحيى زكريا: 117.
- أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري : 26.
- أبي القاسم بن عبيد الله المهدي : 33، 34، 37، 38، 39، 42، 44، 45، 46، 57، 68، 69.
- أبي فارس عبد العزيز : 119، 120.
- أبي يزيد بن مخلد : 45، 46، 47، 54، 55، 56، 56، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 68.
- أحمد بن أبي القاسم المسيلي: 76.
- أحمد بن الحسين بن محمد المهدي المسيلي: 74.
- أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي: 75.
- أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة: 118.
- أذر بعل: 14.
- الأغب بن سالم: 26.

- أوريتاس: 16.
- باديس بن منصور بن بلكين: 79.
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: 49، 51، 52، 54، 77، 78.
- بلكين بن محمد: 100.
- بليزار: 16.
- بونيفاس: 15.
- تاكفرناس: 14.
- تراجانوس: 15.
- تميم بن المعز: 101، 102.
- جرمان: 16.
- جعفر بن علي بن حمدون: 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 59.
- 60، 61، 71، 72.
- جوستينيات: 16، 17، 20.
- حسان بن النعمان: 25.
- حسن بن أحمد بن نافذ: 27.
- الحسن بن سرحان: 90، 91.
- حسن بن علي بن محمد المسيلي: 75.
- حسن بن محمد بن سلمون أبو علي المسيلي: 73.
- حماد بن بلكين: 79، 80، 81.
- الخير بن محمد: 53.
- زيري بن مناد: 53، 61، 62، 65.
- سالومون: 16، 17.
- سبتميوس سيفريوس: 18، 19.

- شبل بن موسى الرياحي: 117.
- عبد الكرم النهشلي ابن أبي سهل الخشني: 72، 73.
- عبد الله الناصر: 57.
- عبد الله بن حمو المسيلي: 74
- عبد الله بن عبد المؤمن: 115.
- عبد الله بن محمد المسيلي: 75.
- عبد المؤمن بن على : 114، 115.
- عبيد الله المهدي: 32، 33، 44، 45، 55.
- عبيد الله بتن الحبحاب: 26.
- العزيز بن المنصور : 113.
- عقبة بن نافع: 23، 24، 25.
- علي بن حمدون: 34، 40، 44، 45، 46، 47، 52، 68، 69، 71، 113، 114.
- عمر بن حفص: 26، 27.
- فضل بن أبي يزيد: 66.
- الفضل بن يحيى الوائق: 118.
- القائم بأمر الله العباسي: 86.
- قورد يانوس: 22.
- ماسينيسا: 14.
- متيلوس: 14.
- محمد بن خزر: 59، 60، 61، 62.
- محمد بن القوي : 118.
- المستنصر بالله: 53، 85، 86، 87.
- معبد بن خزر: 66.

- المعز بن باديس: 86، 87، 88، 100.
- المعز لدين الله الفاطمي: 49، 51، 53، 72، 77، 86.
- المنصور أبو عبد الله محمد الأول: 117.
- المنصور بن الناصر بن علناس: 103، 107، 113.
- المنصور بن محمد الأشعث: 26، 47، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 69.
- المنصور بن مزي: 119.
- المنصورين بلكين: 78.
- المهلب بن صفراء: 26.
- موسى بن محمد بن مسعود: 117.
- موسى بن نصير: 25.
- الناصر بن علناس: 100، 101، 102، 103.
- هادريانوس: 15.
- الوليد بن عبد الملك: 25.
- اليازوري: 787، 88.
- يحيى بن عزيز: 114.
- يحيى بن علي بن حمدون: 45، 47.
- يحيى بن غانية: 116.
- يطوفت: 78.
- يوغرطة: 14.

- فهرس القبائل:
- الأريس: 99.
- الأثبج: 89، 92، 96، 98، 100، 102، 103، 104، 106، 107، 112، 113، 115، 116.
- أوغمرت: 29، 98، 107.
- أولاد سيدي إبراهيم: 10.
- أولاد سيدي هجرس: 10.
- البربر: 21، 28، 29، 36.
- بنو زنداج: 29، 36.
- بنو سليم: 83، 90، 100.
- بنو ضبة: 29.
- بنو عامر: 94.
- بنو كملان: 63، 68.
- بنو مسلم: 95، 97.
- بني برزال: 28، 29، 33، 34، 36، 63، 68.
- بني توجين: 118.
- بني عبد الواد: 93.
- بني مرين: 119، 120.
- بني مزني: 118، 119، 120.
- بني هلال: 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 93، 98، 99، 100، 101، 103، 104، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 119.

- بني يفرن: 56.
- الجيتول: 14.
- الحفصيين: 90، 116، 117، 119.
- دريد: 89، 90، 91.
- الذواودة: 97، 98، 117، 118، 119، 120.
- رياح: 89، 90، 91، 94.96، 97، 100، 102، 104، 106، 107، 112، 114، 115، 117، 118، 119.
- زغبة: 93، 97، 104، 110، 114، 115.
- زناتة: 25، 33، 35، 36، 53، 54، 55، 56، 64، 67، 68، 81، 93، 99، 100، 101، 102، 107، 112، 113، 118، 119.
- زواوة: 93.
- صنهاجة: 45، 53، 62، 63، 76، 81، 89، 93، 99، 101، 102، 103، 112، 114، 115.
- الضحاك: 91.
- قرة: 89، 90، 98.
- عجيسة: 28، 36، 68.
- عدي: 94، 100، 102.
- عاصم: 91.
- عياض: 89، 92.
- كتامة: 35، 76، 98.
- كرفة: 89، 90، 91.
- لطيف: 91، 92.
- المرابطون: 99، 116.

- مرداس: 95.
- مزاتة: 29، 36، 63.
- مغراوة: 33، 63، 93، 107.
- المقدم: 91.
- الموحدين: 89، 91، 93، 106، 114، 115، 116.
- هوارة: 25، 28، 36، 63، 65، 68.
- فهرس المواقع:
- أذنة: 24، 45، 57، 64.
- أراس: 18، 19.
- اشير: 24، 41، 54، 78، 79، 80، 116.
- إفريقية: 23، 25، 26، 27، 36، 51، 56، 57، 63، 67، 74، 78، 81، 85.
- 86، 90، 91، 93، 100، 101، 102، 103، 106، 107، 118.
- الأندلس: 54، 74، 115، 116.
- الأوراس: 08، 17، 22، 27، 45، 56، 57، 59، 89، 90، 95، 96، 97، 98.
- أوزيا: 18، 19، 22.
- باجة: 99.
- بادس: 24.
- بجاية: 23، 41، 75، 76، 93، 95، 97، 103، 110، 114، 115، 116، 117.
- البحرين: 84.
- برقة: 98.
- بريكة: 09، 10، 13، 22.
- بسكرة: 24، 59، 92، 98، 109.
- بشيلقة: 15، 19، 21، 37، 38.

- البصرة: 39.
- بغايا: 45، 46، 59، 71.
- بغداد: 85.
- بلزمة: 07، 13، 17، 19.
- بوسعادة: 08، 09، 10، 13، 97.
- تارمونت: 18.
- تبسة: 99.
- تلمسان: 93، 94، 97، 119، 120.
- تهرت: 25، 54، 63، 71، 78.
- تهودا: 24، 90.
- تونس: 25، 75، 100، 120.
- تيجيس: 46، 79.
- جبل كيانة: 64، 68.
- الجريد: 94.
- الجزائر: 09، 25، 115، 117.
- الجزيرة العربية: 84، 112.
- الحضنة: 07، 08، 09، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 22، 23، 27، 28، 33، 34، 35، 36، 38، 45، 56، 58، 64، 79، 80، 81، 89، 92، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 102، 103، 104، 106، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 116، 117، 118، 119، 120.
- حمزة: 62، 81، 93.
- خربة التليس: 39.

- الزاب: 08، 17، 21، 25، 26، 28، 34، 36، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 54،  
56، 58، 61، 71، 78، 80، 89، 90، 91، 92، 94، 95، 96، 97، 98،  
102، 105، 108، 109، 110، 111، 113، 116، 117، 118، 119، 120.
- زابي: 15، 16، 17، 19، 38.
- سببية: 95، 99، 102، 110.
- ستفيس: 18، 22.
- سجلماسة: 63، 71، 91.
- سرقسطة: 74.
- سطيف: 19، 22، 31، 115.
- سعيدة: 94.
- سفاقس: 100.
- السودان: 61، 63، 71.
- سور الغزلان: 18.
- سوسة: 100.
- سيدي عيسى: 09، 18.
- سيلاص: 15، 21، 22.
- صقلية: 77.
- الطارف: 83.
- طبنة: 15، 16، 17، 19، 20، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 44، 45، 47، 59،  
60، 71، 79، 102، 104، 108، 109، 111.
- طرابلس: 25، 77، 93.
- طولقة: 24.
- عنابة: 90، 99.

- عين قويميدي: 18.
- الغدير: 63.
- فاس: 71، 74.
- فاقس: 16، 17.
- الفسطاط: 39.
- قابس: 93.
- القالة: 99.
- القاهرة: 85.
- قسنطينة: 76، 79، 89، 92، 94، 95، 96، 97، 99، 102، 117، 119، 120.
- قلعة أبي طويل: 80.
- قلعة بني حماد: 23، 40، 41، 79، 80، 81، 91، 99، 102، 103، 104، 108،  
110، 113، 114، 115، 116.
- قلعة كيانة: 65.
- القيروان: 27، 36، 39، 68، 70، 73، 74، 80، 86، 94، 98، 100.
- الكوفة: 39.
- الكوفة: 84.
- ماركيس: 15، 21.
- المحمدية: 33، 38، 39.
- مدوكال: 09.
- المدينة: 94.
- مزارة: 73.
- المسيلة: 12، 15، 21، 24، 28، 29، 31، 33، 34، 35، 38، 40، 41، 42،  
43، 44، 45، 46، 47، 49، 53، 54، 58، 59، 60، 61، 63، 64، 66، 68.

- 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 78، 79، 94، 95، 96، 97، 99،  
102، 104، 106، 108، 109، 113، 115، 116، 117، 118، 119، 120.
- المشرق: 89، 91.
- مصر: 26، 50، 54، 85، 86، 112.
- المعاضيد: 07، 14، 19، 36.
- المغرب الأقصى: 35، 68، 77، 100.
- المغرب: 23، 27، 35، 36، 41، 46، 50، 51، 54، 56، 57، 67، 71، 73،  
76، 77، 78، 80، 83، 85، 86، 88، 89، 90، 93، 95، 98، 99، 102،  
103، 104، 105، 107، 108، 111، 113، 115.
- مقرة: 20، 21، 29، 61، 95، 109، 117، 118، 119.
- مليانة: 116.
- المنصورة: 78.
- المهديّة: 36، 39، 46، 58، 68، 69، 73، 101، 102.
- نجد: 83.
- نقاوس: 09، 23، 95، 97، 119.
- ورجلان: 63، 94.
- ونوغة: 07، 08، 18، 19.
- وهران: 116.
- فهرس الفرق:
- الإباضية: 26، 27، 32، 55، 63.
- الصفرية: 26، 27.
- الخوارج: 26، 27، 60.
- القرامطة: 84، 85.

